



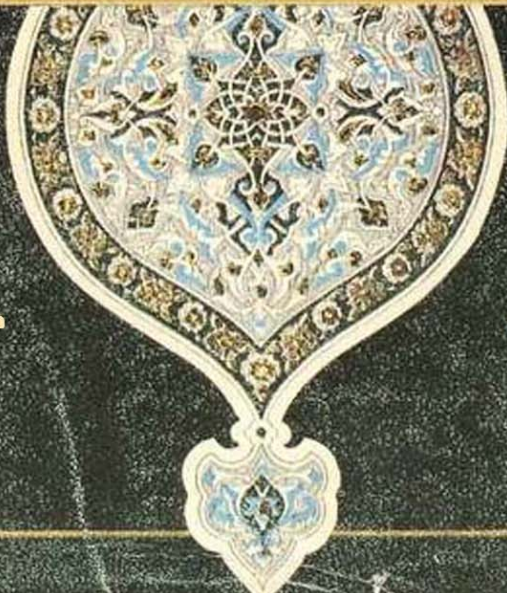
دراسات في اللغة

الدكتور إبراهيم السامرائي

سأطعت جامعة بغداد على نشره

مطبعة العاني - بغداد

بغداد ١٩٦١



سأعدت ءامعة بغداد على نشره

دراسات في اللغة

الدكتور ابراهيم السامرائي

بغداد ١٩٦١

مطبعة العاني - بغداد

تمهيد

هذه دراسات في فقه اللغة ، تتصل طائفة منها بالعربية وحدها ، كما تفيد من أسلوب المقارنات والموازنات بين اللغات السامية في طائفة اخرى . وقد قمت بهذه الدراسات يحدوني دافع بحث المشكلة اللغوية الخطيرة في هذا المجتمع العربي الذي تبرز فيه هذه المشكلة بجلاء ، وأنا آمل أن أضيف شيئاً في هذه الدراسات ، ثقة مني أن الجهود المختلفة في طرائق البحث تعين على فهم المشكلة اللغوية .

وما زال في العربية حتى يومنا هذا ، مجال للبحث والدرس بالرغم من الجهود النافعة التي قام بها الأقدمون .

وقد نشرت طائفة من هذه البحوث في المجالات العراقية مثل (سومر) ومجلة المجمع العلمي العراقي ومجلة كلية الآداب ومجلة كلية التربية والمعلم الجديد بعد أن أضفت إليها أشياء جديدة مما هداني إليه البحث وإعادة النظر بصورة متواصلة ، كما ضمنت إليها بحوثاً لم أنشرها ، وأنا أجمع هذا الشئ من الأبواب في كتاب خاص لتيسر الفائدة للطلاب العلم والمعنيين بالموضوعات اللغوية بوجه خاص .

مقدمة

ألفت الامم كافة لغاتها واستعملتها حتى أدى بها الامر الى الاعجاب الذى تجاوز الحد المعقول . وقال كل بقدم لغته وافتخر بمجدها الاثيل ، وانها باقية على الدهر ، فزعم الصينيون ذلك ، وادعى الارمن ان لغتهم صاحبة الشرف وأن اللغات الاخرى فروع عليها ، ذلك أن الله - جلت قدرته - قد جبل آدم من تربتهم ، وأنه درج فى أرضهم ، وهم من أجل ذلك ورثة لغته الاولى . وكل هذا دعاوى لا تتفق والبحث العلمى التاريخى . وزعم العبرانيون أن العبرية هى اللغة الاولى ، وأن الله قد علم آدم هذه اللغة الشريفة وهم ينون دعواهم هذه على ما جاء فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين^(١) : « وجبل الرب الاله من الارض كل حيوانات البرية ، وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية » .

وجاء الآراميون فنادوا بشرف لغتهم وانها كانت لغة السيد المسيح وأمه العذراء . وانها لغة الاسفار المقدسة ، فقد كتب بها سفر دانيال وطوبيا وسفر يهوديت وسفر عزرا وسفر استير .

واعتقد الاغريق ان لغتهم ذات شرف ومجد عظيمين وانها لغة الحكمة ، وانها خلاصة ما يصل اليه العقل البشرى ، وانها ذات أسرار تسبني على عبقرية خارقة ، وان الالابذة والاديسا نموذج لهذه الموهبة اللسانية العالية ، وقد جذبتا بروعتهما جمهور المتأدين وقد نمقتا بلغة قديمة ، ولا سبيل الى فهمهما وتدوقهما الا بدراسة خاصة لتصوصهما . وقد أسرف بعضهم فظن أن الاغريقية مرآة ينعكس عليها النظام الكونى فى أبهى حله ، وانبثقت عن

(١) سفر التكوين « الاصحاح الثانى ، الآية ١٩ ، ٢٠ .

اسماعيل (ع) ، وضعه على لفظه ومنطقه^(٦) .
هذه النظرة الفلسفية قواعد نحوية وفلسفية عامة ، ولكنها لا تتعدى
الاعريقية .

ثم جاء المسلمون فبحثوا في العربية واعجبوا بها ، وسحرتهم لغة
التزويل فكان ما كان من دراسات في مسألة الاعجاز ، وجرتهم هذه
الدراسات الى القول بالتوقيف والاصطلاح في الكلام على العربية والى هذا
ذهب أحمد بن فارس من أئمة اللغة في القرن الرابع معتمدا على قوله
تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها »^(٢) ، وهو يشير الى قول ابن عباس : « ان
الله علمه الاسماء كلها وهى هذه التى يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل
وجبل وحمار وأشياء ذلك من الامم وغيرها »^(٣) . ولم يقتصر ابن فارس
على القول بالتوقيف فى اللغة ، فعنده ان الخط العربى توقيف لظاهر قوله
عز وجل : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ
تثاؤده : « والقلم وما يسطرون »^(٤) . وان أول من وضع الكتاب العربى
وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »^(٥) . وقد جل
ويأتى أبو الفتح عثمان بن جنى من علماء القرن الرابع الهجرى
فيعرض للمسألة نفسها فى « باب القول على أصل اللغة ألهمام هى أم
اصطلاح ، وابن جنى يعرض للمسألة فيذكر عدة آراء فى الموضوع ، وهو
يقول فى اول هذا الباب : « ان أكثر أهل النظر على ان أصل اللغة انما هو
تواضع واصطلاح ، لا وعى ولا توقيف . الا أن أبا على رحمه الله قال لى
يوما : هى من عبيد الله ، واحتج بقوله سبحانه : « وعلم آدم الاسماء
كلها »^(٧) . وابن جنى يعرض رأى القائلين بالتوقيف ويشرحه وكيف أن

(٢) البقرة ٣١ .

(٣) ابن فارس ، الصحابى ٥ .

(٤) العلق ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٥) القلم ١ .

(٦) ابن فارس ، الصحابى ٧ .

(٧) ابن جنى ، الخصائص ٤٠/١ .

الله علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات ، ثم يعود فيعتل للقائلين بأن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة • ثم ينقل ابن جنى رأى من يقول ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخزير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ونزيب الطيبي ونحو ذلك • ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد • وهو يقول : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل •

وابن جنى لا يقطع في ذهابه الى رأى من هذه الآراء ، وهو في عرضه لهذه الآراء متردد في الاخذ بأحدها وهو يقول : « واعلم اننى على تقادم الوقت دائم التغير والبحث عن هذا الموضع فأجد الدواعى والخوالج قوية التجاذب لى ، مختلفة جهات على فكرى • وذلك اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف ، والرقه ، ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر • فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلهم ، فعرفت تتابعه واتقياده ، وبعد مرايمه وأماده ، صحة ما وفقوا لتقديمه منه • ولطف ما اسعدوا به ، وفرق لهم عنه • وانضاف الى ذلك وارد الاخبار المأثورة بانها من عند الله جل وعز ، فقوى في نفسى اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه - وانها وحى •

ثم اقول فى ضد هذا : كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا ، على تأمل الحكمة الرائعة الباهرة ، كذلك لا تنكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وان بعد مداه عنا - من كان أطف منا اذهانا وأسرع خواطر وأجراً جنا • فأقف بين الخلتين حسيرا ، وأكثرهما فانكفى مكشورا ، وان خطر لى فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتها ، قلنا به « (٨) » •

وقد أشرت الى انهم أحبوا العربية وتعلقوا بها ومن أجل ذلك توهموا أن آدم كان يعرف العربية ونسبوا اليه اشعارا ، كما نسبوا للجن اشعارا

(٨) ابن جنى ، الخصائص ٤٧/١ •

أخرى ، وهم يرون : « ان أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها ، وحاد عن الطريقة المثلى إليها ، فانما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة ، التي خطب الكافة بها ، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيتها وأحاثها » (٩) . وانت تحسن حين تقرأ في الاخبار ان لسان أهل الجنة عربى ميين ، وانت تقرأ قوله تعالى : « لسان الذى يلحدون اليه أعجمى » (١٠) ، فتعلم قيمة العربية وشرفها عندهم . وقد اخرج ابن عساكر فى تاريخه ، عن ابن عباس ، ان آدم عليه السلام كان لغته فى الجنة العربية ، فلما عصى سلبه الله العربية وتكلم بالسريانية فلما تاب رد الله عليه العربية » (١١) . ومن أجل هذا فالعربية عندهم أفضل اللغات وأوسعها ، ذلك انها لغة التنزيل قال تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك ، لتكون من المنذرين بلسان عربى ميين » (١٢) . ولهذا فقد كان اللحن فى العربية بمنزلة الضلال كما جاء فى الحديث ان رسول الله (ص) قال لرجل لحن : ارشدوا أخاكم فانه قد ضل ، وقال ايضا رحم الله امرءا أصلح من لسانه » (١٣) .

وقد أحب هؤلاء العربية فدرسوها واهتدوا لمسائل دقيقة فيها . قال الفراء : « وجدنا للغة العرب فضلا على لغة جميع الامم اختصاصا من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها ، ومن خصائصها انه يوجد فيها من الايجاز ما لا يوجد فى غيرها من اللغات » (١٤) .

ومن اعجابهم بالعربية انها عندهم فاقت سائر اللغات فى رشاقة ألفاظها ، وحسن بنائها بحيث لا يوجد فيها من الثقل والاعوجاج ما يوجد فى غيرها من اللغات التى تمت الى العربية بقراءة النسب وهى اللغات السامية . ولعل من

(٩) ابن جنى ، الخصائص ٢٤٥/٣ .

(١٠) سورة النحل ١٠٣ .

(١١) السيوطى ، المزهرة ٣٠/١ .

(١٢) ابن فارس ، الصحاح ١٢ .

(١٣) ابن جنى ، الخصائص ٢٤٥/٣ .

(١٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ١٤٩/١ .

الطريف أن نورد خبراً ذكره ابن الأثير في المثل السائر : « وحضر عندي في بعض الأيام رجل من اليهود ، وكنت في الديار المصرية ، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد لمكان عمله في دينهم وغيره ، وكان كذلك فجري ذكر اللغات ، وإن العربية هي سيدة اللغات ، وإنها أشرفهن مكاناً ، وأحسنهن وضعاً ؟ فقال ذلك الرجل : كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرها ففت القبيح من اللغات قبلها وأخذت الحسن ؟ ثم إن واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة ، فاختصر ما اختصر ، وخفف ما خفف ، فمن ذلك اسم الجمل ؟ فإنه عندنا في اللسان العبراني (كوميل) مملاً على وزن فوعيل ، فجاء واضع العربية وحذف منها الثقيل المستشع ، وقال : « جمل » فصار خفيفاً حسناً ، وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر أشياء كثيرة » (١٥) .

على أن هذا الإعجاب بالعربية لا ينصب إلا على الفصح منها فلم يأبهوا باللسان الدارج السائر الذي يتعد عن الفصح ، وتمسكهم بالفصح أدى إلى نظرة ضيقة شاعت في نقدهم للنصوص ، فقد حضروا الفصح من لسان العرب في لغة الجاهليين والصدر الأول للإسلام وهذه النظرة الضيقة لم تفد العربية ، فضاع شيء من العربية لم يصلنا ، لأنهم لم يهتموا به لبعده عما توهموه فصيحاً .

وظلت الدراسات اللغوية ملازمة حالة واحدة عبر العصور فلم يجد فيها شيء وما كان من اللاحق إلا أن يؤكد ما قاله الأقدمون وينسج على منواله . حتى جاء العصر الحديث بعلومه وحضارته فوجدت علوم ، وعفت أخرى ، وكان من ذلك أن ظهر علم اللغة الحديث وأفادت اللغات الأوروبية من مناهجه الجديدة ، غير أن المعين بالعلوم اللغوية من العرب لم يفيدوا من الأساليب الجديدة ، وهكذا ظلت الدراسات اللغوية العربية باقية في طرائقها القديمة .

(١٥) ابن الأثير ، المثل السائر ١/ ١٩١ (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مصر ١٩٤٨) .

في تاريخ المشكلة اللغوية

(١)

الاهتمام باللغة أمر تستدعيه ضرورة قائمة ، ذلك أن المشكلة اللغوية من المشكلات الخطيرة ، ومن أجل ذلك نشطت المجامع العلمية في الاقطار العربية في العمل على حل هذه المشكلة القائمة ، وتبرز المشكلة في أن العرب في يومنا هذا لا يتكلمون بالفصح من العربية ، فالعامي الدارج هو المستعمل ، وأمر العامي مشكلة من المشكلات أيضا ، فهناك لهجات مختلفة باختلاف البلاد ، ثم ان البلد الواحد مشتمل على لهجات وطرق في التعبير مختلفة أيضا ، وربما صعب على العربي من شمالي العراق أن يفهم من قروى من سكة الاهوار في الجنوبي من العراق .

ومسألة تقريب العامية من الفصحية أمر يتعلق بالزمن الطويل ، فليس من الممكن القيام بمشروع أو بحث للوصول الى هذا الهدف الخطير ، وأنا أقول متعلق بالزمن ، لعلمي ان خير الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا هو نشر العلم والثقافة بين أبناء البلد الواحد ، بحيث يتيسر لجميع أبناء البلد قسط من العلم والمعرفة ، ومن شأن هذا أن يعمل على رفع مستوى اللغة المستعملة ، التي هي قريبة من الفصحية . ونستطيع أن ندلل على قربها من الفصحية اذا نظرنا الى اللغة التي يستعملها المثقفون اليوم في محادثاتهم وفي استعمالهم اليومية ، فهي لغة في مجموعها تكاد تخلو من اللفظ العامي الدخيل ، فمجموعة ألفاظها على العموم فصحية ويبدو قربها من الفصح اذ وازنا بين هذه اللغة التي يستعملها المثقف - وهو من اسرة جاهلة - واللغة التي يستعملها سائر أفراد أسرته والتي هي موهلة في العامية الدارجة .

ولابد أن نعرض لهذه اللغة القريبة من الفصحية بالبحث ، التي نحن سائرون اليها في مستقبلنا القريب أو البعيد لتحديد صفاتها وميزاتها التي تميز بها ثم نخلص من ذلك الى البحث التاريخي لنقرر مرحلة من مراحل تاريخ العربية الطويل ، فالتاريخ اللغوي من الامور الغامضة ، ذلك أن الباحث لا يهتدى الى المراحل التطورية في هذا التاريخ الطويل . وربما انقطعت عنه حلقات طويلة وضاع أثرها وبهذا فليس من الممكن رسم تاريخ محكم

الحلقات لهذه اللغة ، فلقد ضاع من اصولها شيء كثير ، ومن أجل هذا فهي بدع في اللغات الحية المتطورة على قوتها واصالتها وحيويتها وقابليتها في مسابقة الزمن وتطوره . ولقد أثر عن أبي عمرو بن العلاء انه قال : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لانتهى اليكم علم وشعر كثير » (١) .

وأنا أفترض أن تكون هذه اللغة القريبة من الفصحى ، والتي تكاد تخلو من أى لفظ دخيل عامى ، متخففة من قيود الاعراب فالكلمات فيها ساكنة الاواخر ، ولعل هذه المرحلة مهمة فى العود الى الفصحى العربى كما هى الحال فى اللغة المكتوبة ، التى ورثناها فى التراث العربى ، كما فى لغة القرآن الكريم .

ولابد أن نعرض للاعراب عرضا تاريخيا فنقول : لقد احتفظت اللغة العربية الفصحى بظاهرة الاعراب ، وهى من صفات العربية الموهلة فى القدم ، فى حين ان سائر اللغات السامية - عدا الاكدية - قد فقدت الاعراب منذ أقدم العصور ، وقد دل على هذا الاعراب بقايا نجدها فى العبرية والحشية (٢) ، وأما فى اللغة الاكدية فقد عرفت الحركات الثلاث فى البابلية فى النصوص القديمة ، ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر ، ولم تلبث هذه المرحلة طويلا حتى تطورت الى مرحلة الحركة الواحدة وهى الكسرة الممالة .

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها أوجد الاعراب من النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التى عثر عليها . وقد ذهب Noldke المستشرق الالماني الى أن النبط كانوا يستعملون الضمة فى حالة الرفع ، والفتحة فى حالة النصب والكسرة فى حالة الجر ، ولا يعقبون هذه الحركات بالنون (٣) . وعدم وضع النون بعد الحركات يشبه ما هو شائع

(١) ابن الانبارى ، نزهة الالباء ص ٣٣ .

(٢) Bergstraesser ، التطور النحوى ٣٠ .

(٣)

The. Noldke, Die Semitischen sprachen. Leipzig 1899, S. 51 f.

فى قسم من لهجات العربية الدارجة ، ومن ذلك ما هو مستعمل فى لهجة أهل الموصل فى العراق ، وفى غير الموصل كما فى الاقطار العربية الأخرى .

وبرى المستشرق E. Littmann ان أواخر الكلمات فى اللهجة البطية قد يحدث فيها تغير بحسب مواضعها فى الاعراب^(٤) . وللأعراب أثر فى اللغة العبرانية يتبينه الباحثون فى حالتى المفعول به وفى ضمير التبعة^(٥) ، على ان هذا الأثر ضئيل جدا ، فقد أوشكت تخلو لفة العهد القديم من الاعراب . غير ان علامة النصب فى العبرية القديمة هى الفتحة الطويلة التى نشأ عنها حرف الهاء ، والهاء المتطرفة فى هذه اللغة تشبه الألف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف المد ، وتظهر هذه فى آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما فى آخر الطرف المنصوب (ليل)^(٦) ، وتعنى (ليل) ، و (عتا)^(٧) وتعنى (حين) . وكما تلحق هذه العلامة الظروف ، فانها تلحق المصدر فينصب كما هو فى المفعول المطلق فى العبرية ، ولكنها فى هذه الحالة تكون متلوة بسم زائدة (للتسيم) الذى يقابل التووين فى العبرية ، مثال ذلك (يومام) وتعنى (يوما) و (حنّام) وتعنى (مجانا) ، والمتبع لشوارد النصوص فى اللغة العبرية ربما وجد آثارا تشير الى شئ يشبه الضمة والكسرة ، ولعلهما بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين فى العبرية القديمة^(٨) .

ويعمل المحدثون - وجلهم من المستشرقين - ظاهرة الاعراب فى

E. Littmann Inscriptions Leiden 1914 p. 37 ff. (٤)

(٥) ولفنسون ، تأريخ اللغات السامية ص ١٥ .

(٦) تكتب الهاء فى العبرية فى آخر الاسم ولا تلفظ .

(٧) ربما قابلت هذه الكلمة فى العبرية (حتى) فقد قرأ ابن مسعود (عتى حين) فى قوله تعالى (ليسجننه حتى حين) (يوسف ٣٥) وهى لغة هذيل التى نهاه عصر أن يقرئ الناس بها أنظر الزمخشري ، الكشاف ٤٦٨/٣ مطبعة الاستقامة ١٩٤٦ . وقراءة ابن مسعود من شواذ القراءات ، انظر ابن خالويه ، مختصر فى شواذ القرآن .

(٨) أنظر (النون فى اللغة العبرية) الجزء الثالث من مجلة كلية الآداب والعلوم ١٩٥٨ .

العربية وفي سائر اللغات السامية بخلو هذه اللغات من ادغام للكلمات أى وصل كلمة لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منهما كما فى اللغات الآرية^(٩) . وليس من حجة علمية تاريخية تثبت صحة هذه الدعوى ، والذي ثبت فى التحقيق العلمى ان فى العربية تراكيب كثيرة ، وانها استفادت من التركيب لتكثير المعانى والمباني ، وقد اعتمد البناء فى العربية على التركيب بصوره المختلفه ، وكان مذهب الخليل بن أحمد أن الكلمتين اذا ركبنا ولكل منهما معنى وحكم أصبح لهما بالتركيب حكم جديد^(١٠) . وتبع الخليل فى مقالته جمهور الكوفيين ومنهم الكسائي والفراء . ومن أجل ذلك فليس عدم التركيب علة فى الاعراب ، وذلك لوجود التركيب والاعراب فى العربية فى الوقت نفسه .

ويختلف الرأى فى دلالة الحركات على المعانى الاعرابية بين القدماء والمحدثين فى اللغة العربية . وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدامى هو الخليل بن أحمد ، ذكر سيويه^(١١) أن الخليل قال : « ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحروف ليوصل الى التكلم به والبناء هو الساكن لا زيادة فيه » . ولعل الجدل فى دلالة هذه الحركات على المعانى الاعرابية وعدم دلالتها على ذلك ، دار بين تلاميذ سيويه والكسائي فذهب جمهورهم مذهب الاول ، وذهب آخرون مذهب الثانى .

ويمثل رأى الذاهمين الى أن الحركات دوال على معان اعرابية ، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي فى الاشباه والنظائر^(١٢) قوله : « ان الاسماء لما كانت تتغيرها المعانى وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ولم يكن فى صورها وأبنيئها أدلة على هذه المعانى ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعانى وتدل عليها ليتسع لهم فى اللغة . يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » .

(٩) Carl Brockelmann, Grundriss, I. S. S.

(١٠) ابن جنى ، سر صناعة الاعراب - حرف السكاف - .

(١١) سيويه ، الكتاب ٣١٥/٢ .

(١٢) السيوطي ، الاشباه والنظائر ٧٦/١ - ٧٨ .

ويمثل رأى الطائفة الاخرى قطرب أبو علي محمد بن المستير وهو تلميذ سيويه ، قال قطرب : انما أعربت العرب كلامها ، لان الاسم فى حال يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للاسكان ، ليتبدل الكلام * ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ولم يجعلوا بين ساكنين فى حشو الكلمة ، ولا فى حشو بيت ولا بين أحرف متحركة ، لان فى اجتماع الساكنين يبطئون فى كثرة الحروف المتحركة ، ويستعجلون ، وتذهب الصلة فى كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الاسكان (١٣) .

وفى هذا الرأى توضيح وابانة لرأى الخليل الذى أسلفنا ذكره . وممن ذهب مذهب قطرب من المحدثين الدكتور ابراهيم انيس ، ولكنه حلا له أن يلتزم بالرأى مفصلاً فيه وكأنه أول من قال بهذا الرأى (١٤) . والوجه فى هذا الرأى ان هذه الزوائد الاعرابية يلجأ اليها لامور فنية (Technique) ، وهو أن الموسيقى والانسجام يستدعيان هذه الزوائد الاعرابية ، ومعنى هذا انه ليس للحركات الاعرابية مدلول ، وان الحركات لم تكن تحدد المعانى فى اذهان العرب الاقدمين ، وهى لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها فى كثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها (١٥) . ويرى الدكتور أنيس أن « النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الأعراب ، وقاسوا بعض الاصول ، رغبة منهم فى الوصول الى قواعد مطردة منسجمة » (١٦) . ثم انه يقتضى افتراضا لا يقوم على أساس علمى تاريخى ، فيقول : « ولعلهم تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية ، ففيها يفرق بين حالات الاسماء التى تسمى Cases ويرمز لها فى نهاية الاسماء برموز معينة » (١٧) . ولقد فاته أن اليونانية تختلف نحوا وطبيعة عن العربية ، ولم

(١٣) المصدر السابق ٧٩/١ .

(١٤) ابراهيم انيس ، من أسرار اللغة ص ١٤٢ .

(١٥) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(١٦) المصدر السابق ص ١٣٩ .

(١٧) المصدر السابق ص ١٧١ .

يكن واضح النحو عارفاً أو متأثراً باليونانية بأى وجه من الوجوه ، والقول بالتأثر باليونانية فى الثقافة العربية الإسلامية شائع عند الكتاب المصريين ، فالى مثل هذا ذهب كل من الدكتور طه حسين والاساذ أحمد أمين والدكتور ابراهيم مذكور^(١٨) والدكتور ابراهيم سلامة^(١٩) . وقد بنى ابراهيم مذكور رأيه فى تأثر النحو العربى بمنطق أرسطو على أمور :

(١) اعتبار القياس أصلاً من أصول النحو وتحديد ووضعه على نحو ما حدد القياس المنطقى ثم التشابه بين ما جاء من تقسيم الكلمة عند سيبويه الى اسم وفعل وحرف وما جاء من تقسيمها عند أرسطو الى اسم وفعل وأداة .

(٢) ظهور النحو السريانى فى مدرسة نصيبين فى القرن السادس الميلادى على مقربة من التاحة العرب الاولين ، ثم ترجمة عبدالله بن المقفع لمنطق أرسطو التى تعد كما يقول ثروة جديدة نقلت الى العالم الاسلامى ، ثم تلمذة بعض السريان على الخليل بن أحمد كخمين بن اسحاق الطيب السريانى المعروف الذى كان له أثر فى نقل علوم اليونان . وقرر الدكتور أن حيناً قد عاصر الخليل وسيبويه ، وليس مذكور أول من ذهب الى هذا ، فقد قال بهذه المقالة قداماً ومحدثون .

ومن القدامى ممن ذهب الى هذا ابن أبى أصيبعة فى (عيون الانباء)^(٢٠) ونقل هذه الرواية القفطى^(٢١) ، وقد ذهب الاساذ أحمد أمين هذا المذهب من المحدثين^(٢٢) ، ورد هذه الأقوال يقوم على أن الخليل لم يعاصر حيناً فوفاة الخليل كانت فى سنة ١٨٠ أو قبل ذلك أو بعده بقليل ، وأن ولادة حين لم تكن قبل سنة ١٩٤ ، فلم يدرك اذا حين الخليل ولا

(١٨) ابراهيم مذكور ، مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ (منطق ارسطو والنحو العربى) .

(١٩) ابراهيم سلامة . بلاغة ارسطو بين العرب واليونان .

(٢٠) ابن أبى أصيبعة ، عيون الانباء ١٨٤/١ .

(٢١) القفطى ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ١١٧ .

(٢٢) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ٣٩٨/١ .

رأه ، وانزعم باطل من أساسه . والقول بهذا التأثير نتيجة تقليد هؤلاء
المحدثين للمستشرقين في أقوالهم ، فإلى مثل هذا ذهب (دى بور) في تاريخ
الفلسفة في الاسلام (٢٣) .

ويستدل الدكتور ابراهيم أنيس بخلو اللهجات الاقليمية الحديثة من
الاعراب على عدم شيوعه في اللغة العربية في مراحلها الاولى (٢٤) ، على اننا
لا يمكننا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلا على ان
الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة في العربية الاولى (٢٥) ، وقد رأينا أن
اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال اعرابها في العهود التي تعاقبت
على مراحلها الاولى . وقد أطال الدكتور علي عبدالواحد وافي في الرد على
زميله الدكتور أنيس في كتابه « فقه اللغة » .

وقد عرض الاستاذ ابراهيم مصطفى للموضوع نفسه ، فقرر أن
الحركات دوال على معان ، بل ان من اصول العربية الدلالة بالحركات على
المعاني ، ثم هو يقول « وما كان للعرب أن يلزموا هذه الحركات ويحرصوا
عليها كل الحرص ، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئا . ونحن نعلم أن
العربية لغة « الایجاز » وأن العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل الى ذلك
ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم
تكن الحاجة ملجئة اليها . وعنده أن الفتحة ليست علامة اعراب ، ولا دالة
على شيء ، وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهي بمثابة
السكون عند العامة (٢٦) وأما الضمة فهي علم الاسناد أما الكسرة فانها علم
الاضافة (٢٧) . ورأى الاستاذ ابراهيم مصطفى في دلالة الفتحة غريب ، فقد
دلت المقارنات على أن الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات

(٢٣) دى بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام .

(٢٤) ابراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ص ١٣٩ .

(٢٥) علي عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ص ١٢ .

(٢٦) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ٥٠ .

(٢٧) المصدر السابق ٨٠ - ١٠٠ .

السامية ، ولم يكن هناك سبب للفتحة « المستحبة » كما أسماها . ويرى الاستاذ Marcel Cohen أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا فى اللغة الفصيحة الادبية . أما لغة التخاطب ، فلم تكن معربة (٢٨) . وهو يستدل على ذلك بأن قواعد هذا شأنها فى الشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن فى لغة التخاطب ، وإنما هو من اختصاص اللغة الفصيحة ، لغة الصفوة المهذبة . أما الاستاذ (فك) المستشرق الالماني فيرى أن الحركات صفة من صفات العربية ، وبسمة من أقدم سماتها اللغوية ، والتي فقدت فى أخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة (٢٩) . وعنده ان العربية حافظت فى مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الاقليمية فى الحواضر .

وأريد الآن أن أبسط رأيا ، وهو أن العربية التى ورثناها ، والتى نعرف من أمرها الشيء الثابت الصحيح ، لا تمتدئ الاسلام فى التاريخ الزمنى كثيرا . ومعنى هذا ان العربية المثلة فى لغة التنزيل ، هى العربية التى تقيم عليها البحث والدرس ، وما العربية الجاهلية الا شئ من هذه العربية الاسلامية ، ولا أريد أن أقول بنظرية الانتحال ، ففى الجاهلية أدب كثير فيه الصحيح وفيه الموضوع ، ولكنى لا أستطيع أن أجعل مادة للدرس والبحث ، هذه النصوص الجاهلية التى لا نعرف عن بدايتها ونهايتها كثيرا ، وأترك هذه النصوص الاسلامية وفى مقدمتها كتاب الله . والعربية - ممثلة فى القرآن - لغة عالية سلخت من تاريخها مراحل طويلة ، حتى انتهت الى هذا الشكل من الكمال . والبحث فى تاريخ القرآن يدلنا على أن لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللهجات الاقليمية . وأريد أن أخلص الى أن هذه اللغة العالية قد ثبتت من

(٢٨) Marcel Cohen, Les Langues du monde عن فقه اللغة

للدكتور علي عبدالواحد وفى ص ١٣٠ .

(٢٩) « يوهان فك » ، العربية (ترجمة النجار) ص ٣ .

أصول اللغة وقواعدها ، وانها التزمت الاعراب الذى لم يكن شائعاً ومستعملاً على نحو ما التزمت به نصوص القرآن وسنأتى على اثبات هذا الرأى • ومعنى هذا ان العربية فى لهجاتها المتعددة لم تكن متقيدة بهذه الضوابط الثقيلة ، ولكن هذه اللغة هى التى جعلت الاعراب السمة الملازمة للعربية ، التى أريد لها أن تكون كذلك •

والبحث فى تاريخ القرآن يدلنا على الجهود التى بذلت كى تسود لغة التنزيل فى وضوحها والتزامها الاعراب ، وقد أشرنا الى خبر قراءة ابن مسعود حين سمعها عمر بن الخطاب •

وما استطاعت لغة القرآن والحديث أن تأتى على اللهجات الدارجة المحلية ، أو قل على العربية المستعملة السهلة ، والتى تتخفف من قيد الضوابط الثقيل • ومن هنا فالعربية شفعية التعبير منذ أن كانت ، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب فى كتابته ، ملتزمة بضوابط لاعراب ، ولغة اخرى يقولها الناس ويستعملونها دون أن يلزموا أنفسهم ببناء هذه الضوابط ، وربما تعدى الامر مسألة الاعراب الى الالفاظ نفسها • فقد يكون فى ألفاظ الثانية ما هو بعيد عن العربية ، وانه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب أنفسهم بغيرهم من الاقوام والاتصال حاصل فى كل عصر ، فالعرب فى أطراف الجزيرة قد تهاهم أن يتاخموا أقواما غيرهم ، فلم تسلم بذلك سليقتهم • ومن أجل ذلك حرص عمر على الأخذ بقراءة تعتمد على لغة قریش ، والى مثل هذا كان يرمى عثمان من جمعه القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فينبذوا ما كان عندهم مما هو مغاير لما اتفق عليه • ولا يعدم الباحث أن يجد فى كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب وكتب النحو من هذا الباب شيئا كثيرا من القراءات • ومرد ذلك أن الناس قد فطروا على أساليب فى التعبير خاصة بهم ، وبذلك قرأوا ، وأن طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة اعتبرت من شواذ القراءات • والشواذ من القراءات هى ما خلا تلك التى انتشرت بواسطة القارىء المشهور

ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٢هـ ، كقراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب واختيار الحسن البصري وأمثالهم ، وهى تعد فى باب الشواذ (٣٢) ، وقد ألف غير واحد من الاقدمين فى موضوع الشواذ كالعكبرى فى كتابه اعراب القراءات الشاذة ، والاهوازى وابن عطية والمهدى ولم نعرف مؤلفات هؤلاء ولم يصل إلينا منها شيء ، كما اندثر كتاب النوامع فى القراءات وكتاب المحتوى للدانى .

ومن أمثال هذه الشواذ التى لا تدل الا على اللهجات الدارجة أو اللهجات الاقليمية ما جاء من شواذ سورة الفاتحة :

قرأ أبو السواد الغنوى « هياك (٣٣) بالهاء المكسورة فى الآية الخامسة « اياك نعبد » وقد قرأ عمرو بن فايد « اياك » بالتخفيف ، وقرأ جناح بن حبيش « نستعين » بكسر النون (٣٤) .

وجاء من شواذ القرة : قراءة يحيى بن وثاب « ولا تقربا هذه الشجرة » بكسر الشين وبالياء حكاه أبو زيد (٣٥) . وقراءة الشجرة بابدال الياء من الجيم اثبات للهجة من اللهجات التى تلتزم هذا الابدال الذى ما زال حاصلا فى لهجات القرويين فى جنوبى العراق ، وقد قرئ « بين المر وزوجه » بدون همزة مع تشديد الراء (٣٦) .

وقراء مسلمة بن محارب « بعولهن » من قوله تعالى : « وبعولتهن أحق بردهن » بجزم الراء (٣٧) ، ومعلوم أن « البعولة » جمع « بعل » كما أن « السهولة » جمع « سهل » وعندى أن اختلاف القوم فى صيغ الجموع ، راجع الى اللهجات الاقليمية ومعنى ذلك ان كل قبيلة ألقت صيغة من صيغ

-
- (٣٢) ابن خالويه ، مختصر فى شواذ القرآن (المقدمة) .
 - (٣٣) المصدر نفسه « شواذ سورة الفاتحة » .
 - (٣٤) المصدر نفسه .
 - (٣٥) المصدر نفسه (شواذ سورة البقرة) .
 - (٣٦) المصدر السابق (شواذ سورة البقرة) .
 - (٣٧) المصدر السابق .

الجمع لاسم مين ، فى حين أن القبيلة الاخرى ألفت صيغة اخرى (٣٨) .
 وجاء فى سورة المائدة قراءة بعضهم « لعبا » بكسر اللام واسكان العين
 فى قوله تعالى « واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا » .
 وجاء فى شواذ سورة الاعراف « الجمل » فى قوله تعالى : « حتى يلج
 الجمل فى سم الخياط » بضم الجيم وتشديد الميم وفتحها ، وهى قراءة ابن
 عباس (٣٩) ، ومعلوم ان صيغة (فعل) من صيغ جموع التكسير بضم الفاء
 وفتح العين وتشديدها ، لا يكون مفردا الا فاعلا مثل « زاعم » وجمعها
 « ركع » ، فى حين أن مفرد (جمل) هو (الجمل) بضم فاسكان ومعناه
 الجبل (٤٠) . وقد قرأ أبو السمال (الجمل) بفتح الجيم واسكان الميم (٤١) .
 ومن شواذ سورة طه قراءة عكرمة « اهس » (٤٢) بالنسبة فى قوله
 تعالى : « اهس بها على غمى » .

ومن شواذ سورة الانبياء قراءة ابن عباس « حصب » (٤٣) ، بالضاد فى
 قوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » وقرئ « حصب »
 باسكان الصاد ، وقرئ « حطب » بالطاء .

ومن شواذ سورة الحج جاء فى كلمة « صلوات » احدى عشرة
 قراءة (٤٤) فى قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
 صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله » . والقراءات هى

(٣٨) المصدر السابق (شواذ سورة المائدة) .
 (٣٩) الزمخشري ، الكشاف ١٠٣/٣ ؛ وانظر اللسان مادة
 « جمل » .
 (٤٠) حدث فى انجيل متى ٢٤/١٩ تصحيح مثل هذا بين دلالة
 « الجمل » على الجبل دون الحيوان المعروف . انظر :
 Bar Bahlül, Lexicon 500.

(٤١) ابن خالويه ، مختصر فى شواذ القرآن .
 (٤٢) المصدر السابق (شواذ سورة طه) .
 (٤٣) الزمخشري ، الكشاف ١٣٦/٣ .
 (٤٤) ابن خالويه ، مختصر شواذ القرآن (شواذ سورة الحج) .

« صلوات » بفتحين وهى « صلوات » بضمين على قراءة أبى العالية والكلبى والضحاك ، و « صلوات » بضم فاسكان على قراءة جعفر بن محمد وهى (صلون) بضم الصاد فلام فواو ونون و « صلوب » بالباء ، و « صلوت » بفتح فاسكان ، و « صلوات » بضم الصاد واسكان اللام وثاء مثلثة فى الآخر و « صلوثا »^(٤٥) بناء فى الآخر مع ألف الاطلاق . والكلمة جمع صلاة وهى تعنى الكنيسة والكلمة سريانية^(٤٦) بخلاف ما ذهب اليه الزمخشري من أنها عبرانية ، وتذيل الكلمة بالألف بقصد التعريف . ولعل صيغ جموع التكسير يمكن أن ترد الى صيغ محدودة ، وذلك أن بعضا منها يحصل من صيغة اخرى باستخدام المد مثلا ، فكلمة « تارة » تجمع على « تير » ، ولكنها تصبح « تيار » باطلاق الفتحة^(٤٧) . وهذا يدل على أن صيغ جموع التكسير وصيورتها على هذه الكثرة ناتج عن اللهجات الاقليمية ، اذ من المعلوم أن أقليما من الاقاليم يطيل فى الحركات حتى تصبح مدا ، ومن هذه ايضا « أسد » بضم الهززة واسكان السين أو ضمها ، فاذا اشبع الضم على السين صار مدا وصارت الكلمة « أسود » ، ومثل هذا « أجة » و « أجاء » وكثير غيره .

ويدلنا على اشارة هذه الصيغ الى موضوع اللهجات ما يوجد فى اللغة الحبشية من صيغ جموع التكسير ودلالاتها على الموضوع نفسه^(٤٨) .

ونستطيع أن نوجز أن القراءات فى القرآن تقوم على تغيير فى الحركات وتغيير فى الابنية والصيغ وتغيير فى الاصوات وتغيير فى الالفاظ ، ومجموع هذا يدل على أن طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها الى لغة التنزيل ، ولم تجد فى ذلك جهود التوحيد . والقراء يختلفون حتى فى

(٤٥) الزمخشري ، الكشف ١٦٠/٣ .

(٤٦) الفرداحى ، اللباب مادة (صل) .

(٤٧) الجوهري ، الصحاح مادة (تير) .

(٤٨)

موضوع الأعراب الذي التزمه جميعهم ، فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه هذا^(٤٩) . وقد حمل هذا على انه خطأ من كتاب الوحي .
 فقد روى أبو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي المتوفى سنة ١٩٣ .
 عن هشام بن عروة بن الزبير المتوفى سنة ١٤٦ . عن أبيه عن عائشة انها
 قالت : ثلاث أحرف في كتاب الله هن من خطأ الكتاب وهي قوله تعالى : « ان
 هذا لساحران »^(٥٠) ، وفي قوله تعالى : « لكن الراسخون في العلم منهم
 والمؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » ، والمقيمين الصلاة والمؤتون
 الزكاة »^(٥١) ، وفي قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا
 والصابئون »^(٥٢) . وقد حقق الحويون في حديث عائشة حول غلط
 الكاتب ، وحديث عثمان في قوله : « أرى فيه لحنا » ، فاعتلوا لكل حرف
 منها ، واستشهدوا الشعر ، فقالوا في « ان هذا لساحران » هي لغة بلحادث
 ابن كعب^(٥٣) ، فهم يقولون : « مررت برجلان » ، و « قبضت منه درهمان »
 و « جلست بين يديه » و « ركبت علاه » وأنشدوا لهوهر الجارثي^(٥٤) :

تروود منا بين أذناه ضربة دعتة الى هابي التراب عقيم

كما اعتلوا لسائر المواضع السابقة علة مناسبة .

وشيوع اللحن في مختلف الطبقات ، دليل على أن هذا الأعراب نقيض
 لا تحتمله سليقة العرب اللغوية ، وكان ذلك في صدر الاسلام وقبل أن يتم
 اختلاط العرب بغيرهم ذلك الاختلاط العظيم الذي تم في العصور المتأخرة ،
 ثم ان شيوع اللحن لم تسلم منه طبقة المثقفين ولا العلية من القوم ولا العلماء ،
 فلم تسلم لهشيم بن بشير محدث أهل العراق سليقته اللغوية ، فكان يلحن

(٤٩) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٩ .

(٥٠) سورة طه ٦٣ .

(٥١) سورة النساء ١٦٤ .

(٥٢) سورة المائدة ٦٩ .

(٥٣) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ٣٦ .

(٥٤) أبو زيد ، النوادر ٥٨ .

فى كلامه ويشير الجاحظ الى مخالفته المحدثين ما التزم من قواعد الاعراب (٥٥) .

وكان عبد الملك بن مروان يحذر أبناءه من اللحن ، وكان يقول لهم : « ان اللحن فى منطق الشريف أفصح من آثار الجدرى فى الوجه ، وأفصح من الشقى فى ثوب نفيس » (٥٦) .

وشيوع اللحن فى زمان عمر بن الخطاب معروف ، فقد روى أن عمر سمع اعرابيا يقرأ قوله تعالى : « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بجر رسوله فنبهه على الخطأ ، وكان ذلك سببا فى وضع النحو ان صحت الاخبار (٥٧) .

والاخبار فى وضع النحو كثيرة لا مجال لذكرها هنا ، ولكنها فى مجموعها تشير الى أن اللحن فى هذه الفترة المتقدمة كان شائعا ، وشيوعه فى قراءة القرآن مما عجل فى وضع هذه الضوابط النحوية للحفاظ على لغة التنزيل من العبث . وشيوع اللحن دليل ايضا على ان للقوم لغة يتخففون فيها من الضوابط الثقيلة وهى اللغة المستعملة وهى لغة الكثير من الناس ، ولغة التخاطب فى الحياة اليومية .

على ان هذه اللغة العامة التى استعملها الناس لم تكن بعيدة عن لغة الكتابة فى مادتها اللغوية ، وكان من شرط هذه اللغة مجانية الاعراب ، والى هذا يشير الجاحظ فى قوله : « وان وجدتم فى هذا الكتاب لحنأ أو كلاما غير معرب ، ولفظا معدولا عن جهته ، فاعلموا اننا تركنا ذلك ، لان الاعراب يبغيض هذا الباب ويخرجه عن حده الا أن احكى كلاما من كلام متعاقلى النجلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هرون وأشباهه » (٥٨) .

والمشكلة اللغوية قائمة فى عصرنا كما أسلفنا ، وذلك لان العربية

(٥٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ٥/٣ .

(٥٦) ابن قتيبة . عيون الاخبار ١٥٣/٣ .

(٥٧) ابن الانبارى ، نزهة الالباء ٤ .

(٥٨) الجاحظ ، البخلاء (طبعة الجاوى) ص ٣٣ .

الفصيحة المكتوبة هي غير العربية المستعملة فى التخاطب وغير اللهجات الدارجة التى لم ترق الى لغة المثقفين وهى فى مادتها نماذج متأخرة متدهورة ، وليس قيام المشكلة على هذا الوجه بمستحيل الحل . فشيوع الشذافة وتيسير المعرفة لآبناء العربية على شكل عام كفى برفع مستوى اللغة الى الحد الذى كانت عليه العربية فى مختلف عصورها ، فلم يسلم عصر من عصور التاريخ اللغوى من ازدواج فى اللغة ، وقد شاهد علماء العربية الاقدمون مثل الخليل بن أحمد وسيبويه والكسائى وعيسى بن عمر وغيرهم لغة عامية يستعملها جمهور الناس ، ولقد أثر عن الكسائى انه وضع رسالة فى لحن العامة . ولغة العامة غير لغة العلية فقد ذكر أبو هلال العسكري : ان العامى اذا كلمته بكلام العلية سخر منك وزرى عليك ، كما روى عن بعضهم انه قال لبعض العامة : بم كنتم تنقلون^(٥٩) ، البارحة ؟ فقال : « بالحمالين » ولو قال له : « ايش كان نقلكم لسلم من سخرته » فيبغى أن يخاطب كل فريق بما يعرفون^(٦٠) .

وربما كانت العامية الدارجة قريبة من الفصيحة لغة الكتابة ، وذلك بسلاسة أبنيتها وبتخير ألفاظها الصحاح العربية ، ولكنها متحللة من ضوابط الاعراب ، فالتكلمون بها يلتزمون الاسكان فى جميع صورها ، وهذا ما نصبوا اليه فى تقريب العامية من الفصح . وسيل هذا كما أسلفنا نشر المعرفة بين الناس والزمان كفى بتحقيق هذا .

(٥٩) أى تاكلون النخل كاللوز والجوز والنمستق .
(٦٠) أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين (طبعة الاستانة)

في تاريخ المشكلة اللغوية

(٢)

للغة تاريخ تبين فيه أصل اللغة ونشوءها وتطورها والمراحل التي قطعتها في عمرها الطويل حتى نصل في هذا البحث الى ما آلت اليه في عصرنا الحاضر ، كما ان لسائر العلوم تاريخا نهتدى فيه للاصول التي قامت عليها تلك العلوم ، ولسائر المراحل التي مرت عليها . والبحث في العربية يؤدي بنا الى التزام الناحية التاريخية ، واذا قلت : ان اللغة العربية بدع بين اللغات فلا أراني أعدو الصواب كثيرا ، ذلك اننا لا نعرف تاريخ هذه اللغة في مراحلها الاولى اذ ليس من المعقول أن هذه اللغة بدأت بهذه النصوص الشعرية الجاهلية . فهذه النصوص الجاهلية تقدم للباحث نماذج عالية من العربية ، وهذه النماذج لا يمكن أن تكون بأى حال من الاحوال من البدايات في اللغة ، فلا بد أن تكون العربية قد قطعت قبل هذه النصوص مراحل اخرى من تاريخها لم تكن فيها على هذا المستوى العالي من حيث قدرة اللغة على اداء المعاني ومن توفر المادة العربية للتعبير عن النواحي المادية وانصرافها الى المعنويات من الامور توسعا ومجازا . ولا اريد أن أخوض في موضوع الصحيح والمنحول من هذه النصوص ، فليس ذلك بضائر قيمة النصوص اللغوية ، وانها صورة للحياة الجاهلية ، ذلك ان وجود المنحول من هذه النصوص لا يمنع من وجود الصحيح ونسبته الى قائله .

ولا بد أن نبين ان الآثار الادبية في العصر الجاهلي شعرية في الغالب ، والنثرية منها قليلة جدا ، وهى ان وجدت ، فلا يصح الاطمئنان اليها . والى هذا ذهب الكثيرون من الذين عنوا بتاريخ الادب الجاهلي . ولا اريد أن أخضع الامثال القديمة الجاهلية للمادة التي لا يطمأن اليها ، فالامثال - على انها نثرية - لا نستطيع أن نعددها من النثر العالي الذي يقصد اليه الباحثون في تاريخ الادب ، ذلك انها مادة شعبية تعكس التجارب التي مرت بها المجتمعات القديمة . والامثال تعرض لآلية أمة من الامم ولاسيما البدائية منها .

على ان الباحث في النصوص الشعرية الجاهلية واجد فيها من عيوب

النظم شيئاً لا يجده في النصوص الشعرية في العهود الإسلامية ، وهذه العيوب تتعلق بالحفاظ على الوزن في الشعر .

وهذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها إلا بالناحية التاريخية . واعنى بذلك ان هذه النصوص لم تكتمل موسيقاها وانها مرحلة من مراحل التطور الفني من حيث المبنى في القصيدة العربية . وانت واجد هذا الخروج عن ضوابط الوزن عند سائر الشعراء الجاهليين ، فدونك معلقة امرئ القيس لتجد فيها قوله :

إذا قامتْا تَضُوعُ المسكِ مِنْهُمَا نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وقوله :

ألا رب يومٍ لكِ مِنْهُنَّ صالحٍ ولاسيما يوم بدارة جلجل
وقوله :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
وقوله :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلعج البدين في حبي مكلل
وقوله :

قعدت له وصحبتى بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمل
وانت واجد شيئاً من هذه المخالفات في شعر طرفة بن العبد كقوله :
كأن البرين والدماليج علقت على عشر أو خروج لم يخضد
وقوله :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فان القرين بالمقارن مقتد
ومنه ما جاء في قصيدة زهير ، كقوله :

رعوا ما رعوا ظمئهم ثم أوردوا غماراً تفرى بالسلاح وبالدم
وهذه من السمات البارزة في القصيدة الجاهلية ، وربما كان منه في شعر المخضرمين من الشعراء . وهو من غير شك دليل على ان القصيدة العربية الجاهلية في طور التكوين من الناحية الفنية Technique وانها منتقلة

من مرحلة الى اخرى وفي كل مرحلة من هذه المراحل تستفيد شيئاً لاستكمال عناصرها الفنية .

ولم يؤثر عن الجاهليين نصوص ثرية كثيرة كما هي الحال في الشعر ، وسبب ذلك معروف عند الباحثين في تاريخ الادب الجاهلي ، وليس من غرضنا في هذه المقالة أن نعرض لهذا الموضوع . على انه لا بد أن نقرر ان أمة تسع لغتها لهذه النصوص الجميلة العالية من الادب لا بد أن يكون لديها شيء من النثر ، ولكن هذه النصوص الثرية التي نفترض وجودها لم تصل إلينا . اذا فالباحث في النثر العربي مضطر أن يتدبّر بالقرآن الكريم ويعد نصوص القرآن بداية هذا اللون الادبي من الناحية الواقعية ، وهو مضطر ايضاً أن يفترض ان النثر العربي لا بد أن يكون قد مر بمراحل تاريخية .

ولغة القرآن واسلوبه يطلعان الباحث على مستوى رفيع من حيث المبنى وغزارة المادة اللغوية ، ومن حيث قدرة هذه القوالب اللفظية على الاعراب عن دقائق المعنى ، وخواطر الفكر ، ولعل هذا كان السر الذي حدا بالباحثين الى القول بالاعجاز في القرآن .

والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على أن لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللهجات الاقليمية ، وأطاعت المجتمع العربي الاسلامي الاول على نموذج عال لهذه اللغة ، فأخذوا بها . وفي القرآن ينكشف الستار عن عالم فكري تحت شعار التوحيد لأول مرة في تاريخ اللغة العربية ، بحيث لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة الا نموذجاً ضعيفاً له ، من حيث ظاهر وسائل الاسلوب ، ومسالك المجاز والدلالة^(١) . والى مثل هذا ذهب المستشرق الفرنسي الكبير (ريجيس بلاشير) في محاضرة له ، فهو يقول : ومنذ ظهر الاسلام لم تعد اللغة العربية آلة عادية للكلام والتخاطب ، ولا لغة انسانية محضة بل شيئاً آخر . نعم لن

(١) يوهان فك ، العربية ٥ .

نفهم جوهر العربية وكيانها ، بل لن نستطيع لها فهماً ان نحن أهملنا أهمية هذا « الحدث القرآني » هذا الحدث الذي بفضلته تجاوزت اللغة حدود الانسانية المحضه^(٢) .

والبحث في تاريخ العربية يدلنا على الجهود التي بذلت كي تسود لغة التنزيل في وضوحها والتزامها الاعراب ، ولتكون لغة عامة يعرفها كل العرب لا أثر فيها للغات الخاصة التي اعتاد كل طائفة منهم استعمالها والقراءة بها ، فقد ورد ان عمر بن الخطاب قد سمع رجلاً يقرأ (عتي حين) في قوله تعالى : (ليسجنه حتى حين)^(٣) ، فقال من أقرأك ؟ قال ، ابن مسعود ، فكتب اليه : ان الله أنزل هذا القرآن عربياً ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل^(٤) .

وما استطاعت لغة القرآن والحديث أن تأتي على اللهجات الدارجة المحلية ، أو قل على العربية المستعملة السهلة ، والتي تخفف من قيود الضوابط الاعرابية الثقيلة . ومن هنا فالعربية شفعية التعبير منذ أن كانت ، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ، وهي ملتزمة بضوابط الاعراب ، ولغة أخرى يقولها الناس ويستعملونها دون أن يلزموا أنفسهم بعناء هذه الضوابط ، وربما تعدى الامر مسألة الاعراب الى الالفاظ نفسها ، فقد يكون في ألفاظ الثانية ما هو بعيد عن العربية ، وانه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب أنفسهم بغيرهم من الأقوام ، والاتصال حاصل في كل عصر ، فقد تهيأ للعرب في أطراف شبه الجزيرة العربية أن يتأخموا أقواماً غيرهم ، فلم تسلم بذلك سليقتهم . ومن أجل ذلك حرص عمر على الأخذ بقراءة تعتمد على لغة قريش ، والى مثل هذا كان يرمى عثمان من جمعه القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فنبذوا ما كان عندهم مما هو مغاير لما اتفق عليه .

(٢) ر. بلاشير ، مجلة الفكر التونسية العدد الخامس ١٩٦٠ ص ١٦ .

(٣) يوسف ٣٥ .

(٤) الزمخشري ، الكشاف ٤٦٨/٣ .

ولا يعدم الباحث أن يجد فى كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب وكتب النحو من هذا الباب شيئاً كثيراً من القراءات • ومرد ذلك ان الناس قد اعتادوا على أساليب فى التعبير خاصة بهم ، وبذلك قرأوا • وان طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة قد اعتبرت من شواذ القراءات • وتبين من البحث فى لغة القرآن ان هذا الحدث القرآنى العظيم قد عمل على توحيد العربية وطبعها بطابع خاص فيه الشمول وفيه العموم بحيث تسير لهذه اللغة أن تكون لغة العرب عامة وانها تغلبت على الكثير من معالم اللهجات السائرة • ووجود اللهجات السائرة وتصلها عن التمسك بقيود الاعراب دليل على ظهور مرحلة جديدة فى تاريخ العربية أوشكت أن تعم لو لا ما كان من أمر لغة التنزيل • وفى هذه المرحلة الجديدة تخففت العربية من ضوابط الاعراب •

على ان المعلومات التى بين أيدينا عن اللهجات الخاصة لا تعدى الاشارات الموجزة والعلامات التى لا تعدو أن تكون ملاحظات لا تكون فى مجموعها مادة كافية لرسم صورة اللهجة من اللهجات فى بداية القرن الاول الهجرى ، ذلك ان النحويين واللغويين قد جمعوا هذه الملاحظات منذ أن بدأوا فى تثبيت قواعد العربية ، وظلت هذه الملاحظات تتناقل من جيل الى جيل دون تصنيف وضبط بحيث لا نستطيع أن ننسب على وجه التحديد أية اشارة من هذه الاشارات اللغوية الى أصحابها ، والامثال كثيرة للبرهنة على ترددهم وعدم تحريرهم وجه الصواب فى هذه الاشارات بحيث يبدو فيها للباحث أثر الاصطناع والكذب والتقليد فقد جاء فى كتب الادب قول هوibr الحارثي :

تروود منا بين أذناه ضربة دعته الى هابى التراب عقيم^(٥)

وفى البيت التزام المتنئى الالف فى جميع الاحوال ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب ، وهى عند هؤلاء قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفاً

(٥) لسان العرب ١٠/٦٤ : ١٦٣/١٩ : ٢٢٦/٢٠ •

فيقولون : أخذت الدرهمان ، واشترت ثوبان^(٦) . وفي هذه اللغة ان الف حرفي الجر (الى) و (على) تبقى على حالها اذا كان مدخولها ضمير غائب أو مخاطب ، كما جاء في النوادر لابن زيد الانصارى ، ان المفضل الضبي ذكر لبعض أهل اليمن قوله :

أى قلوص راكب تراها طارو علاهن فطر علاها^(٧)

ولم ينسب السيوطى هذه اللغة لبنى الحارث بن كعب وحدهم ، فقد عزاها لبنى العنبر وبنى الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومزدادة وغدرة^(٨) .

وهذه الاشارات لا تتجاوز مسائل الابدال والقلب وسائر الحركات وما يتعلق بشئ قليل من الامور الصوتية ، ولم يعدها بعضهم من المستساغ المقبول ، فالسيوطى يحشرها فى باب « الردى المذموم من اللغات »^(٩) كالشكشة والكسكية والتلثة والغنة والفضحة والعجمجة وغيرها . كما انها غير منسوبة نسبة صحيحة كما أشرنا ، فالغنة لغة قيس وتميم عند السيوطى ، وهى تعرض فى لغة قضاة عند الثعالبي^(١٠) ، وفى لسان العرب غير هذا^(١١) .

واذا كانت هذه اللهجات لا تعطى الا صورة شوهاء غير كاملة لمرحلة لغوية فى تاريخ العربية ، فهل لنا أن نجد ذلك فى تاريخ اللهجات العربية الجنوبية كالمعينية والحمرية والسبئية أو فى اللحيانية والتمودية والصفوية والنبطية ؟ والجواب عن هذا السؤال ان بين هذه اللهجات جميعها وبين العربية الفصيحة كما عرفناها فى لغة القرآن أو فى لغة ما صح من النصوص

(٦) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ابن فارس ، الصحاحى ٢٠ .

(٨) أبو زيد ، النوادر ٥٨ ؛ ابن فارس ، الصحاحى ٢٠ .

(٩) السيوطى ، مع الهوامع ٤٠/١ .

(١٠) السيوطى ، المزهر ٢٢١/١ .

(١١) الثعالبي ، فقه اللغة .

(١٢) لسان العرب : قال الفراء : تميم وقيس واسد ومن جاورهم يجعلون الف (أن) اذا كانت مفتوحة عيناً .

الجاهلية فوفقاً بعيدة ، ومعنى ذلك انه ليس من المعقول اتخاذ أية لهجة من هذه اللهجات صورة للعربية الاولى ، أو صورة للمرحلة التي سبقت الفصحى المعروفة في لغة القرن الاول الهجرى . ونحن نظرق هذا السيل لعدم توفر النصوص الصحيحة المدونة في هذه المرحلة اللغوية التي نشدها ، ثم اننا نجرب هذه التجربة لان بين أيدينا من هذه اللهجات نصوصاً مكتوبة وهى النقوش التي اهدى لها العلماء فى بحوثهم التنقيية . على ان طائفة من هذه النقوش مكتوبة بالآرامية وهى اللغة الثقافية كما هى الحال فى النقوش النبطية^(١٢) ، فقد كتب النبط نقوشهم بالآرامية وان كانت لغتهم عربية^(١٣) .

وبتين من هذا العرض ان المواد الضرورية لم تتوفر لنا لمعرفة المرحلة اللغوية التى سبقت عصر القرآن ، فلا بد اذن أن نسلك سبيلاً آخر للوصول الى شئ مما نصبو اليه ، وذلك بالرجوع الى نصوص العربية المثبتة فى كتب اللغة والادب والنحو ونستقرئها استقراءً دقيقاً لنخلص الى موضوعات تؤلف منها مادة لغوية اتصفت بها المرحلة السابقة لعصر القرآن .

وهذه المادة اللغوية تشتمل على معلومات تتعلق بالابنية والصيغ والاوزان كما تتعلق بمسائل خاصة ببناء الكلمة فى العربية وكيف توفر لبنية هذه الكلمة الاسجاء والتكافؤ الموسيقى ، ولنعرض الآن لهذه المسائل .

(١) الابتداء :

والذى نلاحظه أن العربية لا تستسيع الابتداء بالساكين من الحروف ، ولذلك قرر الخليل بن أحمد أن « حرف اللسان لا ينطلق بالساكين من الحروف »^(١٤) . والعربية لا تجيز هذا كما أجازت ذلك اللغات الاجنبية الكثيرة ، ولهذا يستعان بالهمزة المفتوحة للتوصل الى النطق بالساكين متخذة وسيلة أو قل معبراً الى هذا الساكن من الحروف ليظهر فى سكونه .

(١٢) Dhorme, Langue et écriture sémitique.

(١٣) دوسو ، تاريخ العرب فى سوريا ٢٧ .

(١٤) الخليل ، الجزء المطبوع من كتاب العين ص ٢ عن المخزومى فى الخليل بن أحمد الفراهيدى ١٧٦ .

وكان يقول - بعد تمثيله للخماسي من الافعال :- « الالف التى فى اسحنكك واقشعر واسخنفر واسبكر^(١٥) ليست من أصل البناء ، وانما ادخلت هذه الالفات فى الافعال وأمثالها من الكلام لتكون عمادا وسلما للسان الى الحرف الساكن »^(١٥) .

وسأل الخليل جماعة فقال : كيف تلفظون بالحرف الساكن ، نحو ياء غلامى وباء اضرب ودال قد ؟ فقالوا له : نقول ياء وباء ودال ، فلم تعجبه اجابتهم ، لانهم انما لفظوا بالاسم ولم يلفظوا بالحرف ولم يحكوه ، كما هو فى غلامى واضرب وقد . فقال لهم : اقول : اب واى واد ، فالحق الفأ موصولة . قال : كذلك أراهم صنعوا بالساكن ، ألا تراهم قالوا : ابن واسم حيث أسكنوا الباء والسين ، وانت لا تستطيع أن تكلم بساكن فى اول الاسم كما لا تصل الى اللفظ بهذه السواكن فألحقت الفأ حتى وصلت الى اللفظ بها ، فكذلك هذه الالفات حتى تصل الى اللفظ بها كما ألحقت المسكن الاول فى الاسم^(١٦) .

والكلمة العربية اتصفت بالتكافؤ والانسجام بين أجزائها فى الحركات والاصوات ، ومن أجل ذلك يؤتى بالهمزة التى يستعان بها على النطق بالساكن مكسورة أو مفتوحة ، أو مضمومة اذا كان الحرف الذى يلي الساكن مضموما مثل أستنصر وأعترف فتضم الهمزة ، ليتماثل الصوت ويكون العمل فيهما على وجه واحد^(١٧) .

والذى أريد ملاحظته فى هذا الباب هو القول بأن المرحلة السابقة لهذه العربية الفصيحة كانت تجزى الابتداء بالساكن ، والذى بقوى هذا الافتراض عندى قولهم : ان أمر الثلاثى فى العربية همزته همزة وصل ، والناطق المجيد لهذه البنية لا يحسن بهذه الهمزة ، فلسانه ينطلق بالضاد فى كلمة اضرب (الامر) قبل أن ينطلق بشئ اسمه الوصل ، واجادة النطق

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) سيبويه ، الكتاب ٢/ ٦٢ .

(١٧) المصدر السابق ٢/ ٢٧٢ .

تستدعى محو هذه الالف اطلاقاً • وعلى هذا جاء نطق المغاربة فى أيامنا هذه ، فهم ينطلقون بالساكين فى أفعال الامر الثلاثية ، ومن أجل ذلك فان ما ندعوه بالنبر "Accent Tonique" يكون عندهم واقفاً فى نهاية الكلمة • ومثل هذا نطلق بالساكين اذا بدأنا بالاسماء التى نصو على أن الفاتها للوصل كما فى (ابن) و (اسم) فانت تنطلق بالساكين أو بشيء فيه سكون أو بنصف الساكن ان أسعقتنا لغة الاصطلاح ، حتى يتم النطق بالكلمة على الوجه اللازم •

ووجود هذه الناحية ربما كان دليلاً على الابتداء بالساكين فى العربية التى سبقت هذه المرحلة الفصيحة كما يقوى هذا القول استساغة الانطلاق بالساكين فى سائر اللغات السامية الاخرى ، بل ربما كانت الآرامية السريانية أشد قبولا للبدء بالساكين من المتحرك ، ومن أجل ذلك صارت هذه الناحية من ميزاتنا الظاهرة •

(٢) التقاء الساكنين :

اختصت العربية من بين سائر اللغات السامية بهذه الناحية مراعاة منها للتكاثر والانسجام فى بنية الكلمة الواحدة وفى اتصال الكلمة بغيرها حتى يجيء الكلام العربى على هيئة مخصوصة موسيقية منسجمة •

على ان الباحث فى غرائب العربية وفرائدها واجد من هذا الباب شيئاً وهو قليل جداً ، وقلته ذات دلالة خاصة ، فهو يشير الى وجود التقاء الساكنين فى تلك المرحلة اللغوية السابقة للمرحلة المعروفة ، والا فكيف نعلل وجود الساكنين فى كلمتى (حمارة) و (صبارة) فى قولهم : حمارة القيط وصبارة القر ، ومثل هذا ما حدث من التقاء الساكنين فى أسماء الفاعلين من الافعال الثلاثية المضعفة مثل (حال) و (ماد) ، ذلك ان العربية توجب الادغام فى هذه الالفاظ ووجوب الادغام يستدعى التقاء الساكنين ، والذى أراه ان من العرب من كان يبيز فك الادغام مخالفة للقياس المعروف ، ومطابقة منه لسنن العربية التى لا تحتمل التقاء الساكنين

فكان يفك الادغام فى هذه الالفاظ وعلى هذا جاء قول المتنبي :

فلا يبرم الامر الذى هو حال الى آخر البيت ...

وليس معقولا أن يحمل هذا على تخطئة المتنبي ، فقد كان عالما بشوارد اللغة والنحو فلا يجوز أن يكون جاهلا بهذا ، ثم انه لم يلجأ الى ضرورة شعرية فقد كان فى طوقه أن يتحاشى هذه الضرورة - ان صحت - باستعمال مرادفة لكلمة حال (حال) وذلك كثير ميسور . أما الذى سوغ له استعمال الكلمة ، احتمال فك هذا الادغام فى لغة من لغات الناس فى ذلك الزمان هروبا من التقاء الساكنين ، كما هى الحال فى أيامنا هذه فى لغتنا العامية الدارجة ، فهناك من يلتزم ادغام هذه الالفاظ محتملا التقاء الساكنين كما أن هناك من يلجأ الى فك الادغام هروبا وتخلصا فيقول مثلا (دازر) و (شادد) بدلا من (دازر) و (شاد) .

وقد هربت العربية من احتمال التقاء الساكنين فى بنية الكلمة الواحدة الثلاثية الساكنة العين ، اذ يلتقى فيها ساكنان العين واللام لان أواخر الكلمة سواكن اذا لم تدخل هذه الكلمات فى جمل أو اذا وقف عليها كما تقول (فخذ) باسكان الخاء فى (فخذ) المكسورة الخاء^(١٨) . وفى خزانة البغدادى ان الفعل الذى عينه حرف حلق وكان على (فعل) بكسر العين فلك فيه أربع لغات كالحال فى (فخذ)^(١٩) ، وفى (الاقتضاب) جواز تخفيف عين (فعل) مضموم العين ومكسورها^(٢٠) .

وفى المحتسب لابن جنى : ما سمع فيه (فعل) بضم الفاء واسكان العين الا وسمع فيه (فعل) بضم الفاء والعين^(٢١) ، ومنه اسكانهم نحو (رسل) و (عجز) و (عضد) و (كتف) و (كب)^(٢٢) .

(١٨) المبرد الكامل ١١٤/٢ .

(١٩) البغدادى ، الخزانة ١٠١/٤ .

(٢٠) ابن السيد ، الاقتضاب ٢٠١ .

(٢١) ابن جنى ، المحتسب ١٩٠/١ .

(٢٢) ابن جنى ، الخصائص ٧٥/١ .

والحكمة في هذا التحريك هو الهروب من التقاء الساكنين كما بيناه . على انا نجد مثل هذا في لهجتنا العامية البغدادية في الاسماء الثلاثية التي نضطر الى تحريك عينها بحركة مناسبة هروبا من التقاء الساكنين فنقول (فعل) بكسر العين مجازاة لكسرة الفاء ولالتقاء الساكنين كما في (اسم) و (عجل) ، ونقول (تمر) بضم الميم و (قبر) باسكان العين فيهما . والسبب في ذلك ما بيناه لاننا لو رجعنا الى نطق هذه الكلمات في لهجة عامية اخرى ، ولكن اللهجة المصرية لوجدنا المصريين ينطقون هذه جميعا باسكان العين احتمالا منهم لالتقاء الساكنين .

واذا أردنا استقراء النصوص الفصيحة وجدنا هذه الناحية في الافعال المضعفة الزيدة بثلاثة أحرف كما في وزان (افعال) مثل (احمار) وهذه الافعال قليلة وقتلتها تشير الى انها من بقايا المرحلة السابقة اللغوية التي أشرنا اليها . فهذه الصيغة قديمة وهي دالة على المبالغة ، وهي ثقيلة لوجود الساكنين ، ثم تخففت في الاستعمال فخضعت لسنة العربية الفصيحة في المرحلة اللاحقة فاستحالت الى (احمـر) وهي في المعنى نفسه ، والمبالغة حاصلة فيها ، وليس كما علل الصرفيون بأن المبالغة في الاولى أكثر . ومن هذا قولهم : غار الطائر فرخه بتشديد الراء في (غار) (٢٣) ، ففي هذا الفعل قد التقى الساكنان ، ومنه ايضا (غارت الناقة في الحلب) ، وما قلناه في (احمار) و (احمـر) يصدق على قولهم (غار) فقد تخفف هذا الفعل حتى لجأ الاستعمال الى (غر) الثلاثي المضعف وفي ذلك كفاية وغناء .

(٣) ابدال احد التضعيفين بالياء :

وما زلنا نحمل على الخطأ أو على طريقة العوام في لهجتهم الدارجة قولهم (استمررت) باسناد الفعل المضعف الى تاء الفاعل . وفي العربية

(٢٣) المبرد ، الكامل ٣٧/١ .

الفصيحة شيء من هذا وهو قليل ، ولعل قلته راجعة الى أنه من البقايا اللغوية القديمة التي تشير الى مرحلة لغوية قديمة قد سبقت الفصح المعروف والمثل في لغة التنزيل والحديث . والى هذا ذهب المبرد في شرح كلمة (التقضى) فى قول العجاج :

تَقْضَى الْبَازَى إِذَا الْبَازَى كَسَرَ

والتقضى الانقضاخ والعرب تبدل الياء من أحد التضعيفين فيقولون (تظلت) والاصل (تظنت) لانه من الظن^(٢٤) . ومنه (قصص) و (وقصيت)^(٢٥) . والمستقرىء للنصوص اللغوية واجد من هذا الموضوع شيئا يصلح أن يكون مادة مفيدة للبحث .

(٤) اسم المفعول :

فى اسم المفعول من الفعل الثلاثى الاجوف فذلكة لغوية فنقول : (مبيع) من (باع) ومصون من (صان) ، وهذه الفذلكة داخلة فى باب الاعلال وليس بنا حاجة لشرحه فى هذا المقام ، وانما نريد أن نقول : ان لهجاتنا الحديثة الدارجة لا تلجأ الى هذا الاعلال ، بل تصوغه على وزن مفعول فنقول (مبيع) ، وهذه الصيغة واردة فى الفصح من العربية ولكنها مسموعة وسماعها يخالف القياس المشهور ، وهو دليل على انه من البقايا اللغوية القديمة التي تتسم بها المرحلة السابقة التي أشرنا اليها .

وقد جاء من هذا الباب (مصوون) و (مقوود) و (معوود)^(٢٦) . وفى القاموس اسعده فهو مسعود^(٢٧) . واكمده فهو مكمود^(٢٨) . والقح الفحل الناقة فهى (ملفوحة)^(٢٩) . وهذه الامثلة

-
- (٢٤) المبرد ، الكامل ٧٦٠/٢
 - (٢٥) ابن السيد ، الاقتضاب ١٣٧
 - (٢٦) المصدر السابق ٢٧٤ - ٢٧٥
 - (٢٧) الفيروزابادى ، القاموس ، مادة سعد
 - (٢٨) لسان العرب مادة كمد
 - (٢٩) المصباح المنير مادة لقح

سير الى أن وزن (مفعول) هو أصل فى صيغة اسم المفعول ولا يختص بهذه الصيغة الفعل الثلاثى ، ولعل فى هذه الامثلة دليلا على قدم هذه الصيغة فى مراحل اللغة الاولى .

(٥) مطل الحركات :

أفرد ابن جنى فى كتاب الخصائص فصلا لموضوع مطل الحركات والمراد بمطل الحركات مد الحركات ، وقد استفادت العربية من هذا المد كثيرا فى تنوع الصيغ وتكثير المعانى . فقد مدت ضمة العين فى المضارع كما فى (ينبع) فصار (ينبوع) ومثل هذا (يحمور) و (يخضور) و (يعفور) ، وقد انتقلت هذه الصيغ فى العربية الى الاسمية وهو كثير فى اللغة . على انه لا تخفى الصلة فى هذه الالفاظ بين الفعلية والاسمية فعلاقة اللون واضحة وربما هى التى سوغت هذا الانتقال اللغوى . ونستطيع أن نفترض أن يكون أصل الفعل المضارع فى مرحلة لغوية قديمة على هذا الشكل . ومعلوم أن بين الاسم والفعل المضارع شبه ولهذا سمى بالمضارع لانه مضارع للاسم العرب . والتسمية بالأفعال المضارعة قديمة جدا فقد عرف (ينجوث) و (يعوق)^(٣٠) من آلهة اليمن .

ومما يتعلق باب مطل الحركات كلمة (اليعقيد) وهو العسل يعقد بالنار حتى يخثز ، وقيل طعام يعقد بالعسل ، ومنه اليعضيد وهى بقلة زهرها أشد صفرة من الورس وقيل غير هذا^(٣١) .

ونستطيع أن نرد فاعول الى مطل الحركات فالعمود لا بد أن كان (عامود) ثم خفف الى (عمود) وليس لنا أن نحمل العامود على الكلام العامى فمثله الشاقول والناعور وكثير من أسماء الادوات .

(٣٠) الكلبي ، الاصنام ٥٧ .

(٣١) الزبيدي ، تاج العروس ، النظر مادتي عقد وعضد .

وفى كتب اللغة نصوص تشهد على هذا الباب فقد أنشد أبو علي
الفارسي لابن هرمة يرثى ابنه : من قوله :

فانت من النوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتراح
وأراد بمنتراح •

وهذه المواد تعطينا بعض الشيء عن خصائص العربية القديمة قبل أن
تتوحد وتتسجم فى قالبها المعروف الفصح •

(٦) صيغ الفعل المجرد :

المعروف عند الصرفين انهم صنفوا الأفعال الثلاثية فى ستة أوزان
ورتبوها حسب ورودها فى الكثرة غير أن الناظر فى النصوص وفى كتب
اللغة يجد فيها شيئاً يؤدي به الى الاعتقاد أن هذه الأفعال لم تكن مستقرة
ولاسيما فى القرن الاول الهجرى ، وان فعلاً من الأفعال مثلاً قد يكون على
الوزن الاول (باب نصر) عند قوم من الناس ، ولكنه من (باب ضرب) عند
آخرين • وبقي هذا التردد فى اعتبار وزن الفعل طوال القرن الاول والقرن
الثانى ، حتى اذا تم تثبيت قواعد اللغة ، استقرت هذه الأفعال على حال ثابتة
ولاسيما الأفعال التى يكثر تداولها فى التخاطب والكتابة على الأقل •

ولقد ورد شيء من هذا الذى نذهب اليه على ألسنة علماء اللغة ، فقد
قال أبو زيد الانصارى : اذا جاوزت المشاهير من الأفعال فأتت بالخيار بين
الضم والكسر (٣٢) • وقال الفراء : الاصل فى المضارع الكسر (٣٣) •

وهذا التردد فى معرفة الاوزان وضبطها وتثبيتها قد تم فى لغة القرآن
بالرغم من ان كتب اللغة ظلت تذكر اللغات المختلفة فى وزن الأفعال التى
اختلفوا فيها ، فقد قالوا فى (فسد) هو من باب نصر عند قوم ، وهو من باب

(٣٢) الفيروزابادى ، مقدمة القاموس •

(٣٣) لسان العرب مادة اتى •

(كرم) على رأى آخرين • وهذه الحال تدل على أن الافعال الثلاثية فى المرحلة السابقة لعصر القرآن لم تكن مستقرة على حال وكان الحكم فيها للقائلين يؤلفون بين حرركاتها كما يشاءون •

(٧) المجموع :

المجموع من المواد اللغوية القديمة ، وقد احتفظت بها اللغة العربية • وربما دلت كثرة المجموع فى العربية على اختلاف اللهجات ولاسيما جموع التكسير ، وبمعنى هذا اننا نجمع كلمة واحدة على عدة صيغ من صيغ الجمع (Chème) فالشيخ يجمع على (شيخه) ويجمع على (شيوخ) بضم الشين وعلى (شيوخ) بكسر الشين وعلى (اشياخ) ، ومثل هذا كلمة (الحب) بكسر الحاء فتجمع على (أحباب) ، و (حبان) بكسر الحاء وتشديد الباء ، و (حبوب) و (حبية) بكسر الحاء ، و (حب) بضم الحاء^(٣٤) • ومثل هذا كثير فى اللغة العربية وهو دليل على أن الجمع لم يستقر على حال وانه يشير الى المرحلة التى كانت فيها اللغة غير مستقرة على صيغ ثابتة ، ومن أجل هذا حدثت هذه الكثرة فى الصيغ ، وسبب هذه الكثرة راجع الى اختلاف الاقوام واختلاف الجهات •

وفى جمع المذكر السالم ألفاظ سماها النحاة الاقدمون بالملحقات وذلك لعدم انطباق الشروط التى اتفقوا عليها فى جمع الاسم هذا الجمع المعروف وبقاء هذه الالفاظ التى الحققت بجمع المذكر السالم يشير الى مرحلة لغوية قديمة ، تلك المرحلة التى لم تتقيد فيها اللغة بضوابط واضحة • وهذه الالفاظ هى ألفاظ العقود مثل (عشرون) واخواتها ، وارضون ووابلون واهلون وعالمون ، ومن هذا الباب اصول ثنائية (Bilitère) مثل (بنون) و (مئون) و (قلون) و (سنون) و (عضون) كما فى قوله تعالى :

(٣٤) لسان العرب مادة حبيب •

« الذين جعلوا القرآن عضين »^(٣٥) أى فرقوه أعضاء ، ومثله (عزين) جمع عزة أى فرقة • ومنه ثبة قد جمعت على (ثبون) كما فى قول عمر ابن كلثوم :

فأما يوم خشيئنا عليهم فتصبح خيلنا عقبا ثينا^(٣٦)

ويبين من هذا أن هذه المواد اللغوية المتخلفة عن مرحلة قديمة بقيت فى العربية المثلة فى لغة القرآن ولغة النصوص الجاهلية التى يطمأن إلى صحتها •

(٨) الابنية الغريبة :

واقصد بالابنية تلك الصيغ التى وجدت فى النصوص اللغوية القديمة والتى لم يكتب لها الشيوخ لقلها ولطول بنائها والتى عدت من باب الغريب مرة ومن باب الوحشى المهجورة مرة اخرى •

ولابد من ضرب الامثال على هذه الابنية الغريبة لتخلص الى نتيجة من النتائج ، جاء فى النوادر لابی زيد المبرتنى^(٣٧) هو الغضبان الذى لا ينظر الى أحد ، وكان على ابى زيد أن يأتى بالشاهد لتكون على بنية ، وهذه الناحية من العيوب فى المعجم العربى القديم لانهم لا يهتمون باستقراء الاستعمال لتأيد المعنى الذى ينصون عليه ، وربما كان هذا حجة لمن يقول بالاصطناع والاختراع فى المعانى ، وان اللغوى يلجأ الى هذا الباب ليظهر أنه عارف باللغة وفرائدها • ومثل هذا كثير فى كتب اللغة المطولة • ولايد من دليل آخر على اصطناع هذه الالفاظ وهو انهم يذكرون للفظ الواحد معانى عدة لا علاقة بينها فقولهم : مجنطىء وهو العظيم البطن ، والممتلىء غيظا • والمجرنجم هو الذى يريد الامر ثم يكذب فيرجع^(٣٨) ، فى حين

(٣٥) سورة الحجر ٩١ •

(٣٦) معلقة عمر بن كلثوم ضمن شرح العشر ١١٦ •

(٣٧) أبو زيد ، النوادر ١٣٠ •

(٣٨) المصدر السابق ١٩٨ •

أن (اخرجهم) عندهم بمعنى اجتمع ووجه العلاقة بين الاسم والفعل غير موجود إطلاقاً .

وقد أقر دابن دريد فى الجمهرة فى الجزء الثالث بابا للاوزان الغربية كالفعّل مثل الهمرجل للخبيف السريع ، والشمردل للطويل والدهمس للجريء الماضى على الليل ، والجلنفع للصلب الشديد والعنكد للصلب الشديد والعديس للشديد الخلق .

وفى وزن الفعلول الشغموم للناقة القوية والطحلول والصلعوك للفقير ، والقروضوب للص ، والعموظ للشرة والنهم ، والصحمور للعظيم البطن .
ومن الفيعل ، الهيدبى والخيزلى .

ومن الفيعلول ، الناقة العيسجور الشيطنة ، والخيتور للذى لا يدوم على العهد .

ومن الفعوال ، القرواح للنخلة المساء .

ومن الفيعل ، العيثوم الناقة الغليظة . وسيهوج وسيهوك اسمان توصف بهما الريح .

ومن الفيعل ، الهيدام وهو الصارم (٣٩) .

وهذه الابنية الغربية كثيرة اجترأنا بهذا القدر منها ، ونريد أن نقول فيها شيئاً هو أن الغالب فيها ذو دلالة مادية فلا ينصرف الى الناحية المجازية وان المعانى التى ترد فى هذه الابنية متعلقة بالاصناف الحسية كالطول والقصر والضخامة والعظم والدقة وشدة الخلق والسرعة والخفة وغير هذا مما هو داخل فى هذا الخصوص . والخلق والاصطناع واضح فى هذه الابنية فالالفاظ التى تعنى شدة الخلق فيها كثيرة ومختلفة . وهى تنصرف للانسان تارة وللحيوان تارة اخرى .

ولكن هذه الابنية على العموم قديمة ، وان الالفاظ التى وضعت لهذه

(٣٩) ابن دريد ، الجمهرة ٣ / ٣٨٠ .

المعاني من هذه الصيغ تقليدا وحكاية لما كانت عليه الابنية فى اللغة القديمة
فى مراحلها الاولى •

وأنا اذ أنهى هذه المقالة أود أن أقول ان عملى كان استقراء النواحي
اللغوية التى يمكن أن تكون مادة مهمة فى مراحل اللنة القديمة ، أما اعطاء
صورة واضحة للعالم لهذه اللغة فى تلك المراحل فليس سهلا ، ذلك اننا
مفقرون للنصوص الثابتة المدونة كما فى سائر اللغات الحية •

الفعل ' والنظام' الفعلي' في العربية

عد الاقدمون الفعل عنصرا جوهريا فى العبارة أو الجملة ، وهو كذلك عند المحدثين من اللغويين عامل مهم فى بناء الجملة .

وقد اختلفت الامم فى أشكال الفعل ، فهو فى العربية لا يتعدى الماضى والمضارع ^(١) ، فى حين أنه يحتوى على صور مختلفة متعددة فى اللغات الهندية - الاوربية Indo - Europeenne . وليست العربية بدعا بين اخواتها الساميات فى هذا الباب ، فالباحثون فى هذه الاسرة اللغوية يذهبون الى قلة صور الفعل **Forme** فيها .

وقد اهتم النحاة العرب فى الفعل وبحوثا فيه بحثا طويلا ، وأعطوه من الاحكام ما هو معروف ، مقيد فى الاسانيد ، وسأئى الى الكلام عليه . ولقد خلف السلف فى هذا الباب كتبا كثيرة ، قصرها أصحابها على الفعل وأوزانه ومعانيه .

ولعل طائفة منها كانت أشبه بالمعجمات اللغوية ، فكتاب الافعال لابن القوطية ^(٢) يظهر مدى اهتمام الاقدمين بالفعل ومعانيه وصوره . وقد أعاد أحد العلماء ترتيب هذا الكتاب ، وأضاف اليه شيئا آخر ، وبوّبه تبويبا خالف فيه الاصل ، وهو ابن القطاع من علماء القرن السادس الهجرى ^(٣) . وأنت اذا نظرت الى أحد هذين الكتابين تبينت غنى العربية فى هذا الباب واهتمام اللغويين فى هذه المادة ، حتى إنهم توسعوا فيها ، فاشتقوا

(١) اما الامر فليس لنا الا ان نلحقه بالمضارع فهو صورة منه يؤدى معنى خاصا . والى هذا ذهب النحاة الكوفيون . انظر « الانصاف » لابن الانبارى ، المسألة ٧٢ ، وشرح الرضى على الكافية ٢ : ٢٦٨ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم ، المعروف بابن القوطية الاندلسى الاشبيللى الاصل المتوفى سنة ٣٦٧ للهجرة .

(٣) هو أبو القاسم على بن جعفر السعدى اللغوى المعروف بابن القطاع الصقلى المصرى المتوفى سنة ٥١٥ للهجرة .

الافعال من أصول جامدة ، ليس فيها معنى الحدث • وسنأتى الى الكلام على هذا الموضوع •

على اتنا لا بد أن نستدرك فنقول : ان الاقدمين على اهتمامهم الزائد بالفعل ومعانيه وصوره لم يبحثوا فى زمان الفعل وتحديداته ، فلماضى هو الحدث الذى مضى "Accompli" ولكن هذا الذى مضى لا نعرف فى أى زمان من الماضى ، فهو يصدق على حدث مضى قبل لحظات ، وعلى آخر مضى عليه زمان طويل ، وهذا التوسع أو قل التساهل مبعثه قلة ضبط الازمنة فى النحو العربى •

فلا يستطيع المستقرىء لكلام العرب أن يحدد الزمن تحديدا كالذى نعرفه فى غير اللغات السامية ، وهو ان استطاع ذلك ، فبالقرينة والاشارات الاخرى التى يحتوى عليها النص • ولعل حيرتهم وقلة بحثهم فى هذه الناحية ، تبدوان فيما أسموه بالمضارع ، فالتسمية لا تشير الى زمن معين محدد معروف ، وانما تشير الى شبه هذا بالاسم ، فهو مضارع للاسم ، وتأتى مضارعته للاسم من ناحية حركة آخره^(٤) • ثم انهم حين أرادوا أن يدلوا على زمن هذه الصيغة أشاروا الى الحال والاستقبال • وأمر الحال والاستقبال فى هذه الصيغة متروك للنص ، تحدده القرائن والاشارات •

وليس لنا أن تبين فى العربية ضوابط واضحة تشير الى اتفاق الازمنة أو ما يسمى بـ "Concordance detemps" • فليس صحيحا أن تدل صيغة على زمنين مختلفين ، لم يحدد كلا منهما ضابط متميز بالنسبة للآخر • ولا ندرى ما المراد بالحال وكم هو طول هذه الفسحة الزمنية ، ثم اذا انطلقنا من هذا الى المستقبل ، لا نهتدى الى أين نصل بالمستقبل ، فهو فسحة زمنية طويلة •

ووقوفهم فى البحث عند هذا الحد من حيث الناحية الزمنية ، دليل على أن الباحثين الاقدمين فى النحو لم يتأثروا فى الامور الجوهرية بالفكر اليونانى ، ونحن اذا أردنا أن نجد آثار المنطق فى النحو لا نجده الا فى

(٤) انظر Marcel Cohen, Systeme verbal Semitique, p, 10

التقسيمات وفي الاحكام العامة المطلقة ، كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول .
ولكن القائلين بتأثير المسلمين بالفكر اليوناني لا يقتصرون على هذا
الحد فعندهم ان الفكرة الزمنية والبحث فيها كان نتيجة لتأثير هؤلاء بالنحو
اليوناني ، وقد قال بهذا المستشرقون^(٥) وغير المستشرقين من المشاركة الذين
تأثروا بهم ولزموا أقوالهم^(٦) .

فقد قالوا : ان القياس النحوي متأثر بالقياس المنطقي الارسطي ، والرد
على هذا الزعم ميسور سهل ، ليس هذا مجال البحث فيه .

وأعود فأقول : لو كان واضح النحو متأثراً في الامور الجوهرية
بالنحو اليوناني ، لنحافى تحديد الزمن منحى الاغريق ، ولبحث فى قضية
الزمن وتحديدده كما بحثوا ، ولوقفنا اليوم فى عصرنا الحديث على جليلة
الامر ، وصرننا لا نحار فى قوله تعالى : « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين »^(٧) .

فالفعل « تقتلون » مضارع ولكن النص لا يشير الى الحال أو الاستقبال
وانما يشير الى الزمن الماضى .

ولا نستطيع أن نهتدى الى الماضى المستمر "durable" فى العربية
بصورة واضحة دقيقة . ونحن اذا وجدنا قولهم « كان يعاشر مشيخة
فرش »^(٨) وهو متضمن لفكرة الاستمرارية . ومثل هذا كثير فى كلام
العرب ، فالاستمرارية حاصلة ، ولكننا لانستطيع تحديد الفسحة الزمنية فيها ،

(٥) انظر M. G. Demombynes et Blachère, Grammaire p. 36.

(٦) انظر مقالة الدكتور ابراهيم مذكور فى مؤتمر مجمع فؤاد الاول
للغة العربية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وموضوعها منطق ارسطو والنحو العربى .
وانظر تعليق المستشرق الفرنسى L. Massignon عليه . وانظر تعليق Gibb
على الموضوع وذهابه الى ان النحو العربى والنحو السريانى نشأ فى وقت
واحد . والى هذا ذهب E. Littmann فى محاضراته .

(٧) البقرة ٩١ .

(٨) الاغانى ، دار الكتب ، الجزء السادس ، ص ٩٦ .

أو قل ان الصيغة لم تشر الى زمن محدود قصير^(٩) . فقد جاء في ابن هشام ما نصه : « فوالله انه ليضع رحل رسول الله (ص) اذا أتاه سهم غرب فأصابه وقتل » .

ومن اهتمام العربية بالفعل غلبة الجملة الفعلية^(١٠) على كلام العرب ، ذلك اننا لو نظرنا الى كتاب من كتبهم فاحصين على طريقة الاحصاء في أيماننا ، لاهتدينا الى صدق هذه الدعوى . ولا نريد أن نل هذه الظاهرة الكلامية ، لان التعليل ربما أخرجنا عن هذا البحث اللغوي . وقد فعل هذا الاستاذ علي الحارم في مقالة له فزعم « ان العقلية العربية تقتضى أن تكون الجملة الفعلية الاصل ، والغالب الكثير في التعبير ، لان العربي جرت سلفته ، ودفعته فسرته الى الاهتمام بالحدث في الاحوال العادية الكثيرة . وهي التي لا يريد فيها أن يبه السامع الى الاهتمام بمن أوقع منه الحديث أو التي لا يهتم هو فيها بمن وقع منه الحديث ، فالاساس عنده في الاخبار أن يبدأ بالفعل ، عدا الفرس وعاد المسافر ... »^(١١) .

وقد يلتجئ العربي الى الجملة الاسمية اذا كان القصد الى الفاعل وإلى الاسراع بازالة الشك فيمن صدر منه الفعل ، فيبدأ بذكره أولا قبل أن يذكر الفعل لكي يخصصه ، أو لكي يبعد الشبهة عن السامع ويسمعه أن

(٩)

Th. Noldeke, Zur Grammatik des classischen Arabisch, p. 68.

(١٠) حين انص على الجملة الفعلية في هذه المقالة اريد منها ما كان فيها الفعل طرفا في الاسناد فهو مسند ابدا ، وعلى هذا فقولنا : « جاء محمد » جملة فعلية مؤلفة من مسند ومسند اليه . ثم اذا قلنا : « محمد جاء » لم يتبدل شيء في حقيقة الاسناد فطرفا الاسناد هما كما كانا في الجملة الاولى ، وهي بهذا جملة فعلية أيضا مؤلفة من مسند ومسند اليه ، والمسند اليه هو الفاعل في كلتا الجملتين . وإلى هذا ذهب نحاة الكوفة ، فقد اخلوا الفعل من قولهم : « محمد جاء » من الضمير الذي عده البصريون فاعلا . ولا اريد ان أقول في الفرق بين قولهم محمد جاء وجاء محمد ، ان الاول يفيد التجدد ، والثاني يفيد الحدوث . كما ذهب اليه البلاغيون ، انظر السكاكي ، مفتاح العلوم ٢١٣ .

(١١) على الحارم ، مجمع اللغة العربية الجزء السابع ص ٣١٧ لسنة

٩٥٣ .

يقطن به الفلظ أو التزديد» (١٢) .

ولا أريد أن اعلق على مقالة الجارم ، فهي تعليقات فكرية فلسفية ، ولا يهم الباحث اللغوى غير بحث الصيغ والاساليب . وربما كان سلوكه هذا المذهب ابتعادا عن الحقيقة اللغوية التى هى موضوع البحث .

ولقد اهتم النحويون كافة فى مسألة الاعراب ، فذهب الاقدمون الى أن الاعراب أثر يجلبه العامل . ومن هنا كان بحثهم فى العامل ، فالصريون يرون أن الفعل صاحب العمل سواء تقدم أم تأخر وسواء كان ذلك مذكورا أم مقدرا . وكثر حديثهم عن العوامل فقد ألف أبو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ للهجرة كتاب العوامل ومختصره ، وألف الشيخ عبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة كتاب « العوامل المثة » . ولم يكن البصريون وحدهم مهتمين بمسألة العامل فقد بحث فيه غير البصريين من تحاة الكوفة . وظل منهج القوم على هذه الحال الى أن تصدى ابن مضاء القرطبي لهؤلاء يفسد عليهم نظريتهم فى العامل فى كتابه « الرد على النحاة » (١٣) . وهو يكرر رأى ابن جنى فى الخصائص عند كلامه عن العوامل اللفظية والعوامل المعنوية ، ومذهبه الى أن العمل الاعرابي فى الحقيقة للمتكلم ونسبته لغيره للملاسة خاصة (١٤) . ثم بحث الموضوع الأستاذ ابراهيم مصطفى من المحدثين ، هذا القول بتوسع وتصرف .

وانتهى الى أن الحركات بعضها علم على معنى اعرابى ، فالضمة علم

(١٢) يشترط الجارم ان تصدر الجملة باسم وهو مسند اليه ولو كان المسند فعلا وهذا مذهب كثير من النحويين .
ومما تجب الاشارة اليه ان هذه الجملة المصدرة بالاسم مسندا اليه أو قل - فاعلا - متلواً بمسند هو الفعل ، كشرت فى عربيتنا الحديثة .
وسبب ذلك يرجع الى ان هؤلاء السكاكين متأثرون بالاساليب المترجمة ، ويتبين صدق هذا فى الاخبار التى تذيبها وكالات الانباء وفى الاقاصيص المترجمة ، ثم سرت هذه الظاهرة الى كتابات اخرى .
(١٣) ابن مضاء ، الرد على النحاة ٨٥ ، ٨٦ .
(١٤) ابن جنى ، الخصائص ١١٠/١ .

الاسناد ، والكسرة علم ، الاضافة ، أما الفتحة فحركة لا تدل على شيء (١٥) .
والبحث في دلالة الحركات جاء متأخرا ، فلم يشر اليه رؤوس الطبقة
الاولى من النحويين ، فقد جاء عن الخليل انه قال « ان الفتحة والكسرة
والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به ، والبناء هو
الساكن الذي لا زيادة فيه » (١٦) . والى هذا ذهب ابراهيم أنيس من
المحدثين في كتاب من أسرار اللغة (١٧) .

ولعل العلة في ذهاب الاقدمين هذا المذهب في التعلق بالعامل هو
تأثرهم بالمنهج الفلسفي الذي يقول بالعلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، ولا
يصح جريا على هذا أن يكون حدث من غير محدث . وقد تعلق البصريون
أكثر من غيرهم بهذه الدعوى وأرادوا أن يفيدوا منها في البحوث النحوية
واللغوية ، فآل الامر الى خلط وتعقيد وإبتداع أبواب ليس من الصعب
أن تبعد من دائرة النحو واللغة .

وقد أشار الاقدمون الى هذا ، وقالوا بضعف العلل النحوية وإبتعادها
عن اللغة وحقيقتها ، ومن هؤلاء ابن جنى في باب « علل العربية أكلامية أم
فقهية » ما نصه « اعلم ان علل النحويين - واعنى بذلك حذاقهم المتفتنين ،
لا الفافهم المستضعفين - أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفهمين (١٨)
والى هذا أشار ابن فارس في قوله :

مرت بنا هيفاء مجدولة تركيبة تنمي لتركي
ترنو بطرف فاتن فاتر أضعف من حجة نحوي (١٩)

ولم يسلم حتى هؤلاء القدامى من هذا الخلط ، فلم ينصرفوا في
بحوثهم اللغوية الى المذهب اللغوي الصحيح ، ولم يستطيعوا أن يجنبوا
بحوثهم هذا الدخيل الذي لا يست للبحث اللغوي بصلة . ومن يتعقب كتاب

-
- (١٥) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ٥٠ .
 - (١٦) سيبويه ، الكتاب ٣/٣١٥ .
 - (١٧) ابراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ١٤٢ .
 - (١٨) ابن جنى الخصائص ٤٨/١ .
 - (١٩) انظر ابن خلسكان ترجمة ابن فارس ٣٦/١ .

الخصائص لابن جني يجده يتخط في مسائل لا علاقة لها بالبحث اللغوى ،
وانما هى من تأثير المنهج الكلامى الذى أشرنا اليه . ولم يدفع ابن مضاء
مسألة العامل وينكرها تمسكا بالبحث العلمى اللغوى الصحيح ، فهو ظاهرى
المذهب والعقيدة وهو من أجل هذا يريد أن يسود حكم الظاهر على المسائل
اللغوية والنحوية ايضا .

وتمسك البصريين بالعامل هو التمسك الذى يرجع الى اصل فلسفى ،
أوقعهم فى مأزق أحالت النحو العربى الى تخليط أبعد ما يكون عن البحث
اللغوى السليم . فقد وقفوا عند قوله تعالى « وان أحد من المشركين
استجارك » (٢٠) فقالوا بفاعلية أحد ولكن لفعل محذوف يفسره المذكور ،
ومن هنا نشأ عندهم ما أسموه بالجملة المفسرة التى لا محل لها من الاعراب .
ومبعث كل هذا انهم لا يخلون الفعل من ضمير الاسم السابق ،
مدفوعين بالنظر الفلسفى . وموقف الكوفيين من هذا انهم أجازوا أن يخل
الفعل من الضمير وهم يوردون شاهدهم المعروف ، وهو قول الزباء :

ما للجمالِ مشيهاً وثبيداً

أجندلاً يحملن أم حديداً (٢١)

ومن هنا يظهر ان النحويين ، بصريين وكوفيين ، متفقون فى قولهم
بالعامل ، غير انهم يختلفون فى مقدار أخذهم به . فالفعل عند كثير من نحاة
الكوفة لا يعمل فى الفاعل ، فالعامل عند الكسائى ليس لفظ الفعل وانما
كونه داخلاً فى الوصف أى كونه متلبساً بالفعل (٢٢) .

ولعل عدم جواز خلو الفعل من الفاعل عند البصريين ، أوقعهم فى
مأزق آخر فى باب التنازع ، وهو أن يتقدم عاملان أو أكثر ويتأخر عنهما
أو عنها معمول يصلح أن يكون معمولاً لكل واحد مما تقدم ، كقولهم مثلاً :

(٢٠) التوبة ٦ .

(٢١) السيوطى ، الهمع ١/١٥٩ ، شرح الاشمونى على الالفية ٢/٤٣
عن مدرسة الكوفة .

(٢٢) السيوطى ، الهمع ١/١٥٩ .

« قام وقعد اخوك » فقد قال البصريون بأعمال الثاني لقربه ، واختار الكوفيون أعمال الاول لسبقه ، غير ان الفراء قد ذهب الى أنه اذا اتفق العاملان في طلب المرفوع فالفعل لهما جميعا^(٢٣) .

ومن اهتمام النحويين بالفعل ألحقوا به في الاعمال أسماء الافعال وأسماء الفاعلين وأسماء المفعولين والصفات المشبهة ، وأفعل التفضيل وأمثلة المبالغة . وأسماء الفاعلين عند الكوفيين أفعال دائمة .

ومن اهتمام العربية بالفعل انها تأخذه من الاسماء ، اقول من الاسماء التي تثبت اصلتها في الاسمية . فكلمة « اسم » لم تخرج من السمو أو النوسم على الخلاف بين البصريين والكوفيين^(٢٤) ، وانما هي كلمة قديمة وجدت في سائر اللغات السامية فأفادت منها العربية فصاغت منها فعلا هو « سَمِيَ » . ولم يلتفت النحويون الى هذا ، وانما شغلوا أنفسهم في الكلام عن همزة الاسم^(٢٥) .

والباحث في الافعال ثلاثية أم غير ثلاثية يجد ان طائفة منها ذات اصول جامدة فالفعل « رأس » مأخوذ من الرأس والرأس كلمة وجدت في اللغات السامية كافة وهكذا في « كبده » أى أصاب كبده ، وصبع به وله وعليه مأخوذ من غير شك من الاصبع . وهناك أفعال مأخوذة من أعضاء الجسم كقولهم « نابه » « ينيه » وهو من الناب . و « ورك » من الورك ، وتورك بالمكان أقام به ، ولعل الفعل « ترك » بناء على افتعل للفعل « ورك » .

ومن هذا الباب « فخذ » أى أصاب فخذ . وربما كان هناك علاقة بين « ضرع » وهو اسم وبين « رَضَعَ » وهو فعل^(٢٦) .
واذا أردنا أن نستوفي هذا الباب وجدنا حشدا كبيرا من الافعال

(٢٣) الرضى ، شرح كافية ابن الحاجب ٧٩/١ .

(٢٤) ابن الانباري ، الانصاف المسألة الاولى .

(٢٥) يرى الخليل ان همزة الاسم زيدت للتوصل الى النطق بالسكان ؛ الكتاب ٦٦/٢ .

(٢٦) انظر محاضرات بول كراوس على طلبة كلية الآداب في القاهرة

١٩٤٣ .

لا ترجع الا الى اسم جامد صريح ، فالتامر واللابن مأخوذان من التمر واللبن وتمره اطعمه التمر ، ولعل « بات ترجع الى البيت ، وإبتى صار له بنون » .

ولقد انقطعت الصلة فى كثير من الاحيان بين المادة الفعلية وبين الاصل الاسمى . فكلمة الجن وهى كلمة قلبها البحث اللغوى فردها الى اصول غير سامية ، هى التى ولدت لنا « جن » بمعانيها المختلفة بحيث صار الباحث لا يقرب بين هذا الاسم والفعل . وقل مثل ذلك فى كلمة « الانس » وهو اسم ، والفعل « أنس » وليس من شك ان الفعل خارج من الاسم . أما المصدر « أنس » فلا نرى الا انه معمول على الفعل .

ومن اهتمامهم بالفعل انهم حسبوا كثيرا من الادوات افعالا ، فأداة النفى « ليس » فعل جامد عندهم ، ولم يقولوا بتركيبها ، ويفصلوا القول فيه . وهكذا قل فى بش ونعم وعسى ، وربما اعتبروا « لات » فعلا معتمدين على قوله تعالى « وأن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا » (٢٧) .

ولقد أعطت كلمة « ال » أبنية فعلية ، وكلمة « ال » كلمة سامية وتعنى الاله . وكان يحيى بن يعمر^(٢٨) يقرأ « جبرِال » بتشديد اللام ، وقال بعض المفسرين الال هو الله واحتج بقوله تعالى « وأن يظهرؤا عليكم لا يرقبؤا فيكم الا ولا ذمة » . وقال أبو عبيدة الال العهد .

وخلاصة القول ان الفعل يحتل فى العربية مكانة عظيمة لما تحفظ بالدراسة اللازمة .

(٢٧) الحجرات ١٤ .

(٢٨) يحيى بن يعمر نحوى مشهور انظر نزهة الالباء لابن الانبارى .

التركيب ' والبناء ' في العربية

دفعني الى الكتابة في هذا الموضوع ما ذكره المستشرق الالماني Brockelmann في دراسته المطولة المقارنة في اللغات السامية ، وهو : أن ليس في اللغات السامية ادغام للكلمات^(١) . ولا يريد بالادغام في مقاله ما أراد النحويون في هذا المصطلح الذي أفردوا له بحثا طويلا مسها في كتبهم . وانما يريد به وصل كلمة باخرى بحيث يتكون منهما كلمة واحدة ذات معنى مؤلف من معنى الكلمتين المستقلتين .

ولعله أصاب لو استعمل « التركيب » مصطلحا لغويا لما أسماه بالادغام . وكأنه أحس أن في العربية شيئا كثيرا من المركبات ، وهذا الشيء الكثير يفسد عليه رأيه ، فاستدرك ان التركيب غير قديم في اللغات السامية ، وان هذه اللغات كانت خالية مما أسماه « بالادغام » في عصورها القديمة ، وليس من حجة علمية تاريخية تثبت صحة هذه الدعوى .

والذي ثبت في التحقيق العلمي أن في العربية تراكم كثيرة ، وانها استفادت من التركيب لتكثير المعاني والمباني . وقد اعتمد « البناء » في العربية على التركيب بصوره المختلفة ولعل من المفيد أن انبه اني لم أرد « بالبناء » المصطلح النحوي الذي يقابل الاعراب ، وانما أردت به بنية الكلمة Structure .

ويدخل التركيب في بنية كل من الاسم والفعل والحرف ، ولعل التركيب في الحروف يشير الى قدم هذه الوسيلة في العربية ، وسنعرض للادوات التي أفادت من التركيب على مر العصور وكر الدهور ، فلزمت صورتها المعروفة والتي ورثتها العربية واستعملتها وكأنها كلمات مستقلة . ولو نظر الباحث في هذه الكلمات لوجدها مركبات استفادت من التركيب ، ولاسيما في صورتها المنحوتة ، والنحت لون من ألوان التركيب في العربية

(١) Brockelmann Grundriss I, S. 5.

خضعت له الحروف والاسماء . وكان مذهب الخليل بن أحمد : « ان الكلمتين اذا ركبنا ، ولكل منهما معنى وحكم ، أصبح لهما بالتركيب حكم جديد » (٢) . وتبع الخليل في مقائنه جمهور الكوفيين ، ومنهم الكسائي والفراء ، وليس كما رأى الاستاذ طه الراوى من : أن الخليل قد شذ عن جمهرة النحاة في رأيه في الادوات المنحوتة (٣) . ولنا أن نعرض للادوات التي دخلها التركيب على طريقة النحت فلزمت صورتها المعروفة الموروثة :

١ - لن

وهي مركبة عند الكسائي من الكوفيين وحده ، وعنده انها مركبة من « لا » و « أن » وحذفت الهمزة تخفيفا ، والالف نلساكين (٤) . وقول الكسائي في « لن » هو قول الخليل وهو صاحب الرأى فيه ، جاء في كتاب سيبويه :

فأما الخليل فزعم انها « لا أن » ولكنهم حذفوا لكثرة في كلامهم ، كما قالوا : ويلمه ، يريدون وي لاه وكما قالوا يومئذ ، وجعلت بمنزلة حرف واحد (٥) .

وعن الازهرى : انه « حكى هشام عن الكسائي مثل هذا القول الشاذ عن الخليل » (٦) . على ان جمهور البصريين يرد هذه المقالة ويقول بعدم تركيب « لن » وانها : حرف بسيط برأسه وهو مذهب سيبويه لان الاصل في الحروف عدم التصرف (٧) . وليس أصله « لا » فأبدلت الالف نونا كما

-
- (٢) ابن جنى : سر صناعة الاعراب - حرف الكاف - .
 (٣) طه الراوى : تاريخ علوم اللغة العربية ، ص ٢٨ .
 (٤) الاشمونى ، الشرح ٢٨٣/٣ : ابن هشام ، المغني حرف اللام .
 (٥) سيبويه ، الكتاب ٤٠٧/١ والنص فيه غموض .
 (٦) ابن منظور ، لسان العرب مادة لن .
 (٧) الزبيدى ، تاج العروس مادة لن .

ذهب جماعة من اللغويين^(٨) . فذهب الفراء مثلا الى أن أصل « لن » و « لم » لا فأبدلت الالف نونا في احدهما وميما في الآخر^(٩) .

وما دام القدامى قد قربوا بين « لن » و « لم » فلا بد لنا من النظر فيها والقول بتركيبها وان لم ينص عليه متقدم من اللغويين والنحويين وقد قال بهذا المستشرق الالماني « برجشتراسر » فزعم : ان أصل النفي في العربية أن يكون بلا وما ، وان العربية قد اشتقت من « لا » أدوات منها : ليس ، ولن ، ولم ، وقال : « لن مركبة من « لا » و « أن » ولم « ربما كانت مركبة من « لا » و « ما » الزائدة^(١٠) .

وقال في مكان آخر حين عرض لحروف العطف : « ثم » خاصة بالعربية ويظهر انها مشتقة من « ثم » المقابلة لـ Sam العربية و tamman الآرامية ، و (أو) سامية الاصل ، و (أم) حديثة عربية ، وأصلها : أما ، كما ان (لم) أصلها "lama" وكم أصلها ka - ma^(١١) . والذى رأيته ان النحويين المتقدمين لم يقولوا بالتركيب وردوا هذا الرأي الى الخليل والكسائي ، أما المتأخرون فقد قالوا بالتركيب ولاسيما اللغويين منهم ومن هؤلاء ابن جنى في سر صناعة الاعراب .

٢ - كان

وهي مركبة من الكاف و (أن) فأصل قولهم كأن زيدا عمرو ، انما هو : أن زيدا كعمرو ، فالكاف هنا تشبيه صريح وهي متعلقة بحذوف . ثم انهم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذى عليه عقدوا الجملة ، فأزالوا الكاف من وسطها وقدموها الى أولها لافراط عنايتهم بالتشبيه ولاجل تقديم الكاف فتحوا همزة « ان »^(١٢) .

(٨) المصدر السابق .

(٩) الرضى ، شرح الكافية ٢/ ٢٣٥ .

(١٠) برجشتراسر ، التطور النحوى للغة العربية ، ص ١١١ .

(١١) المصدر السابق ص ١١٩ .

(١٢) ابن جنى ، سر صناعة الاعراب ص ٣٠٥ .

ويلتزم ابن جنى قاعدة التركيب ويرفض ما عداها ، فهو يذكر رأى الخليل فى « لن » وتركيبها ويقول به ويعقب عليه بقوله : « فهذا يدلّك ان الشئين اذا خلطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا الا نرى ان لولا مركبة من « لو » و « لا » ومعنى « لو » امتناع الشئ لامتناع غيره ، ومعنى « لا » النفى أو النهى . فلما ركبا معا حدث معنى آخر وهو امتناع الشئ لوقوع غيره . فهذا فى « لن » بمنزلة قولنا كأن ومصحح له ومؤنس به وراد على سيويه ما ألزمه الخليل » (١٣) .

٣ - لكن

اختلف فيها النحويون فهى بسيطة عند البصريين (١٤) . وهى مركبة عند الفراء من الكوفيين من « لكن » و « أن » فطرحت الهمزة للتخفيف ونون لكن للساكين كقوله :

« ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل » (١٥) .

وهذا غلة نصبها الاسم عنده (١٦) .

ويرى غير الفراء من أهل الكوفة انها مركبة من « لا » و « أن » و « الكاف الزائدة لا التشبيهية وحذفت الهمزة تخفيفا » (١٧) .

ولعل السبب فى اختلاف رأيهم فى هذه المواد يرجع الى انهم لم يستكملوا أدوات البحث اللغوى فى اللغة العربية وذلك يقتضيهم النظر فى اللغات السامية الاخرى ليستطيعوا أن يقطعوا برأى علمى أصيل . ذلك ان النظر فى العبرية يهدى الباحث الى القول بتركيب هذه المادة من « لا » و « كن » التى تعنى فى العبرية « هكذا » . وبهذا قال « برجشتراسر »

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) الزبيدى ، تاج العروس ، مادة لكن .

(١٥) ابن هشام المغنى ٢٢٦/١ .

(١٦) الزبيدى ، تاج العروس .

(١٧) ابن يعيش ، شرح المفصل ٧٩/٨ ؛ ابن هشام ، المغنى ٢٢٦/١ .

في محاضراته الموسومة بالتطور النحوي للغة العربية^(١٨) .
وقول بعض الكوفيين بتركيبها من « لا » والاحرف الزائدة الاخرى
أقرب الى الصواب وأهدى الى الطريق الصحيح الذي توصل اليه بالفطنة
والنظر السديد .

٤ - ليس

يرى الخليل انها مركبة من لا ايس فطرحت الهمزة والزمت اللام
بالياء^(١٩) . وهو قول الفراء ايضا والدليل على ذلك قول العرب « ائتنى به
من حيث ايس وليس أى من حيث هو ولا هو »^(٢٠) .

أما غير الخليل من البصريين فقالوا بخلافه . فهي عند ابن السراج
حرف بمنزلة « ما » والى ذلك ذهب أبو علي الفارسي وابن شقير
وغيرهم^(٢١) . والقول بفعليتها واسميتها كثير ، قال ابن سيدة : « ليس كلمة
نفى وهى فعل ماض وأصلها ليس بكسر الياء »^(٢٢) .

وذهب ابن هشام الى انها فعل لا يتصرف ، وزنه فعل بالكسر ، ثم
التزم تخفيفه ولم نقدره فعل بالفتح لانه لا يخفف ولا فعل بالضم ، لانه لم
يوجد في يائي العين^(٢٣) .

وقول العرب « ائتنى به من حيث ايس وليس » مفيد في هذا الباب ،
ذلك ان ايس يعنى الوجود و « ليس » يعنى عدم الوجود .

والنظر في اللغات السامية يدل على هذا ، فالمادة « يش » في العبرية
تفيد الوجود والمادة « ايت » في الآرامية تفيد الوجود وقد ركبت « لا » مع
هذه المادة التى تفيد الوجود . والى هذا ذهب برجشتراسر فى بحثه^(٢٤) .

-
- (١٨) برجشتراسر ، التطور النحوي ، ص ١١١ .
 - (١٩) ابن منظور ، لسان العرب مادة ليس .
 - (٢٠) الزبيدي ، تاج العروس ، مادة ليس .
 - (٢١) ابن هشام ، المغنى ، حرف اللام ٢٢٧/١ .
 - (٢٢) ابن منظور لسان العرب مادة ليس .
 - (٢٣) ابن هشام ، المغنى ٢٢٧/١ .
 - (٢٤) برجشتراسر ، التطور النحوي ص ١١١ .

ولو رجعنا الى العربية وقصرنا عليها البحث دون النظر في اللغات السامية لوجدنا فيها ما يؤيد القول بتركيب « ليس » من « لا » و « ايس » فقولهم « ايس » للدلالة على الوجود يقابله في العربية مادة « شيء » وهي مقلوب للكلمة « ايش » السامية ، والتي وجدت في العبرية مؤدية هذا المعنى ، والتي تحجرت في العربية في جمل معدودة مقيدة في معجمات اللغة في قولهم « ايس » • فكان « ليس » « لا ايس » اى انها من « لا ايش » ومعناها « لا شيء » ثم قوى التركيب على طريقة النحت فصارت ليس •

٥ - لات

ولا بد للباحث في « ليس » أن يعرض لـ « لات » وهي أداة من أدوات النفي الحقت بليس وعملت عملها وقيدت بشروط • وقد علل النحويون التاء في هذه الاداة فقال جماعة انها للتأنيث ، وقال آخرون انها للمبالغة^(٢٥) وفاتهم انها مركبة ولم يفتنوا الى تركيبها • وهي لا تختلف عن ليس • وربما كانت « لا ايت » فصارت في العربية « لا ايت » ثم استفادت من النحت فصارت « لات »^(٢٦) •

٦ - لهنك

ذهب الفراء الى انها منحوتة وان أصلها : « والله انك كما روى عن ابي أدهم الكلابي : له ربي لاقول ذلك • بقصر اللام ثم حذف حرف الجبر كما يقال : الله لافعلن ، وحذفت لام التعريف ايضا كما يقال : لاه أبوك أى

(٢٥) ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك •
(٢٦) جاء في ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ٤٠٣ ما ننقله لما فيه من فائدة في هذا الباب : « وقال بعض البغداديين : التاء تزداد في أول حين ، وفي أول اوان وفي أول الآن وانما هي « لا » ثم تبتدىء فتقول : تحين وتلان • » وربما كان في هذا مفتاح الامر في تركيب « لا » حيث ان من شرط اعمالها ان اسمها وخبرها اسما زمان وان يحذف الاسم غالبا ولم تجيء « لات » الا في قولهم :

لات حين مناص او ما حمل على الحين او ما يرادفه •

لله أبوك • ثم حذف الف «فعال» كما يحذف من الممدود اذا قصر كما يقال :
الحصاد والحصد قال :

الا لا بارك الله في سهل اذا ما الله بارك في الرجال

ثم حذفت همزة انك «(٢٧)» •

ولم يقل سيويه بتركيبها • وقد ذهب الى انها كلمة تكلم بها العرب
في حال اليقين ، وليس كل العرب تتكلم بها •

وعن سيويه تقول العرب : لهنك لرجل صدق • يريدون • «ان»
ولكنهم أبدلوا الهاء مكان الالف وروى ابن فارس قول الشاعر :

لهنك من عيسة لوسيمة على هنوات كاذب من يقولها «(٢٨)»

وقد قال الفراء بتركيب كثير من الادوات «فمنذ» مركبة عنده من «من»

و «ذو» وحذفوا الواو تخفيفا «(٢٩)» ، و «هلم» عنده مركبة من «هل ام»

أى أقصد فخفت الهمزة بأن القيت حركتها على اللام وحذفت فصارت :

هلم «(٣٠)» •

٧ - مهما

هي مركبة عند الكوفيين من «مه اسم فعل بمعنى اكف زيد عليها

«ما» فحدث بالتركيب معنى لم يكن «(٣١)» • وهي عند البصريين مركبة من

«ما» الشرطية زيد عليها «ما» فنقل اجتماعها فابدلت الاولى هاء «(٣٢)» •

٨ - مهمن

هي أداة كوفية أضافها الكوفيون الى أدوات الجزم «(٣٣)» واحتجوا

بقول الشاعر :

(٢٧) الرضى ، شرح الكافية ٣٥٧/٢ •

(٢٨) سيويه ، الكتاب ٤٧٤/٢ ، الصحابي ص ٤ •

(٢٩) ابن يعيش ، شرح المفصل ٩٥/٤ •

(٣٠) ابن يعيش ، شرح المفصل ٤٢/٤ •

(٣١) الاشمونى ، الشرح ١١/٤ •

(٣٢) المصدر السابق •

(٣٣) المخزومى ، مدرسة الكوفة ص ٢٦٦ •

أماوى مهمن يستمع فى صديقه أقاويل هذا الناس ماوى يندم (٣٤)

وهى مؤلفة من (مه) و (من) وتركيبها كتركيب « مهما » ولم يقل بها البصريون (٣٥) . ودخل التركيب فى الاسماء ، والمركبات من الاسماء معروفة فى كل زمان ، وقد أفادت منها العربية فى تكثير المعانى . وفى العربية قدرة على الاستفادة من هذا النوع ، وهى دائمة الاستفادة منه . وربما وجدنا فى اللهجات الدارجة الشيء الكثير من هذه المركبات . وللمجاورة والاتباع فى العربية أثر فى ذلك .

والمركبات على ضربين : ضرب يقتضى تركيبه أن يبنى الاسمان معا ، وضرب لا يقتضى تركيبه الا بناء الاول . فمن الضرب الاول نحو العشرة وما يتف عليها ، الا اثنى عشر ، ونحو قولهم وقع فى « حصص بيص » ولقته « كفة كفة » ، و « صحرة بحرة » ، وهو جارى (بيت بيت) ، ووقع (بين بين) وآتيك (صباح مساء) و (يوم يوم) ، وتفرقوا (شجر بجر) و (شذر مذر) و (خذع مذع) وتركوا البلاد (حيث بيت) و (حاث باث) ومنه (الخاز باز) .

والضرب الثانى نحو قولهم افعل هذا يادى بدي وذهبوا ايدى سبا ، ونحو معدي يكرب وبعليك وقالي قلا (٣٦) .

والذى يلاحظ فى هذا الباب ان العربية حين بنت جزئى المركب اختارت الفتح التماسا للخفة والخفة متطلبة فى هذا الباب ذلك ان المركب كلمة طويلة ثقيلة . ومع هذا فقد جوز الفراء اعراب العدد المركب (٣٧) .

ولقد جد فى العربية مركبات منحوتة اقتضاها الدين الاسلامى الحنيف ، وهذه المنحوتات أبنية نُحِتَ كل منها من كلمتين أو أكثر ، كالبسمة ، والحمدلة ، والحلوقة ، أو الحوقلة ، والهيللة ، والحسيلة ،

(٣٤) الرضى ، شرح الكافية ٣٣٥/٢ .

(٣٥) ربما كانت هذه الاداة من استخدام التنوين فى « مهما » كما استخدم التنوين فى ما فصار « من » .

(٣٦) الزمخشري ، المفصل ص ١٧٦ .

(٣٧) السيوطى ، همع الهوامع ، باب العدد .

والحيلة ، والسعلة ، فانها منحوتة من : بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ولا اله الا الله ، وحسبي الله ، وحى على الصلاة ، وسمع الله لمن حمده . وقد اشتق من هذه المنحوتات افعال رباعية ففعل بسمل وحملل وحيعل ***

وذهب ابن فارس الى أن أكثر الابنية التي تزيد اصولها عن ثلاثة منحوتة عن كلمتين ، مثل قول العرب للرجل الشديد : ضطر ، من ضبط وضرب وفي قولهم صهصلق ، من سهل وصلق ، وفي الصلدم انه من الصلدم والصلدم (٣٨) .

وربما كان فى الصلدم قول غير هذا فهو صلد ذيل بالميم خدمة للتيميم مقابلة للتوين . ومن المركبات المنحوتة قولهم « ايش » يريدون به أى شئ (٣٩) ، فقد نص عليه ابن السيد فى شرح أدب الكاتب وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقد وقع فى شعر قديم : من آل قحطان وآل ايش . وقد استخدمت النون فى بناء الرباعى من الاسماء ففعل ضيفن ، وهرشن ، وشدقن ، ورعشن كما استفيد من الميم ففعل خضرم وصلدم .

وقد دخل النحت فى الافعال غير الثلاثية فالرباعى دحرج (٤٠) مؤلف من « دحَرَ » و « درج » . وقد ذهب هذا المذهب ابن فارس كما أشرنا الى ذلك . وقد ذهب الزمخشري فى الكشف الى ان قرضب آت من « قرض » و « قضب » (٤١) . وبناء الرباعى فى العربية جاء بطرق عدة منها :
١ - اضافة ميم ذيلًا أو كسما Suffite كقولنا حرجم .

(٣٨) ابن فارس الصحاح ص ٢٢٧ .

(٣٩) « الخفاجى ، شفاء الغليل ص ١٥ .

(٤٠) يرى بعض الباحثين الى ان الفعل دحرج آت من درج ثم ابدل من الراء الاول حاء .

(٤١) يلوح ان الاصل فى قرضب هو قضب والراء تعويض من الضاد الاولى . والتعويض بالراء ظاهرة سامية معروفة بالكلمة الآرامية « ترتين » تقابل « اثنين » فى العربية والراء فيها عوض عن النون وكذلك « بر » و « برتا » الاراميتين تقابلان « ابن » و « بنت » ولا وجه للرباعى « فرقع » الا هذا السبيل فهو من « فقع » بتضعيف القاف .

٢ - الاستفادة من التوين كما فى ضامن وتضامن والاصل هو تضام^٩ .

٣ - الاستفادة من فك الادغام فى المضعف والتعويض من الحرف الاول المضعف حرفا آخر هو التون مثلا كقولهم :

جندل وهو من جدل ، قطر وهو من قطر ، وفك الادغام والتعويض بالنون شهير فى العربية فضمير المخاطب المنفصل أنت واخواته هو « ات » فى سائر اللغات السامية . وقد ورد الادغام وفك الادغام فى ألفاظ كثيرة مثل قبرة قبرة .

وكقولهم حنجرة وسنبلة ودملة . ولعل فك الادغام هو الذى جاء بالفعل « انطى » وهو من أتى بمعنى أعطى . جاء فى الآية الكريمة : « وآتى المال على حبه » ثم حدث ابدال بين التاء والطاء . ولهذا فقول القدماء « باستطاء بكر » لا أساس له ، فهو من هذا الباب وليس الاستطاء مقيدا بكر دون غيرهم ، والدليل وجود الكلمة حية فى سائر أقطار العربية . وقد يعوض بالهاء : « فجمر » تصبح « جمهر » وهو من « جم » .

٤ - الاستفادة من الميم صدرا فى الفعل Préfixe كقولهم مسخر ومشدق .

٥ - الاستفادة من الشين كسما فى الفعل كقولهم فى اللسان الدارج « حركش » وهو لم يصبح فصيحاً بعد . والشين التى تزيل الافعال مقتطعة من « شى » فقول العامى « دكش » يريد به دق شيئاً . وكقولهم « لا شى » و « بلا شى » وهو مركب منحوت من « لا » « شى » .

٦ - وربما خرج العامى من الشين الى الجيم لفائدة معنوية ، فقوله « صخرج » اثبات لما فيه قوة الصخر وطبيعته ، ومنه « صفرج » اثبات لما فيه شىء من الصفرة .

بحث "مقارن" في التشنية

لقد ضاع من العربية شيء كثير • على ان ما انتهى من اللغات السامية الاخرى قليل جدا بالقياس الى الثروة الكبيرة في اللغة العربية • ومن أجل هذا لا يجد الباحث مادة وافرة يتخذ منها أدواته وأسبابه في البحث ، ليتوصل بذلك الى اعطاء صورة واضحة جلية عن كثير من الحقائق اللغوية^(١) •

موضوع التشنية في العربية واللغات السامية الاخرى من الموضوعات التي يحسن الوقوف عندها طويلا ، ذلك ان مصادر البحث وجلها كتب النحو واللغة لا تقول الا الشيء اليسير •

والتشنية أو المتى ظاهرة لغوية وجدت في اللغات السامية ، واللغة اليونانية^(٢) وفي السنسكريتية ولها آثار في اللغات الجرمانية^(٣) • ولكننا نستطيع أن نقرر ان التشنية ظاهرة سامية أو قل عربية قبل كل شيء^(٤) •

والبحث في هذا الموضوع يستدعي النظر في الكلمة « اثنان »^(٥) من حيث هي من أسماء العدد ، ومن حيث هي من أسماء أيام الاسبوع ، وهذه الاسماء من أقدم الكلمات في اللغات السامية •

والاثنان اسما لليوم ، من أيام الاسبوع من الاسماء العربية الاسلامية • فلم يكن العرب في جاهليتهم يسمون أيامهم بأسماء مفردة كما سمتها الفرس غير انهم أفردوا لكل ثلاث ليال من كل شهر من شهورهم اسما على حدة

(١) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ٣٣ •

(٢) Cf. Gesenius, Hebrew Grammar, (Oxford 1910) p. 244. (٢)

(٣) Cf. Grim's Grammar 2nd ed., p. 814. (٣)

(٤)

Cf. The Literature on the Semitic dual in Grünert, Die Begriffs-Präponderanz und duale a potiori im Altarab. (Wien, 1886), P. 21.

Cf. Philippi Z. D. M. G. XXXII, P. 21 - 98. (٥)

مستخرجاً من حال القمر وضوئه فيها^(٦) ثم انهم كانوا يطلقون على يوم الاثنين (أهون أو أهود)^(٧) .

أما (الاثنان) من أسماء العدد فهي نقطة البدء في الموضوع ، وهي مادة ذات صور كثيرة في معجمات العربية ، فمنها الفعل ثنى والاسم ثنى بكسر التاء واسكان التون وربما كان منها اسم مفرد هو اثن أو ثن وتكتب عنه الاستعمال مستقنياً بالواحد والأحد .

والمعنى الاصيل للمادة هو فكرة وجود شيئين أو طرفين متلازمين أو غير متلازمين ، ومن هذه الفكرة جاء الفعل ثنى بمعنى طوى ولوى فصار الشيء وكأنه ذو شقين ومنها ايضاً جاء (الثنيان) بضم التاء للرجل الذي يلي السيد .

وقد افترضنا ان (للاثنين) اسماً مفرداً لم يألفه الاستعمال هو (ثن) وهو ثنائي وربما استند على نصف الحركة المتمثلة في همزة الوصل ليكون على ثلاثة . ثم حمل عليه الاستعمال لفظ المؤنث ف قيل (اثنتان) أو ثنتان والتاء فيها كالتاء في بنت واخت وكلتا . وهذه التاء علامة للتأنيث المحمول على التذكير قياساً كما حملوا على (ابن) (ابنة) وان وجدت بنت وهي صاحبة الاصل^(٨) ولكن النحاة العرب قالوا : « واما تاء بنت واخت وهنت وكلتا وثنان فليست لمحض التأنيث بل هي بدل من اللام في حال التأنيث ولذا سكن ما قبلها »^(٩) . وكأنهم اشترطوا في تاء التأنيث أن يفتح ما قبلها . ولفظ (اثنان) من الالفاظ السامية فهو في اللغة العبرية (شنايم) Shnāyīm للمذكر و (شتايم) Shtāyīm للمؤنث ، وفي الاكديّة (شين) للمذكر و (شتين) للمؤنث وفي الحبشية نجد (سنوى) و (سنايت) بمعنى اليوم الثاني من الاسبوع أو الشهر . على ان الحال تختلف في

(٦) البيروني ، الآثار الباقية طبعة ساخو ليبسك ص ٦٣ - ٦٤ .

(٧) ابن سيدة ، المخصص ، الايام والليالي والشهور للقراء ص ٦ .

(٨) انظر التطور النحوي ص ٦٢ .

(٩) الرضى شرح الكافية ١٦١/٢ ، راجع مسألة الجنس في :

Wensinck, Gender in the Semitic Languages

الآرامية والسريانية فهي (ترين) trên للمذكر و(ترتين) tertên للمؤنث .

ولا زالت هذه اللفظة حية في لغة لبنان الدارجة وهم يستعملونها بمعنى الرفيق أو الشريك في اللعبة التي تتطلب اثنين يقومان بها^(١٠) . والراء في هذه اللفظة ليست أصيلة فهي من فك الادغام الحاصل في النون فيدل باحدى التونين راء ، ويدلنا على هذا ان كلمة (برتا) Barta مؤنث (بر) Bar بمعنى بنت تجمع على (بنات) كما تجمع (بت) العبرانية والتي تعني بنت على (Bânôt) أى بنات وهو ايضا من فك الادغام الكائن في تاء المفرد . وكذلك الحال في لهجة قرويى جنوبى العراق اذ يقولون بت بكسر الباء اللبت ويجمعونها بنات .

وفى العربية ألقاها تدل على معنى (الاثنين) مثل كلمة (زوج) كما فى قوله تعالى : (والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج)^(١١) . ومن هذه الالفاظ (كلا)^(١٢) للدلالة على المثني المذكر ، وقد حمل عليها قياسا (كلتا) للدلالة على التأنيث . وليست هذه اللفظة مما اختصت بها العربية ففي اللغة الحبشية يوجد (كلأتو) للمذكر و (كلأتبي) للمؤنث ، وفى حالة المفعولية توجد صيغة واحدة للمذكر والمؤنث وهى (كلأت) . ولفظ كلأ يدل على الفصل والقطع والتنصيف ومن هنا نشأت فكرة التثنية^(١٣) وفى العبرية توجد (كلآيم) Kil'ayim للدلالة على المثني .

والنحاة العرب بحثوا فى هذه المادة ولاسيما فى اعرابها فقالوا ان الالف فى كلا علامة اعراب أو هى دلالة مثيرة الى الاعراب ، ثم قالوا ان الالف فى كلتا للتأنيث وعند آخرين وهم جماعة أهل الكوفة ، ان الالف فى كلا وكلتا للتثنية ثم قالوا ولم يستعمل واحدهما اذ لا احاطة فى الواحد

(١٠) انيس فريجة مجلة الابحاث آذار ١٩٥٨ .

(١١) سورة (ق) ٥٠ ، ٧ .

(١٢) Cf. Brockelmann, Grundriss, P. 455.

(١٣)

Cf. A. Dillman, Lexicon Linguae Aethiopiae cum indice Latino

فلفظهما كللفظ الاثني سواء ، وقالوا ويجوز للضرورة استعمال الواحد كما
فى البيت :

فى كلت رجلها سلامى زائده كلتاهما مقرونة بواحدة^(١٤)
وأهل الكوفة يقولون ان (كلا) من (كل) (بتشديد اللام) فحذفت
اللام وزيدت الالف للثنائية والتاء للتأنيث^(١٥) . والتاء فى كلتا ليست مبدلة
من الواو كما يرى الكوفيون ، وليست لللاحاق كما يرى الجرمي بل هى
للتأنيث كما بينا آنفا .

والنحويون ربما كانوا يهرفون وذلك لانهم لم يفتنوا الى المقارنة فى
دراسة النحو واللغة ، ففاتهم نتيجة لهذا علم كثير .

والثنى من الموضوعات النحوية التى لم تبرز البروز الواضح الا فى
العربية من اللغات السامية . فقد زال تماما من اللغة السريانية ، ولم نعد
نستطيع أن نتبين صيغة الثنى (tryanaya) الا فى خمس كلمات هى :
(trên) اثنان للذكر و (tertên) للمؤنث و (Ma'tin) مثنان و
(Misrîn) وتعنى مصر ... وهذه الكلمات بصيغة الثنى وان كانت
مكسورة ما قبل الياء والتون فالمعروف عند الباحثين ان حركة ما قبل الياء
والتون الفتحة^(١٦) . وقد اعتاضوا عن الثنية بالعدد (ترين) و (ترتين)
وهما اثنان واثنان يسبقان الاسم المجموع فيقولون مثلا (trên Gavrin)
ويعنى رجلا^(١٧) .

وفى الآرامى الابجلى Aramean Biblique فالثنية مقصورة على
أعضاء الجسم المزدوجة كما فى (يداين °) و (رجلاين) وعلامته الياء
والتون . وهما فى الآشورية ضيقة الاستعمال كذلك وعلامته الألف اللينة
المنبوذة بالتون كما فى apchan وتعنى (جبالان) ، على ان التون تحذف

(١٤) شرح الكافية ، الرضى ج ١ ص ٣٢ .

(١٥) ابن الانبارى ، الانصاف المسألة ٦٢ .

(١٦) القس بولس الكفرنيسى ، غرامطيق اللغة الآرامية السريانية
ص ٥٠ .

(١٧) اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية للمطران يوسف داود .

إذا اسند الى ضمير كما فى Ināshu (عيونه) ^(١٨) وكذلك اقتصر فى النصوص البابلية على أعضاء الجسم المزدوجة + ولا يوجد المثنى فى الحبشية الا فى بقايا متحجرة والعلامة (a) كما فى عشرا ومعناها عشرون + وفى اللغة العبرية يستعمل المثنى فى أعضاء الجسم المزدوجة وفى الادوات التى تتألف من شقين كالمقص والميزان مثل (يداييم) "Yaday im" وهناك كلمات دلت على الجمع وجاءت على صيغة المثنى كما فى (شمايم) سموات و(مايم) مياه + وتوجد فيها كلمات دلت على المفرد وهى بصيغة المثنى كما فى (صهورايم) أى الظهيرة •

وعلامة التثنية فى العبرية ياء وميم مفتوح ما قبلهما •
أما فى اللغة الجنوبية فالتثنية فى الاصل أن يلحق المثنى فتحة وياء فى اللغة المعنية ay ثم زيد مد ونون an قبل العلامة الاولى كما فى (معليانى) Ma'liyanay ، وفى اللغة السبئية يسبق المثنى لفظ (اثنين) مثل tani Namiran وتعنى (نمران) ^(١٩) •

ونستطيع أن نتبين من هذا العرض ان علامة التثنية هى الالف والنون أو الياء والنون مسبوقه بالفتح الا ما جاء من الكلمات المشار اليها آنفا • وسأخلص الى الوقوف عند علامة التثنية فى العربية وقفة يستدعيها البحث •
والبحث فى هذه الظاهرة اللغوية يؤدى الى أن نقول ان المثنى مادة لغوية اقتصت بها العربية ولزمتها فى الفصيحة من أقدم العصور حتى الآن ، وقد تعدى الامر هذه الفصيحة الى اللهجات المحلية الدارجة كما سنرى • ولكننا لو فحصنا أقدم النصوص العربية التى يطمأن الى صحتها ومن هذه نصوص القرآن الكريم ، لرأينا ان المثنى لم يكن ثابت القواعد محدود الصيغة فى هذه النصوص • فهناك تردد وترجح فى صيغة المثنى نفسه وفى صيغة الفعل الذى اسند اليه فلم يتحمل هذا الفعل ضمير المسند اليه على

Cf. Brockel mann, Précis de linguistique Sémitique. P. 133 (١٨)

(١٩) اغناطيوس. غويدى ، المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ص ١٣ •

هيئة التثنية ، وسنعرض لهذه النصوص لتبين صحة هذه الدعوى :
قال تعالى : قد كان لكم آية فى فئتين القتلى^(٢٠) ، وقد تمت المطابقة فى
هذه الآية •

وقال تعالى : ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما^(٢١) ولم يراع
فى هذه الآية ان أحد المتعاطفين وهو مسند اليه جمع وذلك ان الفعل وهو
طرف فى الاسناد قد تحمل ضمير التثنية •

وقال تعالى : فارتدا على آثارهما قصصا^(٢٢) ، وقد تمت المطابقة فى هذه
الآية •

وقال تعالى : فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ، ورفع أبويه
وخرؤا له سجدا^(٢٣) ، وفى هذه الآية جاء المثنى (أبويه) ثم عقب فى الشق
الآخر من الآية بالفعل (خروا) وهو مسند للجمع ولم تأت الآية (وخرؤا)
على التثنية ثم انه لما كان الفعل مسندا لضمير الجمع جاءت الصفة منصوبة على
الحال وهي مجموعة أيضا • وقال تعالى : كلتا الجنتين آتت أكلها^(٢٤) ، ولم
تم المطابقة • والنحو القديم لا يعدم أن يتلمس لما يراه فى كتاب الله من
تأويل وتعليل وتخريج فقد قالوا ان لفظ (كلا) أو (كلتا) مفرد وقد
حمل على اللفظ فى هذه الآية وجاءت عندهم قاعدة أنهم ان الحمل على النفض
أفصح وأكثر • وقد استعملوا هذه القاعدة فى كثير من الأدوات اللغوية كما
فى اسم الموصول (من) وفى (كل) وفى كثير من أسماء الجمع مثل
(ركب) و (وفد) ونحوهما •

وقال تعالى : هذا خصمان اختصموا فى ربهم^(٢٥) ، والمطابقة غير حاصلة
فى هذه الآية فقد اسند الفعل الى ضمير الجمع المذكور دون أن يسند الى

(٢٠) آل عمران ، ١٣ •

(٢١) الانبياء ، ٣٠ ، انظر ابا عبيدة ، مجاز القرآن ص ٩ •

(٢٢) الكهف ، ٦٤ •

(٢٣) يوسف ، ١٠٠ •

(٢٤) الكهف ، ٣٣ ، انظر السيوطى ، معجم الهوامع ج ١ ص ٤١ •

(٢٥) الحج ، ١٩ •

ضمير الاثنين وهذا وجه من وجوه الكلام فى الاسلوب القرانى •
وقال تعالى : ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم^(٢٦) ، والمطابقة
حاصلة فى هذه الآية بين المسند والمسند اليه • غير ان فيها مشكلة وهى
مشكلة ان وعملها وسنعرض لها عرضا خاصا غير آبهين بأقوال التحويين
فى الموضوع •

وقال تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما^(٢٧) والمطابقة حاصلة
بين المسند والضمير فى كلمة (ايدي) ، ولكن القول لنا فى كلمة (ايدي)
نفسها نهى جمع ولم تكن متى •

وقال تعالى : اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا^(٢٨) والمطابقة تامة بين
طرفى الآية •

وقال تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما^(٢٩) ،
والمطابقة غير حاصلة فى هذه الآية • فقد اسند الفعل الى ضمير الجمع
المذكر ، ولكن الضمير فى الظرف هو ضمير المتى •

وقال تعالى : فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين^(٣٠)
وقد اسند الفعل (قال) فى هذه الآية الى ضمير المتى اشارة لقوله (لها)
و (الارض) ولكن الآية عادت فوضعت هذا المتى بوصف الجمع المذكر
العاقل فى قوله (طائعين) •

وفى لغة القرآن كثير من الآيات الاخرى التى جاء فيها المتى محافظا
على المطابقة فى الفعل والضمير • ولكن عددا غير قليل من الامثلة لا تستقيم
فيه هذه المطابقة التى أشرنا اليها كما عرضناها فى الآيات السالفة الذكر •

ونستطيع أن نخلص من ذلك الى أن العربية القديمة حتى زمن القرآن
وما بعد ذلك بقبائل لم تكن تراعى المتى من حيث ما يسمى فى نظام

(٢٦) طه ، ٦٣ •

(٢٧) المائدة ، ٣٨ ، انظر ابا عبيدة مجاز القرآن ص ٩ •

(٢٨) آل عمران ، ١٢٢ •

(٢٩) الحجرات ، ٩ •

(٣٠) فصلت ، ١١ •

تأليف الجمل (Syntaxe) • وعدم المراعاة ربما جاءت من أن المتنى
 داخلاً في حيز الجمع وبذلك عومل في أمثلة كثيرة من القرآن الكريم كما
 ظهر من عرضنا للآيات • غير أن العربية الفصيحة قد حافظت على المتنى في
 الفترة التي تبتعت الفترة الإسلامية وحين تقدم النثر العربي ونشأ ما اصطلاح
 عليه النقاد والمحدثون بالنثر الفني • ومن أجل ذلك قل أن نجد هذا التردد
 في الاساليب الكلامية في هذه الفترة بين التثنية والجمع •

وقد رأينا أن علامة التثنية تتردد بين الألف والنون والياء والنون وقد
 يكون النون ميمًا كما مر بنا ولم يخص سائر اللغات السامية - ما عدا
 العربية - الألف والنون أو الياء والنون بحالة اعرابية خاصة ، كما هو
 الحال في العربية • فكتب النحو تقييد المتنى بالألف والنون في حالة الرفع
 والياء والنون في حالتى النصب والجر • ونريد هنا أن نلقى ضوءاً على هذه
 الحقيقة اللغوية النحوية • ولا بد لنا أن نرجع الى آيات الله اللينات ونقف
 قليلاً عند قوله « ان هذان لساحران » •

نجد في كتب اللغة « ان القراء يختلفون فهذا يرفع ما ينصبه ذلك
 وذلك يخفض ما يرفعه هذا » (٣١) • وقد حار الاوائل من المسلمين
 في تحليل هذه المسائل المشككة ، فزعم بعضهم ان في القرآن لحناً ، فقد روى
 أبو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي المتوفى ١٩٣ للهجرة عن هشام
 ابن عروة بن الزبير بن العوام عن أبيه عن عائشة انها قالت : « ثلاثة أحرف
 في كتاب الله هن خطأ من الكاتب : قوله : « ان هذان لساحران » (٣٢) وهذه
 قراءة ابن كثير وحفص ، أما أبو عمرو بن العلاء فقد قرأ : « ان هذين
 لساحران » على الجهة الظاهرة المكشوفة وقد قرأ ابن مسعود : « أن هذان
 لساحران » بفتح همزة أن وهى بمعنى « نعم » (٣٣) • وقد قرأ أبي (ان
 هذان لساحران) بإسكان نون (أن) •

(٣١) الطبري ، تفسير ١٢٠/١٧ •

(٣٢) ابن قتبية ، تأويل مشكل القرآن ص ٣٤ •

(٣٣) الزمخشري ، الكشاف ٢٧/٣ •

وقد تكلم النحويون فى مسألة اللحن هذه واعتلوا لكل حرف منها^(٣٤) . فقد قال بعضهم ببناء (هذان) وقال غيره بأعرابها^(٣٥) ، وقد خُصَّص غيره وعدّها لغة ونسبها الى بنى الحارث بن كعب^(٣٦) ، واستشهدوا الشعر فذكروا قول الشاعر : أحب منك الجيد والعينا .

وذكروا ايضا قول الشاعر :

واهاً لهند ثم واها واها يا ليت عيناها لنا وفاهها
ان أباهها وأبا أباهها قد بلغنا فى المجد غايتها
وليس القولان منسويين .

غير ان اللسان قد أورد فى هذه اللغة قول هوبر الحارثي :

تروود منا بين اذناه ضربة دعته الى هايبى التراب عقيم^(٣٧)

ولغة بنى الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفا فيقولون أخذت الدرهمان واشترت ثوبان^(٣٨) . وفى هذه اللغة ان ألف جر فى الجر (الى) و (على) تبقى على حالها اذا كان مدخولها ضمير غائب ومخاطب ، كما جاء فى نوادر أبى زيد ، أن المفضل الضبي ذكر لبعض أهل اليمن قوله^(٣٩) :

أى قلو ص راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها

ولم ينسب السيوطى هذه اللغة لبنى الحارث بن كعب وحدهم ، فقد عزاها لبنى العنبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزيد وخثعم وهمدان ومزادة وعذرة^(٤٠) .

ويتبين من هنا ان التزام المثنى للالف والنون اسلوب فى الكلام لا

(٣٤) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ٣٦ .

(٣٥) الرضى ، شرح الكافية ١٧٣/٢ .

(٣٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٢ .

(٣٧) اللسان فى ٦٤/١٠ ، فى ١٦٣/١٩ ، فى ٢٢٦/٢٠ .

(٣٨) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ٣٦ ، ابن فارس ، الصحاح ص ٢٠ .

(٣٩) أبو زيد النوادر ص ٥٨ ، ابن فارس ، الصحاح ص ٢٠ .

(٤٠) السيوطى : همع الهوامع ٤٠/١ .

علاقة له بحال من أحوال الأعراب • فهي تمثل لغة قسم كبير من العرب ،
وهي بذلك مسألة من مسائل اللهجات الإقليمية ويؤيد هذا حال المتن في
لهجاتنا الحديثة الدارجة فكيف نفسر الياء والنون علامة في التثنية القديمة
في النصوص العربية ؟ وهل هي حال خاصة بالنصب والجر ؟ هذا ما نشغل
أنفسنا بالإجابة عنه •

أقول بأن الألف والنون علامة في التثنية في أحوالها الثلاث كما دلت
على ذلك لغة الجماعات التي أشارت إليها كتب النحو واللغة • ولعلي أستطيع
أن أقول ان الياء والنون علامة في التثنية لغة أيضا تمثل قبائل معينة ، وجهات
معينة • غير انه لم تنص المصادر على وجود شيء من هذه اللغة ، وأقول ان
المصادر لا تسعفنا كثيرا في التماس اللغات واللهجات وهو راجع الى أمور
عدة منها :

(١) قلة المصادر التي بأيدينا لتبين الصورة الواضحة للغة العربية في
لهجاتها وتاريخ تطورها • وقد عرفنا ان شيئا كثيرا من هذه الأسانيد قد ضاع
وعفى عليه الزمان •

(٢) سوء تحرى الرواة للهجات العربية مقيدة بالبيئة أو الاقليم •

(٣) ارساء العربية على هيئة لغة الصدر الاول للإسلام ممثلة بالقرآن
والحديث ، واهتمام المسلمين بهذه اللغة غير عليها وتعصبا لها ، وقد ذهب
في هذه اللغة عناصر كثيرة من عادة اللهجات الإقليمية • ولعل جانباً مهماً من
هذه الخلافات الإقليمية يبدو في كتب القراءات •

قلنا اذن ان الياء والنون لغة كالالف والنون في المتن وتبين صدق
هذا عما عرضناه في صدر هذه المقالة عن المتن في اللغات السامية الأخرى
فالياء والنون أو الميم علامة معروفة في جملة لغات منها أو قل لهجات سامية
من هذه الأسرة الكبيرة اللغوية •

ولعل الياء في التثنية مسألة من مسائل الإمالة ، والإمالة من صفات
اللهجات المحلية قديما وحديثا • ولم تكن الإمالة عامة في مسألة من المسائل ،
فابن فارس يقول في اختلاف لغات العرب والمراد باللغات اللهجات : ومن

وجوه الاختلاف ، الاختلاف في الامالة والتفخيم في مثل (قضى) و (رمى)
فبعضهم يفخّم وبعضهم يميل^(٤١) ، والتفخيم ضد الامالة .

وليست العربية بدعا في مسائل الامالة فهي معروفة في أغلب اللغات
السامية ، ففي العبرية مثلا تمال الالف الى الواو أو الياء .

وحقيقة الامالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء
وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء أو لكون الالف منقلبة عن مكسور أو ياء
أو صائرة ياء مفتوحة^(٤٢) ، وليست الامالة لغة جميع العرب ، فأهل الحجاز
لا يميلون^(٤٣) .

وقد تكون الامالة خاصة بالاصوات وبالعوادات الكلامية التي يدرج عليها
قوم من الاقوام ، ومن أجل هذا اهتم بها علماء التجويد . والقراء يختلفون ،
بعضهم من يميل وبعضهم من يهمل الامالة ، ذلك ان اسباب الامالة ليست
بنوعية لها ، بل هي المجوزة عند من هي في لغته^(٤٤) .

وابن الجزرى ينقل عن أئمة ما يفهم جواز الامالة^(٤٥) . وينقل
السيوطى كلام ابن الجزرى بجواز الامالة^(٤٦) .

ذكر الدانى فى التيسير فى حديثه عن الاحرف التى أمالها القراء قال :
« اعلم ان حمزة والكسائي كانا يميلان من ذوات الياء فالاسماء نحو قوله
(عز وجل) موسى وعيسى ويحيى الموتى وطوبى واحدى وكسالى واسارى
ويتامى وفرادى والنصارى والايمى والخوايا وبشرى وذكرى وبقيا وضيضى
وما اشبه مما ألقه للتأنيث وكذلك الهدى والعصى والضحى والزنى ومأويه
ومأويكم .

والافعال نحو قوله تعالى : أبى وسعى وزكى فسوى ويخفى

(٤١) ابن فارس ، الصحاح ص ٢٠ .

(٤٢) الرضى ، شرح الشافية ٤/٣ .

(٤٣) المصدر السابق .

(٤٤) المصدر السابق .

(٤٥) ابن الجزرى ، النشر فى القراءات العشر ٣٢/٢ .

(٤٦) السيوطى ، الاتقان ص ١١٥ ، جمع الجوامع ٢٠٠/٢ .

وتهوى (٤٧) * على ان الباقيين قد قرأوا باخلاص الفتح في جميع ما تقدم *
وتبين من كتب القراءات ان اصحاب الامالة من القبائل هم تميم وقيس
وعامة أهل نجد وهم لا يختلفون في ذلك ، كما ان أكثر اليمن يميلون الف
حتى لان الامالة غالبية في ألسنتهم في أكثر الكلام (٤٨) * .

وابن يعش يقول : « عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد يسرون
الى الكسر من ذوات الياء في نحو * شاء وخاف وجاء وكاد ... » (٤٩) * .

ويقول سيويه : « ان ممن يميل قوما من قيس وأسد ممن نرتضى
عربيته (٥٠) * أما أهل الحجاز فلا يميلون والفتح على ذلك لغتهم (٥١) * .

ولنرجع الى المتى بالياء فنقول ان الياء فيه ، ربما كانت من امالة
الالف ، وان قالوا بامتناع امالة الف التشية ، ذلك انهم أمالوا الف (كلا)
و (كلتا) وحصول التشية في هاتين الكلمتين واضح جلي * كما يرى
الكوفيون ، ومن أجل ذلك قرأ حمزة والكسائي (كلتا الجنتين آتت اكلها)
بامالة الالف * .

ومن هنا نستطيع أن نقرر ان المتى بالياء لغة جماعة من الناس ، أو قل
جهات اقليمية من جهات اقليمية من جهات العربية * ثم لما أن درجت العربية
في طريقها التطوري وآن لها أن تسجم في لغة هي لغة القرآن والحديث
اختص الاستعمال المتى بالالف لحال الرفع ، والمتى بالياء لحال
النصب والجر * .

والمتى بالياء فيه شيء ينبغي أن نقف عنده وننبه عليه وهو ان الياء في المتى
في الفصحى من العربية قد اكتسبت حركة خاصة وصفة خاصة تبعتها عن
ياء الامالة * وهذا الشيء الخاص ما يسمى في علم الاصوات الحديث بـ
(Diphtongue) وهو كأن نقول رجلين Rajulayn بدلا من رجلين

-
- (٤٧) الداني ، التيسير باب الامالة *
 - (٤٨) السيوطي ، صمع الهوامع ٢/ ٢٠٤ *
 - (٤٩) ابن يعش ، شرح المفصل ٩/ ٥٤ *
 - (٥٠) سيويه ، الكتاب ٢٦٢/ *
 - (٥١) ابو شامة ، ابراز المعاني ص ١٥٢ *

Rajulain بالامالة • ونجد صدق هذه الدعوى فيما بقى من استعمال
 المثنى فى لهجاتنا العربية الحديثة • فقد التزم الياء دون تفريق بين الرفع
 والنصب والجعر والياء بهذا لغة عند الناطقين بالعربية فى يومنا هذا • ولو
 نظرنا الى هذه الياء لوجدناها ياء الامالة فى جهات كثيرة من الوطن العربى
 كما فى العراق وفى سوريا وفى مصر وفى جهات اخرى • على ان هذه الياء
 ترد فى المثنى بهيأة ما أسميناه بـ Diphthong فى جهات اخرى ، كما
 فى نواح معروفة من لبنان وفى جهات المغرب كمدينة فاس مثلا • وقد
 اعتبر اللغويون الامالة من نطق العوام واسلوبهم فى الكلام • فقد ذكر ابن
 الخطيب فى الاحاطة فى حديثه عن أهل غرناطة فى الاندلس : « وألستهم
 فصيحة عربية يتخللها اعراب كثير وتغلب عليهم الامالة » (٥٢) • فأهل غرناطة
 يقلبون ألفات المد الى امالة دقيقة تكاد تكون ياء مثل قولهم (بب) للباب
 و (ميل) للمال (٥٣) ، ومن ذلك قولهم (ميدة) للمائدة (٥٤) • ومن ذلك
 قولهم عيشة فى اسم المرأة والصواب عائشة (٥٥) •

على ان الدراسة الحديثة للغة تستفيد من اللهجات دون النظر نظر
 القدامى بعزوها لطبقة العوام من الناس •

وقد اهتمت العربية بالمثنى فشاع فيها الخطاب للمفرد بصيغة المثنى
 كما فى الشعر كقولهم « خليلي » و « قفا » و « ودعا » • ومن اهتمام العربية
 بالمثنى اننا نجد عددا من المصادر ترد مثناة مثل (سعديك) و « حنانيك »
 و (ليك) و « حواليك » و « دواليك » •

وقد وردت مثنيات فى العربية ، وهو ما نسميه بالمثنى التغليبى ، وهو
 تغليب أحد المتجاورين والمتشابهين على الآخر ، فيجعل الآخر مسمى باسمه
 ثم يثنى ذلك الاسم قصدا اليهما جميعا • والتغليب يكون تارة للشرف وأحيانا

(٥٢) ابن الخطيب ، الاحاطة ٣٥/١ •

(٥٣) تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب ، الجمانة فى ازالة الرطانة
 ص ٢١ •

(٥٤) المصدر السابق ص ٣٣ •

(٥٥) الخفاجى ، شفاء العليل ص ١٣٤ •

للسهرة وطورا للخفة مثل (العمران) لابي بكر وعمر (والقمران)
للمس والقمر (٥٦) .

ونستطيع أن تبين طائفة كبيرة من هذه المثنيات والتي لا نلمس فيها
تغليب طرف على آخر بل التنية حاصلة عن صفة مشتركة بقدر معين في
الطرفين ، كما فيما يلي :

- ١ - الأبردان الغداة والعشى والظل والقيء .
- ٢ - الأبيضان اللبن والماء أو الشحم واللبن .
- ٣ - الأحمران الخمر واللحم .
- ٤ - أما الليل والنهار فقد اختصا بمثنيات كثيرة منها الجديدان
والملوان والدائبان والطريدان والعصران والاحداث والاحرمان .
- ٥ - الاخشبان جبلا مكة المصقان بها .
- ٦ - الفرقدان نجمان منيران في بنات نعش .
- ٧ - النجدان الضلالة والهدى .
- ٨ - الثقلان القرآن وعتره الرسول (وفي الحديث اني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي) .

ومن المثنيات ما كان كالاداة أو الآلة المؤلفة من طرفين كالجلمين
والمقصين والمذروين والكلبين ولكن الاستعمال لم يرع صورة المثنى في
هذه فجاء الجلم والمقص . وفي العبرية شيء من هذا فالادوات المؤلفة من
شقين وردت بهيأة المثنى عندهم مثل (رحايم) للرحى و(مؤزنايم)
للميزان والنخ .

والتون في التنية وكذلك الميم ساكنة في سائر اللغات السامية عدا
العربية . فالتون فيها مكسورة وربما كان الكسر تميزا للمثنى عن جموع
التكسير التي تنتهي بألف ونون مثل (الفتيان) على وزن (فعلان) بكسر

(٥٦) لتعلقهم بالقمر وحاجتهم اليه على عكس الحال من الشمس التي
لا تستقر اليها نفوسهم فهي جالبة للحر الذي من مرادفاته الموت . الرضى ،
شرح الكافية ١٧٣/٢ .

الفاء و(ذكران) على وزن فعلا ن بضم الفاء •
على اننا لا نعدم أن نجد في شواهد اللغة مثنيات بنون مفتوحة وربما
كان ذلك لهجة من اللهجات المحلية • كما ورد في قول الشاعر :
(أحب منك الأنف والعينانا)

واذا قلنا ان فتح النون لهجة من اللهجات ، وجدنا دليلا على هذا القول
في القراءات الشاذة التي تؤلف مادة للغات الضيقة المحلية ، فقد قرئ في
الشواذ (أتعذاني) بضم نون المثني •

الجمع في العربية

« بحث ومقارنة »

الجموع في العربية من المسائل الصعبة ، والاكتفاء في شرح وبسط هذه المسألة بما جاء في كتب النحو واللغة ، غير محقق للغرض العلمي الذي تصبو اليه الدراسات اللغوية الحديثة ، ذلك أن وضع علوم اللغة العربية وتدوينها وصيورتها على هذه الصورة من النضج ، لم تيسر الا في عصور متأخرة ، بالقياس الى تاريخ اللغة الطويل . فالذي جاء في الاخبار أن وضع النحو يرجع الى أبي الاسود الدؤلي^(١) (المتوفى سنة ٦٨٩/٦٩) ، ولا نريد أن نقف صحة هذا الخبر . ونفشي اللحن في هذه الفترة يشير الى أن اللغة قطعت مراحل طويلة ، بحيث لم تسلم للعربي سليقته التي كانت تعصم لسانه من الزلل ، ولعل اللحن والعجمة قد دبا في العربية قبل هذا العصر ، فهذا صهيب بن سنان وهو من صحابة رسول الله (ص) كان ينطق العربية بذكاة بيزنطية ، وذلك لان البيزنطيين قد اختطفوه وهو صبي فتأثر بذلك لسانه^(٢) وما قيل عن صهيب ، قيل عن سحيم عبد بني الحسحاس الشاعر أنه كان يرتضخ لكنة أجنبية^(٣) ، ربما كانت حبشية نوبية .

وقد طبع (كتاب الله) العربية بطابع ميين ، وقضى بذلك على آثار اللهجات الاقليمية ففي القرآن ، لأول مرة في تاريخ اللغة العربية ينكشف الستار عن عالم فكري تحت شعار التوحيد ، ولا تعد لغة الكهنة والعرايين

(١) الجمحي : طبقات ٥ ، ياقوت : ارشاد ٢٨٠/٤ ؛ ابن الانباري : نزهة ٣ - ١٣ .

(٢) ابن حجر : الاصابة ١٩٥/٢ ؛ وقد جاء في البيان والتبيين ٣٢/١ : أن صهيبياً كان يقول : انك لهائن ، يريد انك لحائن .

(٣) الجاحظ : البيان ٣٢/١ .

الفنية إلا نموذجاً ضعيفاً له ، من حيث المواد اللغوية ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة^(٤) .

اذن فعهدنا باللهجات قديم جداً ، ولم نستطع تحديده على وجه الضبط ، غير أن كتب اللغة تشير الى أجزاء من هذه اللهجات لا تؤلف الا امارات يسيرة لها ، وهى أمور لا تتعدى العناصر الصوتية ، ولا تتجاوز مسائل الابدال ، على ان هذه لا ترسم صورة واضحة المعالم للغة الاقليمية . ولم يعدها علماء العربية شيئاً جيداً ، فالسيوطى يحشرها فى باب « الردى المذموم من اللغات »^(٥) كالشكشة والكسكة والتلتة والغنة والفحضة والعجعة وغيرها . وهم لا يتفقون فى نسبة كل من هذه الى أصحابها الذين جرت ألسنتهم بها ، فالغنة لغة قيس وتسم عند السيوطى ، وهى تعرض فى لغة قضاة عند الثعالبي^(٦) ، وفى « اللسان » غير هذا^(٧) .

وربما علقوا اللهجة على كلمة واحدة لا تتعدها الى غيرها ، ومن ذلك الاستطاء فى لغة سعد بن بكر ، وهذيل ، والازد ، وقيس ، والانصار تبجل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء ، كأنطى فى أعطى . والذى يقبل النظر فى هذه الكلمة يجد أنها مسألة ابدال ليس غير ، وما زالت الكلمة مستعملة فى أيامنا هذه^(٨) .

ونريد أن نخلص من هذه المقدمة الى أن موضوع اختلاف اللهجات فى الاقاليم والقبائل العربية غير متيسر للباحث غير اننا نستطيع أن نلمح مواد لغوية قديمة جدا احتفظت بها العربية ، وهى تدل على اختلاف اللهجات

(٤) يرهان فك : العربية ٥ (ترجمة النجار) .

(٥) السيوطى : المزهى ٢٢١/١ .

(٦) الثعالبي : فقه اللغة ، (المقدمة) .

(٧) فى اللسان : قال الفراء : تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف « أن » اذا كانت مفتوحة عيناً .

(٨) لعل « أنطى » من « اتى » بتشديد التاء وفك الادغام فى العربية وفى غيرها من اللغات السامية يستندعى تعويض احد الحرفين المتجانسين بالنون كثيراً وربما كان بحرف آخر كالياء أو الراء ، فيحصل من ذلك « انتى » ثم يبدل بالتاء طاء فتصير « أنطى » .

المحلية ، ومن هذه المواد مادة الجمع ، ولاسيما ما اصطلاح عليه علماء اللغة بجموع التكسير ، ويعنى هذا اننا نجمع كلمة واحدة على عدة صيغ من صيغ الجمع .

فالشيخ يجمع على « شَيْخَة » ، ويجمع على « شيوخ » ، ويجمع على « أشياخ » . والمتبع للاصول العربية يجد شيئا غريبا فى هذا الباب فالحب (بكسر الحاء) وتعنى المحبوب تجمع على (أجاب) ، (حبان) (بكسر الحاء وتشديد الباء) ، و (حبوب) ، و (حبية) (بكسر الحاء) و (حب) (بضم الحاء)^(١٩) ، وربما دل هذا على أن صيغة من هذه الصيغ قد استعملت فى جهة من الجهات عند قوم من الاقوام ، فى حين أن جهة اخرى قد ألفت استعمال صيغة اخرى من هذه الصيغ . وكثرة صيغ جموع التكسير فى العربية تسترعى التأمل والنظر ، بحيث لا نستطيع أن نفسر ذلك بغير القول بتعدد اللهجات .

وقد اقتصت اللغة العربية بجموع التكسير ، وخلت من ذلك اللغات السامية الاخرى^(٢٠) ، غير ان فى الحبشية شيئا من صيغ هذه الجموع^(٢١) ، وقراءة الحبشية من العربية واضحة جلية بحيث يميل بعض الباحثين الى اعتبار الحبشية فرعاً من العربية^(٢٢) .

وفى هذه الكثرة من صيغ جموع التكسير ، ضاع علماء اللغة والنحو الاقدمون ، فقد ذكروا أن جمع التكسير ما تغير بناء واحده كرجال وأفراس^(٢٣) ، ولكنهم جعلوا « ركب » و« وفد » من أسماء الجموع ولو أنهما من راكب ووافد ، وما كان مفردة بالتاء التى تشير الى الواحدة عنده

(١٩) اللسان مادة حب وكذا فى التاج .

(٢٠) Renan: Histoire des Langues semitiques 3 ed., p. 342.

(٢١) Dillmann: Grammatik der oethiopischen sprache, p. 237.

(٢٢)

S. Guyard: Nouvel essai sur la Formation du pluriel brisé Arabe paris 1870, p. 4.

(٢٣) الرضى : شرح الكافية ٢/ ١٩٠ .

من أسماء الجنس^(١٤) . وقد ذهب ابن يعيش الى أن صيغ جموع التكسير أبنية جمع على حسب واحده ، فإذا كان الواحد خفيفا ، قليل الحروف ، قلت حروف جمعه وحركاته لتكسيده ، وإذا ثقل الواحد ، وكثرت حروفه ، كثر ما يلحق جمعه ، لما ذكرناه من أن الجمع بزيادة على الواحد^(١٥) .

وقد نظر جماعة من اللغويين الى أن في الجمع فكرة مؤداها : الزيادة في المعنى تعتمد على الزيادة في البناء^(١٦) .

وقد حار المحدثون الاوربيون في صيغ جموع التكسير وطريقة بنائها ، فذهب جماعة منهم الى أن المقطع الذي يدخل حشوا في المفرد ، هو الذي يولد صورة الجمع^(١٧) ، ومنهم من اعتبر هذه الصيغ أسماء مفردة تضمنت معنى الجمع^(١٨) ، ومنهم من رأى أن الجمع في اللغات السامية عامة ، كلمة مجردة (abstract) لجنس (neutre)^(١٩) .

ونستطيع أن نقول ان جموع التكسير سبقت الجموع الصحيحة في اللغة العربية ، ذلك أن البحث المقارن في اللغات السامية الاخرى يدلنا على هذا ، فقد احتفظت العبرية بعدة كلمات جمعا يشبه ما ندعوه بصيغة منتهى الجموع وهي (حامل) (hanamil) وتعني النمل ، وهي في العربية (حامل) ايضا وكذلك « عرافل » و « حلاميش^(٢٠) » ولعل كلمة (أبيب) (abib) العربية ، وتعني « الحصيد » في العربية تعتبر مادة للدلالة على

(١٤) سيبويه : الكتاب ٢/٢٠٣ .

(١٥) ابن يعيش : شرح المفصل ١٥/٥ .

(١٦) البيضاوى ، تفسير (الطبعة الاوربية) .

(١٧) Dillmann, Grammatik der oethiopischen sprache p. 237.

(١٨) Wright, Arabic Grammar London 1862.

(١٩)

E. Meyer, Die Bildung und Bedeutung des pluriel in den semitis - chen und indogermanschen sprachen, p. 16.

Gesenius, Hebrew and English Lexicon. (٢٠)

وتقابل (الحلاميش) الخلاميس في العربية وهي الابل تظماً أربعة أيام ثم تعود فتشرب في اليوم الخامس ، ومعلوم ان لفظ « خمس » أصل في الكلمة .

وجود صيغ جموع التكسير فى العبرية ، ولكن هذه الصيغ كانت فى اللهجات الدارجة العبرية قبل أن تصبح العبرية لغة أدبية تنظم اللهجات العديدة .

ونستطيع أن نقول أن جموع التكسير فى العبرية تعين مرحلة بدائية فى تاريخ اللغة ، بدلالة الجنس ، ذلك انها تتأرجح بين التذكير والتأنيث ، ولغة القرآن على كماليها وبيانها ، أبقت هذه الناحية فالانعام وهى من دون شك جمع تكسير جاءت فى الآية الكريمة : « وأن لكم فى الانعام عبرة نسقيكم مما فى بطونه » (٢١) . وكذلك جاء فى قوله تعالى : « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » (٢٢) . وكذلك تعالى : « ويشئ السحاب الثقال » (٢٣) ، وقوله : « والسحاب المسخر بين السماء والارض » (٢٤) . فقد وصف السحاب فى الآية الاولى بـ « الثقال » وهى جمع تكسير ، فى حين أنه وصف بـ « المسخر » فى الآية الثانية ، على اننا نجد السحاب فى آية ثالثة موصوفا بالجمع ، ثم عاد عليه ضمير غائب مذكر مفرد ، كما فى قوله تعالى : « حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء » (٢٥) . وكذلك قوله تعالى : « فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون » (٢٦) ، وقوله تعالى : « والفلك تجرى فى البحر بأمره » (٢٧) ،

(٢١) سورة النحل ٦٦ ، جاء فى المجاز لابی عبيدة ٣٦٢/١ يذكر ويؤنث ، وقال آخر المعنى يدل على النعم لان النعم يذكر ويؤنث كما فى قول الراجز ،

أكل عام نعم تحوونه يلقمه قوم وتنتجونه
أربابه نوكنى ولا يحمونه

والزجر لقيس بن الحصين الحارثى كما فى الخزانة ١٩٦/١ : والعينى ٥٢٩/١ والكتاب ٥٣/١ .

(٢٢) سورة النور ٣١ .

(٢٣) سورة الرعد ١٢ .

(٢٤) سورة البقرة ١٦٤ .

(٢٥) سورة الاعراف ٥٧ .

(٢٦) سورة الشعراء ١١٩ .

(٢٧) سورة الحج ٦٥ .

وقوله تعالى : « حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة » (٢٨) ،
 وقوله تعالى : « وترى الفلك مواخر فيه » (٢٩) ، فقد وصفت الفلك بوصف
 مذكر وهو « المشحون » ، ثم أتت الفعل فى الآية الثانية ، وفى الآية الثالثة
 جاء المسند فعلا مسندا لنون الاناث ، ونون الاناث الصق بالعاقل من غير
 العاقل ، وهذا تحقيق أكيد للتأنيث . على ان اللغويين حين يعرضون لهذه
 الكلمة يقولون : انها تقع على الواحد وعلى الجمع (٣٠) ، وقال تعالى :
 « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى فى الجبال بيوتا » (٣١) ، والفعل مسند
 الى ياء المخاطبة .

وقال تعالى : « كأنهم أعجاز نخل منقعر » (٣٢) ، وقال تعالى : « والنخل
 باسقات لها طلع نضيد » (٣٣) فالنخل فى الآية الاولى وصف بمذكر ، وفى
 الآية الثانية وصف بجمع مؤنث ثم عاد عليه ضمير غائب مؤنث . ولكن
 النحويين الاقدمين حملوا الجمع على التأنيث (٣٤) . وعندهم أن زيادة علامة
 التأنيث فى آخر الجمع ، كالتاء والالف المقصورة والالف الممدودة ، انما
 زيدت لتحقيق التأنيث (٣٥) . وعند المبرد أن كل جمع مؤنث ، ولكن المبرد
 وكثيرا من الاقدمين لم يستوفوا كلام العرب استقراء ، ولم يعتمدوا كثيرا
 على لغة القرآن التى لا يكفى الاعتماد على سواها . ولا أدرى كيف يتأولون
 قوله تعالى : « ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهم » (٣٧) .
 ويتبين من عرضنا لهذه النصوص القرآنية أن جموع التفسير فى عصر

-
- (٢٨) سورة يونس ٢٢
 - (٢٩) سورة النحل ١٤
 - (٣٠) أبو عبيدة ، مجاز القرآن ١/ ٦٢ ، ٢٨٨ .
 - (٣١) سورة النحل ٦٨
 - (٣٢) سورة القمر ٢٠
 - (٣٣) سورة ق ٢٠
 - (٣٤) الزمخشري ، المفصل ٣٨ (الطبعة الاوربية)
 - (٣٥) المبرد ، الكامل ٤ (الطبعة الاوربية)
 - (٣٦) سورة يوسف ٣٠
 - (٣٧) سورة يوسف ٥٠

النبوة ، ما زالت تحتفظ بالطابع المحلي ، وانها صيغ تخص لهجات مختلفة ، لم تصل جد القواعد المقررة التي تتبع نظاما مضبوطا ، من حيث علاقتها بالوصف والفعل والضمائر ، وما نسميه الان (syntax system) . ولعل صيغ جموع التكسير يمكن أن ترد الى صيغ محدودة ، وذلك ان بعضا منها يحصل من صيغة اخرى باستخدام المد مثلا ، فكلمة « تارة » تجمع على « ثير » ، ولكنها تصبح « تيارا » باستطالة الفتحة^(٣٨) . وهذا دليل آخر على ان صيغ جموع التكسير وصورتها على هذه الكثرة ، ناتج عن اللهجات الاقليمية ، اذ من المعلوم ان بعض الاقاليم تطيل في الحركات حتى تصبح مدا طويلا . ومن هذه ايضا « أسد » جمع بضم الهمزة واسكان السين أو ضمها ، فاذا اشبع الضم على السين صار مدا ، وصارت الكلمة « أسود » . ومثل هذا « أجة » و « أجا » . وتستعين العربية على الثناء مثل « سنة » و « أمة » و « أخ » بتذيلها بحرف ثالث عند الجمع ، فنقول « سنوات » أو « سنهات » ، ونقول « إخوان »^(٣٩) ومثلها اخوان ومثلها « عضوات » جمع لعضة^(٤٠) . وصيغ الجموع لا تعتمد على مفردات معروفة ذات وزن معين لا تتعداه الى غيره ، فكلمة « رجال » تصح أن تكون جمع « رجل » ، وهو كثير ، كما انها جمع « راجل » كما في قوله تعالى : « وان خفتم فرجالا أو ركبانا »^(٤١) ، وصيغة « فعال » (بكسر الفاء) من صيغ جموع التكسير ، يكون من مفرداتها « فاعيل » مثل « كبير » ، و « فاعيلة » مثل « كبيرة » ، و « فعل » (بفتح الفاء واسكان العين) مثل « سهام » جمع « سهم » ، و « فعل » (بفتح الفاء والعين) ، مثل « جبل » و « جال » . وأرى ان « رجال » جمع « راجل » ربما جاء في القرينة (contexte) وهو انه اتباع بـ (ركبان) ، وركبان جمع « راكب » اسم الفاعل من « ركب » فكذاك حمل عليه « رجال » .

(٣٨) سورة يوسف ٥٠ .

(٣٩) المبرد ، الكامل (الطبعة الاوربية) ٣٤ .

(٤٠) سيبويه الكتاب ١٨ (الطبعة الاوربية) .

(٤١) سورة البقرة ٢٣٩ .

وفى قراءات القرآن مادة غزيرة لغوية ، وفى قوله تعالى : « حتى يلج
 الجمل فى سم الخياط »^(٤٢) جاءت قراءة ابن عباس « حتى يلج الجمل »
 (بضم الجيم وفتح الميم وتشديدها) ومعلوم أن « فعل » (بضم الفاء وفتح
 العين وتشديدها) صيغة من صيغ جموع التكسير ، وإن مفرد هذه الصيغة
 هو « فاعل » مثل « ركع » فى « راعى » و « سجد » فى « ساجد » على أن
 مفرد « الجمل » الجمل (بضم الجيم واسكان الميم) وهو الجمل^(٤٣) ،
 ومجىء صيغة هذا الجمع لهذا المفرد غريب ، ولا سيما عن ابن عباس^(٤٤)
 وهو فى عصر النبوة وعصر القرآن ، وفى هذا اشارة الى أن هذه الصيغ
 لم تكن مقرررة ، مبنية على قواعد ثابتة ، فهى سماعية تخضع لمألوف المتكلم فى
 الاستعمال المحلى . وقد قرأ ابن مسعود « الجمل » (بضم الجيم وفتح
 الميم)^(٤٥) وقد ذكر السيوطى أن فى الجمل ست صيغ للجمع وهى « أجمل »
 و « جامل » و « جمال » و « جمالة » و « جمالات »^(٤٦) .

وفى العربية مخلفات لمواد لغوية قديمة ، فقد ذكروا أنه ليس فى
 العربية جمع على « فعلى » (بكسر الفاء) الا « الظربى » جمع « ظربان »
 و « الحجل » جمع الحجل بفتحين^(٤٨) . وقد اختلفوا فى بعض الصيغ ،
 فذهب سيويه الى أن « الكليب » و « المعيز » جمع ، وذهب غيره الى أنها
 اسم جمع^(٤٩) .

وقد تبين لنا ان الجمع لم يتبع نسقا معينا ، وإنما هو استعمال الناس

(٤٢) سورة الاعراف ٤٠ .

(٤٤) حدث فى اتجيل متى ٢٤/١٩ تصحيح مثل هذا بن دلالة الجمل
 على الحبل دون الحيوان المعروف ، انظر Bar Bahlul Lexicon 500

(٤٥) الزمخشري ، الكشاف ١٠٣/٢ : اللسان مادة (جمل) .

(٤٦) اللسان .

H. Derenbourg. Essai sur les pluriels arabes, p. 62. (٤٧)

(٤٨) السيوطى ، المزهى ١٠٣/٢ .

(٤٩) الرضى ، شرح الشافعية ٩٢/٢ .

وما درجت عليه ألسنتهم ، فقد جاء قوله تعالى : «أو كانوا غزى»^(٥٠) (بتشديد الزاى) ومفردها غاز ومعلوم أن وزن «فعل» (بضم الفاء وتشديد العين وفتحها) مفردة «فاعل» كما بينا .

ولكن اللغويين تأولوا ذلك بالتخريج والحمل^(٥١) . وقد قرأ الحسن وغيره (غزى) بالتخفيف^(٥٢) ويجمع (غاز) على (غزى) (بكسر الغين وتشديد الياء) على صيغة (فعول) (بكسر الفاء) وهذه الصيغة لم تكن من صيغ الجمع ذلك ان (فعول) (بضم العين) كما فى (شهور) هى الصيغة الجارية . ولكن جمع اسم الفاعل من الفعل الناقص على هذه الصيغة يستدعى تغيير الضمة بالكسرة ، وذلك لان جمع (غاز) يكون (غزوو) كما ان (جاث) يجمع على (جنوو) ، ثم قلبت الواو الاخيرة ياء ، فصار لدينا (غزوى) و (جنوى) ، ثم قلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء كما هو مطرد فى العربية ، فصارتا (جنى) و (غزى) بضمتين ، فقلبت الضمة الثانية كسرة لمناسبة الياء ثم تعدت الكسرة الى الحرف الاول للمجانسة فصارتا (غزى) و (جنى) بكسرتين وقد قرئت (جنى) بالكسرة كما فى (اللسان مادة جثا) ، على انه لم تكسر الباء فى (بكى) (بضم الباء مجانسة لكسرة الكاف) .

ولا بد أن تتعقب شيئا من صيغ جموع التكسير فى العربية ، لنرى كيف تصلح هذه الصيغ أن تدل على اختلاف اللهجات بالاستفادة من مد أو حركة أو امالة ، كما يبدو فى الامثلة الآتية :

فقد جاء فى قوله تعالى : «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى»^(٥٣) وسكارى (بضم السين) قرئت : (سكارى) (بفتح السين) و (سكرى) على أن يكون جمعا^(٥٤) ، ومن المعلوم ان الذى قرأ (بضم السين) لا يقبل

(٥٠) سورة آل عمران ١٥٦ .

(٥١) أبو عبيدة ، المجاز ١٠٦/١ .

(٥٢) ابن حجر ، فتح البارى ١٥٥/٨ .

(٥٣) سورة النساء ٣٤ .

(٥٤) الزمخشري ، الكشاف ٥١٣/١ .

الفتح ذلك ان الضم ما ألف استعماله في بيئته . على ان الذي قرأ (سكرى)
للدلالة على الجمع يجمع المفرد « سكران » على « سكرى » مثل (أسرى)
و (هلكى) و (جوعى) .

ومثل « سكارى » « كسالى » فقد وردت في قوله تعالى : « واذا قاموا
الى الصلاة قاموا كسالى »^(٥٥) وقرئت بضم الكاف وفتحها^(٥٦) وهى جمع
(كسلان) وقد جمع هذا على (كسلى) مثل (سكرى) فى (سكران)^(٥٧)
وقد قيل ان مفردها (كسل) بفتح فسكون ايضا .

وعلى هذا الوزن جاء (حوايا) جمعا فى (حوية) و (خطايا) فى
(خطيئة) و (أيامى) جمعا فى (أيام) كما فى قوله تعالى : « الا ما حملت
ظهورهما أو الحوايا »^(٥٨) وقوله : « انا آمناء برئنا ليغفر لنا خطايانا »^(٥٩)
وقوله تعالى « وانكحوا الايامى منكم »^(٦٠) .

ومن هذه الصيغة (الاسارى) جمع فى (الاسير) كما فى قوله
تعالى : « وان يأتوكم أسارى تفادوهم »^(٦١) وقرئت (أسارى) بفتح الهمزة
و (أسرى) كما فى (سكرى)^(٦٢) ، وقد وردت أسرى فى مكان آخر من
قوله تعالى : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى
الارض »^(٦٣) .

ومن هذه الصيغة (النصارى) جمع فى (نصري) و (نصران) مثل
(ندمان) و (ندامى)^(٦٤) ولعل (نصرائى) مفرد مصنوع على طريقة
السبغة . ومثل هذه الصيغة (فرادى)^(٦٥) وقد قرئت (فرادى) بفتح الفاء

-
- (٥٥) سورة النساء ١٤٣ .
 - (٥٦) الزمخشري ، الكشاف ٥٧٩/١ .
 - (٥٧) اللسان مادة (كسل) ، ابو عبيدة المجاز ٢٦٢/١ .
 - (٥٨) سورة الانعام ١٤٦ .
 - (٥٩) سورة طه ٧٣ .
 - (٦٠) سورة النور ٣٢ .
 - (٦١) سورة البقرة ٨٥ .
 - (٦٢) الزمخشري ، الكشاف ١٦٠/١ اللسان (اسر) .
 - (٦٣) سورة الانفال ٦٧ .
 - (٦٤) اللسان مادة (نصر) .
 - (٦٥) سورة الانعام ٩٤ ، ابو عبيدة المجاز ٣٠٠/١ .

و (فردى) جمعا (لفرد) و (فردان) وقد رأينا ان هذه الصيغة من صيغ الجمع تكون لعدة صيغ من المفرد ، كما انها تشترك مع صيغة اخرى هي (فعلى) وهذه الصيغة تقوم على مفرد من وزن فاعيل فى الغالب الكثير مثل (قتل) و (قتل) و (جريح) و (جرحى) ، وربما اشتركت هذه الصيغة ، وهى صيغة جمع ، مع صيغة المفرد المؤنث وهى (فعلى) لمذكر هو (فعلان) مثل (سكران) و (سكرى) • ولا نخلص بعد هذه الصيغ المعقدة المتشابهة الا الى القول بدلالة هذه الاجزاء اللغوية على اللهجات المحلية • وتعمل اللهجات عملها أكثر من ذلك ، وفى هذه الصيغة تدخل الامالة فتصبح « كسالى » بامالة الالف نحو الياء عند من يقول بالامالة ، وقد تمال هذه أكثر فأكثر نحو الياء حتى تغدو ياء فيقال (كسالى) بالياء ، ولعل (صحارى) بالالف و (صحاري) بالياء من هذا الباب ، وذلك باستخدام الامالة بين الاثنين •

وقد تأتى صيغة الجمع لأكثر من صيغة فى المفرد مثل (أكنة) فى قوله تعالى : « أكنة أن يفقهوه » (٦٦) فمفردها « كنان » (٦٧) و (كن) وقد جمع (الند) على (أنداد) وهو جمع (نديد) (٦٩) أيضا و (الخدن) و (الخدين) على (أخدان) (٧٠) وقد جمع (الرجل) على (رجل) باسكان الجيم (كصحب) و (تجر) فى صاحب وتاجر (٧١) •

أما صيغة (فعائل) و (فعاليل) و (أفاعل) و (مفاعل) و (مفاعيل) فهى صيغ متشابهة استعمل فيها المد الحاصل من أشباع الكسرة حتى صارت لكل صيغة ، صيغة مثلها بطريقة المد ، ومثل هذا (المفاتيح) و (المفاتيح) و (الدراهم) و (الدراهم) ، ومثل هذا ايضا (المطايل) و (المطايل) جمع فى المطفل وهى امرأة ذات طفل ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى :

(٦٦) سورة الانعام ٢٥

(٦٧) أبو عبيدة ، المجاز ١/ ١٨٨ •

(٦٨) اللسان مادة (كن) •

(٦٩) اللسان مادة (ند) •

(٧٠) اللسان مادة (خدن) •

(٧١) أبو عبيدة ، المجاز ١/ ٣٨٤ اللسان مادة (رجل) •

وان حديثاً منك لو تبدلنيته جنى التحل فى ألبان عوذ مطاقل (٧٢) و (المشاكل) جمع على مفرد هو « المشكل » وليس من خير فى أن يكون على مفرد هو (المشكلة) وأبى اللغويون المحدثون فى قبول (المشاكل) جمعاً فى (المشكلة) ، وفاتهم أن تحمل على (المصية) التى يقال فى جمعها (مصائب) وأصلها (مصابوب) ومثله (المراضع) جمعاً فى المرضعة كما يذهب الزمخشري فى قوله تعالى : « وحرماً عليه المراضع من قبل » (٧٣) . ويتبين من هنا ان من كان يميل الى اشباع الكسر ، تولدت عنده صيغة للجمع تختلف عن الأخرى .

ومن هذا الجمع ما اضطربت الأقوال فى مفردته فالاساطير جمع فى الاسطورة كما جاء فى (اللسان) (٧٤) وهى أيضاً جمع فى (الاسطورة) (٧٥) ومعناها الترهات .

وقال الطبرى فى (الاساطير) من قوله تعالى : « أساطير الأولين » (٧٦) : الاسطورة لغة الخرافات والترهات ، وكان الاخفش يقول : قال بعضهم : وأحدثه اسطورة ، وقال بعضهم أسطورة ، قال ولا أراه الا من الجميع الذى ليس له واحد (٧٧) . وقال أبو عبيدة : جمع (سطر) على (أسطر) ثم جمع (أسطر) على (أساطير) (٧٨) . وهذا باب جمع الجمع كالرجالات ، والجمالات ، والاقاويل ، والبيوتات ، فقد جاء فى (الاشتقاق) لابن دريد : « بيوتات العرب الثلاثة » (٧٩) .

(٢٧) الرضى ، شرح الشافعية ١٤٥/٤ ، ومن هذا الباب قول الفرزدق :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدراهم تنقصاد الصياريف

(٧٣) الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٩٦ .

(٧٤) اللسان مادة (سطر) .

(٧٥) المصدر نفسه .

(٧٦) سورة الانعام ٢٥ .

(٧٧) الطبرى تفسير ١٠١/٧ .

(٧٨) اللسان مادة (سطر) .

(٧٩) ابن دريد ، الاشتقاق (الطبعة الاوربية) ٢٣٨ .

وقد جاء في كتب اللغة ان عندهم جموعا لا واحد لها ، مثل « العبايد » و « المذاكير » و « الابايل »^(٨٠) ، وصاحب اللسان يذكر للجمع الاخير ثلاثة مفردات هي (ايل) بتشديد الباء و (ابول) بتشديد الباء وفتحها و (ابالة) بتشديد الباء ايضا . والزمخشري يدخل هذا في باب (جمع ليس على زنته واحد)^(٨١) ، ومنهم من اعتبر شيئا من هذا الباب داخلا في طائفة المفرد ، ومن هذا (سراويل) فقد عدها جماعة مفردا^(٨٢) ، وفات القدامى في كثير من الاحيان رد الالفاظ الى اصولها ، و « السراويل » معرب فارسي ، أصله « شلوار » في الفارسية^(٨٣) ، ولعل العربية عمدت الى الابدال فقل (سراويل) ابعادا للكلمة عن أصلها الفارسي ، وقد جاءت في قوله تعالى : « وجعل لكم سراويل تقيكم الحر »^(٨٤) .

وكان الكلمة حين أبدل فيها الياء بالواو استبعدت عن أصلها الفارسي ، وأصبحت بذلك غير (سراويل) التي ظنوا انها مفرد ، أو قولهم فيها : انها جمع لا واحد له ، ولذلك فقد قالوا : واحد السراويل (سربال)^(٨٥) .

وكان هذه الصيغة ، قد شاعت في العربية للجمع الذي لا يسلم فيه الواحد ، فحسبوا ما جاء على وزنه جمعا ولو كان دخيلا أعجميا مفردا في لغته التي جاء منها ، فالفراديس وهو معرب عن الفارسية (Paridaiza)^(٨٦) ، توهموا فيه صورة الجمع فصاغوا عليه

(٨٠) اللسان ، مادة (ايل) .

(٨١) الزمخشري ، الفصل (الطبعة الاوربية) ١٥ .

(٨٢) الواحدى ، شرح ديوان المتنبي (الطبعة الاوربية) ٧٩٣ .

(٨٣) ادنى شير ، كتاب الالفاظ الفارسية المعربة : الجواليقي ،

المعرب .

(٨٤) سورة النحل ٨١ .

(٨٥) الزمخشري ، الكشاف ٥٣٦/٢ ، اللسان ، مادة (سرب) .

(٨٦)

O. Block et W. V. Wartburg, Dictionnaire Etymologique de la Langue Francaise.

« الفردوس » مفردا ، وقد جاء في قوله تعالى : « كانت لهم جنات الفردوس نزلا » (٨٧) .

ولعل « الحذافير » وهو جمع « الحذفور » و « الحذفار » (٨٨) ، قد جاء من « الاظاير » جمع « ظفر » أو « أظفور » بعد هذين الابدالين ، وحين حصلت الحذافير بهذه الطريقة ، توهموا أن لها مفردا كالذى ذكرروه . ومعنى الحذافير في قولهم : « أعطاه الدنيا بحذافيرها » أى بأسرها . وعلى هذه الطريقة جاءت « جرائيم » من « شراشيم » ، وهذه الاخيرة تعنى في العبرية الاصول والجذور (٨٩) ، وهي في السريانية من أصل « شرشا » (٩٠) وهو الجذر ايضا ، وما زالت مستعملة في لغة اللبنانيين الدارجة ، وكأنها عربية الاصل ، وقد بدأت تعدى اللسان الدارج عند نفر من الكتاب اللبنانيين ، فيجمعونها على « شروش » . ولكن هذه الاصول السامية أعطت العربية « جرائيم » بطريقة الابدال وظلت الكلمة محفظة بميم الجمع العبرى ، ثم صيغ عليها مفرد هو (جرثومة) .

واتبعت « الحذافير » بكلمة أخرى على شاكلتها وهي « الجزامير » ، و « الجزامير » ، تفيد المعنى نفسه كما زعم صاحب اللسان (٩١) ، وهذا ما يسميه الاقدمون بالاتباع ، كقولهم (شذر مذر) ، وعلى عادتهم أخذوا من « الجزامير » مفردا هو (الجزمور) . وليس من شك أن اللفظ الثانى من ألفاظ الاتباع لا يقصد به تأدية المعنى الاول ، وانما يراد به تثبيت المعنى باستخدام وقع اللفظة ، وكونها تؤلف مع سابقتها سجعا له في ذهن السامع جرس وقوة .

وقد جاء في كتب اللغة « الخراطين » ديدان طوال تكون في طين

(٨٧) سورة الكهف ١٠٧ .

(٨٨) اللسان مادة حذف .

(٨٩) Gesenius, Hebrew and English Lexicon.

(٩٠) القرداحي ، اللباب (قاموس سريانى - عربى) .

(٩١) اللسان مادة (حذر) .

الانهار^(٩٢) ، وقال الازهرى : ولا احسبها عربية محضة • ولم يصوغوا من هذه مفردا • ولعل « الخراطيم » من الخراطين ، وحسبوه جمعا لوجود الصيغة ، ولشدة الضرورة الى استعماله مفردا وهو « خرطوم » ثم لكون الخرطوم أنفا مقدما للقليل ، أطلقوه على السيد الشريف المقدم ، ومنه جاء أخرنظم ، أى رفع انفه وغضب ، وأصله (انخرطم) مثل (اخرجتم) • ولكنهم لم يحملوا على الجمع كلمة صيغتها صيغة جمع ، ان لم تكن تشتمل على فكرة الجمع فى المعنى ومن أجل ذلك لم يحملوا « السمادير » وهو ضعف البصر^(٩٣) ، على الجمع ، ولكنهم صاغوا منها « أسمدر » فعلا أى ضعف بصره ، ولقد فسروا قوله تعالى « انما سكرت أبصارنا »^(٩٤) ، أى غشيت سمادير وهو ما يترأى للانسان من ضعف بصره^(٩٥) • وهو معرب عن « سمراد » ومعناه الوهم والخيال ، كما يقول « أدى شير »^(٩٦) •

وقد فرقوا بين ما يأتى للمؤنث من الصيغ وما يأتى منها للمذكر ، فلا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل غير انهم قالوا : « فارس » والجميع « فوارس » و « هالك » و « هوالك » • قال ابن جندل الطعان يرثى ربيعة ابن مكدم :

فأيقنت انى تأسر ابن مكدم غداة اذ أو هالك فى الهوالك^(٩٧)
وعلى هذا نستطيع أن نحمل (بواسل) جمعا فى (باسل) وهذا الجمع قد شاع فى اسلوب أدبائنا فى عصرنا الحاضر ، ولو أن (باسل) يجمع على « بسل » كما تذهب الى ذلك كتب اللغة • وعندهم أن فواعل تأتى دائما فى غير العاقل كالحواطر والسوابق والعوامل وهى جموع فى الخطاير والسابق للفرس والعامل للدواب العاملة • على ان هذه الألفاظ

(٩٢) اللسان مادة (خرطن) •

(٩٣) اللسان مادة (سمدر) •

(٩٤) سورة الحجر ١٥ •

(٩٥) أبو عبيدة المجاز ١/ ٣٤٧ •

(٩٦) أدى شير ، الالفاظ الفارسية المعربة •

(٩٧) أبو عبيدة ، المجاز ١/ ٢٦٥ •

الدالة على العاقل من صيغة « فواعل » تشير الى أن الجمع كان في « فاعل » مطلقا في فترة زمنية لا نستطيع تقديرها •

والنظر في الاساليب يدل على ان العربية خصت صيغة جمع بمفرد معين في الدلالة على مادة من المواد ، كما خصت صيغة جمع آخر بمفرد نفسه في الدلالة على مادة اخرى • فالعين وهي الباصرة قد جمعت في القرآن على (أعين) وعين الماء قد جمعت في القرآن نفسه على « عيون » ولا اريد أن أقول هذا ، ولكني أود أن اسجل ملاحظة جرى عليها نص الذكر الحكيم^(٩٨) ، ومثل هذا « الايات » وقد استعملت في الغالب جمعا لبيت من القصيدة ، أما البيوت فقد وردت غالبا جمعا لبيت بمعنى المنزل ، على ان البيت بمعنى المنزل جاء في الشعر وربما في غير الشعر مجموعا على « آيات » •

أما جمعا التصحيح فالمؤنث منها ما كان بألف وتاء كما تقول كتب النحو • وملاك الامر فيه ان الجمع يحصل من الزيادة في طول الكلمة أو قل من المقطع الذي يضاف بأشباع الفتحة كما في « فاطمة » فنقول « فاطمات » اذ ليس للتاء في « فاطمات » وظيفة في صيغة الجمع مطلقا • كما جاء في قوله تعالى : « كأنه جمالة صفر »^(٩٩) وقد قرئت « جمالات »^(١٠٠) • ومثله قوله تعالى : « وألقوه في غيابة النج »^(١٠١) ، وقد قرئت « غيابات »^(١٠٢) •

أما جمع التصحيح المذكر فالترامه بالواو والنون أو بالياء والنون ، إشارة الى أنه أحدث عهدا من جمع التكسير وذلك لانه يشير الى أن اللغة بدأت مرحلة جديدة تخضع فيها للقواعد المقررة متخلصة من الشذوذ وتعدد الالسنه •

-
- (٩٨) جاء في جمع العين على (عيون) في عشر آيات من القرآن الكريم ، كما جاءت (الاعين) في اثنتين وعشرين آية •
(٩٩) سورة المرسلات ٣٣ •
(١٠٠) الزمخشري ، الكشاف ٦٨٠/٤ •
(١٠١) سورة يوسف ١٠ •
(١٠٢) الزمخشري ، الكشاف ٤٤٧/٢ •

ودلينا على افتراض هذه المسألة ما نجده في لغة سامية أخرى وهي العبرية من اطراد الجمع فيها بالياء والميم وهذه اللاحقة تساوى الياء والنون في العربية والياء والميم في الجرائيم آتيان من الصيغة العبرية وهي « شراشيم »^(١٠٣) ولكن العربية على عاداتها افترضت أن يكون مفرد « الجرائيم » « جرثومة » كما في الاسطورة والاساطير .

واطراد الجمع في العبرية يشير الى المرحلة اللغوية العالية التي بلغتها العبرية ، على ان الباحث لا يعدم أن يجد صيغا قديمة تشير الى المتحجرات اللغوية الدالة على شيوع صيغ جمع التكسير في العبرية قبل مرحلتها الاخيرة ، ولعل كلمة (عزازيل)^(١٠٤) العبرية والتي كتب عنها كثيرا ونوقش معناها في القرن الماضي ، من هذه البواقي اللغوية الدالة على صيغ جمع التكسير .

واختص جمع التصحيح المذكور بالعاقل ولكن شيوعه في اصول غير عاقلة يشير الى بدء مرحلة استعمال هذا الجمع ، وفي هذه الفترة لم تستقر بعد الاصول التي بدأت تسير عليها اللغة . فقد جمعت ألفاظ العقود من العدد على هذا الجمع . ووردت منه ألفاظ عدها التحويون ملحقة به لمخالفتها قواعدهم التي استتبطوها من الكثير الغالب وهي أرضون ووابلون وأهلون وعالمون وجاء منه كلمات ذات اصول ثنائية (Bilitères) مثل (بنون) و (مئون) و (قلون) و (سنون) و (عضون) كما في قوله تعالى : « الذين جعلوا القرآن عضين »^(١٠٥) أى فرقوه أعضاء ومثله

(١٠٣) جاء في اللغة العبرية كلمة « سرافيم » وهي جمع ل « سرف » وقد جاءت الكلمة مجموعة في (سفر اشعيا ٢/٥ - ٨) وهم ملائكة لهم أجنحة ستة واقفون في مقام الملك السيد عزيا ، ولكن العرب استخدموا الكلمة « سرف » و اضافوا اليها (افيل) وهو آله فصار « اسرافيل » وربما كان ذلك قياسا على جيراثيل وميكائيل .

(١٠٤) وربما كانت « عزازيل » ما عرف عند العرب بـ (عزرائيل) وهو الملك الذي عزل لتخلقه والذي قبع في صحرائه ، سفر اللاويين ١٦/٨ .
(١٠٥) سورة الحجر ٩١ .

(عزير) في قوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال عزير » (١٠٦) جمع
عزة ومعناها فرقة .

ومنه « ثبة » جمعت على « ثين » كما في قول عمرو بن كلثوم :
فأما يوم خضيتنا عليهم فتصبح خيلنا عقبا ثينا (١٠٧)
ومن هذه الجموع « ربيون » فقد قالوا تعنى الجماعة الكثيرة والواحد
منها « ربي » (١٠٨) وقد جاءت في قوله تعالى : « وكأين من نبي قاتل معه
ربيون » (١٠٩) .

ومثله « عليون » أى الغرف العالية فى الجنة ، فى قوله تعالى : « وما
أدرأك ما عليون » (١١٠) ولعل منها كلمة (عليون) العبرية (١١١) ومن هذا
الباب « الربانيون » كما فى قوله تعالى : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم
تعلمون الكتاب » (١١٢) ، قول أبو عبيدة : « احسب ان الكلمة ليست
بعبرية ، إنما هى عبرانية أو سريانية » (١١٣) والصحيح ان الكلمة من
الاصول السامية القديمة .

أما مجيء جمع التصحيح بالواو والنون ، فهى مسألة تسترعى النظر ،
فالنحاة يقيدون هذه الصورة بالرفع ، وهم على حق فى هذا الزعم ، ذلك
انهم نظروا الى اللغة وقد سلخت من تاريخها قروناً طوالاً ، فاستقرت فى
صورتها العامة على هذه الحال . ولكن البحث والمقارنة يشيران الى أن
مجيئه بالياء والنون يطابق العبرية كما بينا . ونخلص من هذا الى أن الواو
والنون أو الياء والنون وهما زيادتان لاحقتان للجمع موضوع من موضوعات
اللهجة ، ومعنى هذا ان جهة من جهات العربية كانت تيسر فى جمعها على

(١٠٦) سورة الماعراج ٣٧ .

(١٠٧) معلقة عمرو بن كلثوم ضمن شرح العشر ١١٦ .

(١٠٨) ابن حجر ، فتح البارى ١٥٥/٨ .

(١٠٩) سورة آل عمران ١٤٦ .

(١١٠) سورة المطففين ١٩ .

(١١١) R. Blachère, Le Coran II, 106.

(١١٢) سورة آل عمران ٧٩ .

(١١٣) الجواليقى ، المغرب ، باب الرأ .

هذه الصورة ، فى حين ان جهة اخرى كانت تسير على التزام الصورة
الاعرى ، وربما كان من يلتزم طريقا آخر فيقول بالامالة ، على اننا لم نجد
اشارة الى هذا الفريق من الناس •

وفى شواهد العربية ما يؤيد هذه الدعوى فقد جاء فى كتب اللغة هذا
البيت من الرجز :

نحن اللذون صبجوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا (١١٤)
فاسم الموصول (اللذون) جاء على لغة هذيل فى حالة الرفع أما غيرهم
فيقول « الذين » فى كل الاحوال •

وربما استطعنا أن نخرج قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئون والنصارى » (١١٥) على هذا الباب ، وذلك ان من العرب
من كان يلتزم الواو والتون فى الجمع فى جميع الاحوال كما التزمت
« الذين » فى كل الاحوال •

غير أن النحاة يتأولون رفع (الصابئون) وحقه أن ينصب فيقولون :
ان العرب تخرج المشرك فى المنصب الذى قبله من النصب الى الرفع على
ضمير فعل يرفعه أو استئناف ولا يعملون النصب ، ويستشهدون بقول
ضابئ بن الحارث البرجمي :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فاني وقياربها لغريب (١١٦)

ومن العرب من يجعل اعراب ما يجمع بالواو والتون فى
التون (١١٧) • وقد جاء منه قول سحيم :

دعاني من نجد فان سنيه لعن بنا شيئا وشيننا مردا

ولم تختص العربية بالتون فى الجمع فقد ورد فى العربية فى الاسفار
المتأخرة من العهد القديم ، وفى نصوص شعرية (١١٨) • ومن أمثلتها

(١١٤) ابن عقيل ، شرح الالفية ٧٣/١ •

(١١٥) سورة المائدة ٦٦ •

(١١٦) أبو عبيدة ، المجاز ١٧٢/١ •

(١١٧) ابن يعيش ، شرح المفصل ١١/٥ •

Gesenius, Herew Grammar, p. 242.

(١١٨)

(ملاخين) (١١٩) وتعنى (ملوك) ، و (حطين) (١٢٠) وتعنى الحنطة ،
ومن هذا (مدين) (١٢١) ، وتعنى (زرابى) ومنه (يامين) (١٢٢) ،
وتعنى أيام ، ومنه (عين) (١٢٣) ، وتعنى (كومات) ، ولعل هذا كان
بتأثير الآرامية التى سيطرت فى حقبة (التركوم) على العبرية ، ويدلنا على
هذا (ملين) وهى جمع (ملا) وتعنى الكلمات وهى آرامية صحيحة .
وربما استطعنا أن نثبت هذا بوجود الياء والنون فى الجموع الآرامية
القديمة والتى ما زالت حية فى أسماء الأماكن اللبنانية .
ومن هذه الاسماء (دارين) وهى جمع (دارا) وتعنى الدار ، ومنه
ايضا (عدين) اسم مكان ومعناه الفلاحون .
ومنه ايضا (عبرين) جمع عبرا وهو الساحل والمنعبر .
ومنه (عترين) ومعناه الثروات .
ومنه (جب حنين) ومعناه بئر الحنان .
ومنه (جزين) ومعناه خزائن .
ومنه (حزين) ومفرده حزى ومعناه القعر والهوة .
ومنه (سبرين) وهى تحريف (سافرين) أى الكتب .
ومنه (شاتين) أى الشاربون .
ومنه (مهرين) أى مخاصمون .
ومنه (نمرين) أى نمورة .
ومنه (وردين) أى أزهار .
وغیر هذا كثير مما هو باق فى أسماء القرى اللبنانية والسورية .

-
- (١١٩) سفر الامثال ٣/٣١
 - (١٢٠) سفر حزقيال ٩/٤
 - (١٢١) القضاة ١٠/٥
 - (١٢٢) دانيال ١٣/١٢
 - (١٢٣) ميخا ١٢/٣

الاعراب في اللغة ودلالته

بحث مقارنة في اللغات السامية

البحث في هذا الموضوع ينصب على مسألة الاعراب وكيف كانت ، ومسألة الاعراب ولاسيما في العربية من المسائل الثقيلة لدى الباحثين في فقه اللغة ، فقد تصدى لها القدامى من علماء العربية ، كما بحث فيها المحدثون من عرب ومستشرقين . ولقد اهتم به النحاة واللغويون منذ عهود ازدهار العربية ، ذلك ان الحفاظ على الاعراب كان ضرورة نافعة ومعنى هذا ان الاعراب كان ثقيلًا على اللسان ، فقد فشا اللحن ، وفسدت الطبيعة اللغوية ، وصار الناس يسمعون فيستكثرون هذا الاعوجاج في الالسنه . وقد جاء في الاخبار ان أبا الاسود الدؤلي سمع رجلاً يقرأ في كتاب الله : ان الله برىء من المشركين ورسوله بالخفض ، فاستعظم ذلك منه (١) . وكان هذا سبب وضعه للنحو ، والاخبار كثيرة في هذا الموضوع وان كان يلوح على طائفة منها طابع الوضع والافتعال .

وما دام هذا الاعراب ثقيلًا على اللسان فقد تخفف منه كثير من الناس ، بحيث صار للناس لغة في التخاطب لم يلتزم فيها هذا القيد الثقيل في حين أنهم يلتزمون بالاعراب اذا كتبوا . فقد ذكر الجاحظ في كتاب البخلاء شيئاً عن شيوع اللحن بين العامة والذي نقلناه في غير هذا المكان (٢) .

على ان هذا لا يعنى ان الناس عامة لا يعربون كلامهم ، فقد ذكر الجاحظ شيئاً من ذلك . فهو يعد من أجل المتع أن يستمع المرء الى حديث الاعراب الفصحاء العقلاء ، أو الى محاضرة العلماء البلقاء (٣) .

(١) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ١٠ .

(٢) البخلاء طبعة الحاجري ص ٣٣ .

(٣) البيان ٦٢/١ .

وقد بقيت مسألة الإعراب قضية العربية الكبرى طوال العصور المتعاقبة ، وما زالت كذلك حتى يومنا هذا . ومن أجل ذلك كان من المفيد النافع أن تدرس هذه القضية دراسة دقيقة .

لقد احتفظت اللغة العربية الفصحى بظاهرة الإعراب وهي من صفات العربية الموهلة في القدم ، في حين أن سائر اللغات السامية - ما عدا الآرامية - قد فقدت هذه الظاهرة منذ أقدم العصور ، وقد دل على هذا الإعراب بقاياها كما في العبرية مثلا .

أما في اللغة الآرامية فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية القديمة في النصوص التي ترجع لعهد حمورابي ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت إلى حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجُر ، ولم تلبث هذه المرحلة طويلا حتى تطورت إلى مرحلة الحركة الواحدة وهي الكسرة الممالة .

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها أوجد الإعراب في النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التي عثر عليها . وقد ذهب "Nöldke" المستشرق الألماني إلى أن النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر . ولا يعقبون هذه الحركات بالنون^(٤) .

ويرى المستشرق Lithmann أن أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد يحدث فيها تغيير بحسب موضعها في الإعراب^(٥) . وللإعراب أثر في اللغة العبرانية يبينه الباحثون في حالتها المفعول به وفي ضمير التبعة^(٦) . على أن هذا الأثر ضئيل جدا ، فقد أوشكت تخلو من الإعراب

(٤)

Th. Nöldke Die Semitischen Sprachen Leipzig 1899, S. 51 f.

Enno Littmann Inscriptions, Leiden 1914 p. 37 ff. (٥)

(٦) ولنغسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٥ .

لغة العهد القديم • غير ان علامة النصب فى العبرية القديمة هى الفتحة الطويلة التى نشأ عنها حرف الهاء ، والهاء المتطرفة فى هذه اللغة تشبه الالف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف العلة • وتظهر هذه فى آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما تظهر فى آخر الظرف المنصوب (ليلا)^(٧) وتعنى (ليل) ، و (عتا)^(٨) وتعنى (حين) • وكما تلحق هذه العلامة الظروف فانها تلحق المصدر فينصب كما هى الحال فى المفعول المطلق فى العبرية ، ولكنها فى هذه الحالة تكون متلوة بميم زائدة (للتسيم) الذى يقابل التنوين فى العربية^(٩) مثال ذلك (يومام) وتعنى (يوما) و (حنام) وتعنى (مجانا) ، والمتبع لسوارد النصوص فى اللغة العبرية ربما وجد آثارا تشير الى شئ يشبه الضمة والكسرة لعلهما بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين فى العبرية القديمة •

ويكاد يجمع المستشرقون على ان الاعراب ظاهرة سامية فالمستشرق الالماني Bergstraesser يقول : ان الاعراب سامى الاصل تشترك فيه اللغة الاكدية وفى بعضه اللغة الاثيوبية (الحبشية) ونجد آثارا منه فى غيرها^(١٠) • على ان هؤلاء يعللون سبب وجود هذه الظاهرة فيرجعون ذلك لخلو اللغات السامية من ادغام للكلمات أى وصل كلمة باخرى لتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منهما كما فى اللغات الآرية^(١١) • ذكر هذا اسرائيل ولفنسون كما ذكره غيره^(١٢) •

(٧) تكتب الهاء فى العبرية فى آخر الاسم ولا تلفظ •

(٨) ربما قابلت هذه الكلمة (حتى) فى العربية ، فقد جاء فى القراءات ان احدهم قرأ (عتى حين) •

(٩) راجع مقالتنا (النون فى اللغة العربية) المنشورة فى الجزء الثالث من مجلة كلية الآداب والعلوم ١٩٥٨ •

(١٠) برجستراسر : التطور النحوى ص ٧٥ •

(١١) ولفنسون ص ١٥ •

(١٢)

Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Spkachen, Berlin 1908. I. S. 5.

ولا تريد هنا أن تعرض للرد على هذا الرأي لان ذلك يخرجنا عن مادة الموضوع • ولكننا نكتفى بالقول ان فى العربية شيئاً مما يقولون فالتركيب والنحت من الادوات فى هذا الموضوع وقد استفيد من النحت فى بناء الافعال الرباعية وغير الرباعية •

ويختلف رأى فى دلالة الحركات على المعانى الاعرابية بين القدماء والمحدثين فى اللغة العربية • وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدامى هو الخليل بن احمد (١٣) • ولعل الجدل فى دلالة هذه الحركات على المعانى الاعرابية وعدم دلالتها ، دار بين تلامذة سيويه والكسائى فذهب جمهورهم الى الاول وذهب آخرون الى الثانى (١٤) •

ويمثل رأى الذاهيين الى ان الحركات دوال على معانى اعرابية ، أبو انقسام عبدالرحمن بن اسحق الزجاجى ، فقد نقل السيوطى فى الاشباه والنظائر (١٥) قوله : « ان الاسماء لما كانت تعورها المعانى وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ولم يكن فى صورها وأبنتها أدلة على هذه المعانى ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعانى وتدل عليها ليتسع لهم فى اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » •

ويمثل رأى الطائفة الاخرى قطرب أبو علي محمد بن المستنير (١٦) وهو تلميذ سيويه • وقد انفرد « قطرب » فى هذا رأى ، ولم يقل بمقالاته نحوى أو لغوى آخر غيره •

على ان المحدثين قد عرضوا للموضوع نفسه فكانوا فريقين كالمتقدمين • وهؤلاء بين عرب وبين مستشرقين ، فطائفة منهم تذهب مذهب الزجاجى النحوى ، وطائفة اخرى تذهب مذهب ابى علي محمد بن المستنير (قطرب) •

(١٣) سيويه : الكتاب ٣١٥/٢ •

(١٤) المخزومى : مدرسة الكوفة ص ٢٨٣ •

(١٥) السيوطى : الاشباه والنظائر ٧٦/١ - ٧٨ •

(١٦) لمصدر السابق ٧٩/١ •

وممن ذهب مذهب هذا الأخير الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة العربية)^(١٧) على انه يحلو له أن يتعصب للرأى بشكل يخيل للفارء انه المبدع والاول والمعيد في هذا القول . وكأنه لم يكن هناك في القرن الثاني الهجرى رجل اسمه (قطرب)^(١٨) . وهذا الرأى في جملة غريب وقد انفرد فيه صاحبه ولم يؤيده فيه الا الدكتور ابراهيم أنيس بعد أكثر من أحد عشر قرنا ووجه الخطل في هذا الرأى ان العربية كانت معربة منذ أقدم العصور ، والنصوص شاهدة على ذلك . وقد كان هذا الاعراب سهلا على الالسة ثم ثقل وصعب حين فسدت الضباع العربية وفسدا اللحن وتحول المجتمع العربي الخالص الى مجتمع ضخم كبير فيه أجناس شتى ، ولاسيما في الحواضر العربية . فلم يلجأ للاعراب في فترة متأخرة للسبب الذى ذكره صاحب الرأى المتقدم . على ان وجود الاعراب في اللغات السامية الأخرى في عهودها السحيقة في القدم ثم اضمحلال هذا الاعراب لا يؤيد مذهب قطرب في شىء وقد عرضنا للموضوع فيما تقدم . على ان الدكتور ابراهيم أنيس حين يقول بهذا الرأى ينتهى الى « انه ليس للحركات الاعرابية مدلول وان الحركات لم تكن تحدد المعانى في أذهان العرب الاقدمين وهى لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها »^(١٩) . ثم انه يرى « ان النحاة قد ايتكروا بعض ظواهر الاعراب وقاسوا بعض الاصول رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة »^(٢٠) ثم هو يفترض افتراضا لا يقوم على أساس علمى تاريخى فيقول « ولعلمهم تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية ففيها يفرق بين حالات الاسماء التى تسمى Cases ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة »^(٢١) .

(١٧) انيس : من أسرار اللغة ص ١٤٣ .

(١٨) قطرب أبو علي محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة .

(١٩) انيس : من أسرار اللغة ص ١٥٨ .

(٢٠) المصدر نفسه ص ١٣٩ .

(٢١) المصدر نفسه ص ١٧١ .

وفات الاستاذ ان اليونانية تختلف نحوا وطبيعة عن العربية ولم يكن واضح النحو عارفا أو قل متأثرا باليونانية بأى وجه من الوجوه .

ثم انه يستدل بخلو اللهجات الاقليمية الحديثة من الاعراب . ولم يبق له من أثر فى اللهجات الاقاليم العربية ويعجب من هذا^(٢٢) على اننا لا يمكن لنا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلا على ان الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة فى العربية الاولى^(٢٣) . وقد رأينا ان اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال هذا الاعراب فى العهود التى تعاقبت عليها .

وقد افاض الدكتور علي عبدالواحد وافي فى الرد على الرأى المتقدم فى كتابه « فقه اللغة » .

وقد عرض للموضوع نفسه الاستاذ ابراهيم مصطفى^(٢٤) وقرر ان الحركات دوال على معان بل ان من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعانى^(٢٥) ثم هو يقول « وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل الحرص وهى لا تعمل فى تصوير المعنى شيئا . ونحن تعلم ان العربية لغة الايجاز ، وان العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم تكن الحاجة ملجئة اليها » وعنده ان الفتحة ليست علامة اعراب ولا دالة على شيء وانما هى الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهى بمثابة السكون فى لغة العامة^(٢٦) ، وأما الضمة فهى علم الاستاد أما الكسرة فانها علم الاضافة^(٢٧) . ورأى الاستاذ مصطفى فى الفتحة غريب فى بابه ولا

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٣٩ .

(٢٣) الدكتور وافي : فقه اللغة ص ١٣ .

(٢٤) ابراهيم مصطفى : احياء النحو ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢٥) واستخدام الحركات فى الدلالة على المعانى وتعددتها يخرج عن هذا الباب وربما افرد له مقالة خاصة .

(٢٦) احياء النحو ص ٥٠ .

(٢٧) المصدر نفسه ص ٨٠ - ١٠٠ .

يستند الى سند علمي فقد دلت المقارنات الى أن الفتحة وجدت في حالة
النصب في كثير من اللغات السامية ولم يكن هناك سبب للفتحة المستحبة .

ويرى الاستاذ Mareel Cohen ان هذه القواعد المتشعبة الدقيقة
وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية ، أما
لغة التخاطب فلم تكن معربة^(٢٨) . وهو يستدل على ذلك (بأن قواعد هذا
شأنها في التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة
عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب
واسما هو من اختصاص اللغة الفصيحة المهدبة) . وقد فات صاحب هذا
الرأى الحقيقة التاريخية ، ولم يكن ملما بأن اللغة المعربة كانت لغة العرب
في الجاهلية ولغة القرآن التي عمت العرب جميعا وأخضعت لها لهجات
الاقاليم . ولم تكن لغة القرآن مهواة للقراءة والكتابة فحسب ، بل كانت
لغة يستعملها الناس على اختلاف طبقاتهم . وكذا الادب والاخبار تؤيد
هذا . ولا سبيل الى افتراض هذه الصعوبة على اللغة في وقت نحسبها
نحن الآن .

أما الاستاذ (فك) المستشرق الالماني فيرى ان حركات الاعراب هي
صفة من صفات العربية وسمة من أقدم سماتها اللغوية والتي فقدت في
اخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة^(٢٩) . وعنده ان العربية حافظت
في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات
الاقليمية في الحواضر .

(٢٨) عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص ١٣٠ عن
Cohen, Les Langues du monde.

(٢٩) يوهان فك : العربية ترجمة الدكتور النجار ص ٣ .

النون والميم في اللغة العربية

سأدرس في هذا البحث حرفين مهمين من حروف العريية •
وسأجهد ما استطعت وبمقدار تهيئة الوسائل لدى أن أذكر جوانب مهمة
من هاتين المادتين •

والحرفان اللذان سأعرض لهما هما النون والميم ، والنون كما جاء
في كتب العربية المشهورة : (كتاب سيويه المتوفى سنة ١٧٧ للهجرة
والمفصل للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ للهجرة وشرحه لابن يعيش المتوفى
سنة ٦٤٣ للهجرة وقد اعتمد صاحب الشرح على ابن جنى المتوفى سنة
٣٩٢) من الاصوات الينية الذوقية المجهورة •

ولكن صاحب المفصل يصف الحرف بتحديد مخرجه فيضع النون
والراء واللام في مكان واحد ، ويسمى هذه الاصوات بالاصوات الذوقية
(apicales) ، والذوق طرف اللسان المدب •

وهاك عبارة سيويه بصدد الراء فيقول : من مخرج النون غير انه
أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام ، ويعيد ابن يعيش عبارة
(الكتاب) في شرحه ، ولكن هؤلاء جميعا تعوزهم الكلمة الفنية
الاصلاحية للرابطة الانفية بين النون واللام (nasalisation) .

ولا يهمننا كثيرا في هذه المقالة البحث في الاصوات وطبيعتها
ومخارجها بقدر ما يهمننا من طريقة استعمالها ودخولها في اللغة
وبناء الكلمات •

ولعل النون من الاصوات التي يحسن السكوت عليها للغة التي
تحصل في النطق غناء أم تجويدا أم ترسلا في القول ، ومن أجل هذا
لزمها الفواصل القرآنية المسجوعة •

وأنا أرى ان الذى يضيف النون فى كلمة (رجل) عند التنوين كما لو كتبت (رجلن) ، شأنه شأن القروى الجافى الذى لم تصقله الحضارة ، وجاءته كلمة (راديو) الحضرية فأضاف لها فى طبيعته القروية السهلة السمحة (نونا) فصارت (راديون) .

واستعمال النون فى الاصول العربية كثير جدا ذلك أن طبيعته تمشى مع العربية ، ولهذا كانت جمهرة الكلمات العربية منونة منصرفة ، وطائفة قليلة منها لم تقبل التنوين . وكتب النحو مطولة أم موجزة تفرد لغير المتنون بحثا خاصا ، ومن أجل هذا صار النحويون يتلمسون للكلمة التى لا تقبل التنوين عللا خاصة تمنع من أن يختم الاسم بهذه النون ، ولهذا ايضا لم تكن العلة الواحدة عندهم بمانة للصرف وانما اشترطوا فى ذلك أن تكون علتان أو علة بمقام علتين ، وذلك فى الجموع التى يكون ثالثها ألفا وبعدها حرفان أو ثلاثة ، كمساجد ومصابيح . وستعرض لهذه العلل بالبحث والنقاش .

وقد أسلفت ان هذه النون تدخل فى كثير من الكلمات العربية ، وقد صنفها النحويون أصنافا أحدها : تنوين التمكين كزيد ورجل وعندهم ان فائدته الدلالة على خفة الاسم وتمكنه فى باب الاسمية ، لكونه لم يشبه الحرف فينى ، ولا الفعل فيمنع من الصرف .

الثانى : تنوين التذكير وهو اللاحق لبعض المبنيات للدلالة على التذكير ، تقول « سيويه » اذا أردت شخصا مينا اسمه ذلك و « ايه » اذا استردت مخاطبتك من حديث معين فاذا أردت شخصا ما اسمه سيويه أو استرادا من حديث ما نوتهما .

الثالث : تنوين المقابلة ، وهو اللاحق لنحو « مسلمات » جعلوه مقابلة النون فى نحو « مسلمين » .

الرابع : تنوين التعويض وهو اللاحق لنحو غواش وجوار عوضا من الياء ولأذ فى نحو « ويومئذ يفرح المؤمنون » عوضا عن الجملة التى تضاف اذ اليها .

وهذه الانواع الاربعة مختصة بالاسم •
وزاد جماعة تنوين الترنم ، وهو اللاحق للقوافى المطلقة ، أى : التى
آخرها حرف مد ، كقول جرير :
أقلى اللوم عاذل والعتابن وقولى ان أصبت لقد أصابن
والاصل « العتابا » و « أصابا » فجىء بالتنوين بدلا من الالف ،
لترك الترنم •

وزاد جماعة التنوين الغالى وهو : اللاحق للقوافى المقيدة زيادة على
الوزن ، ومن ثم سمي غالبا كقول رؤبة بن العجاج فى احدى أراجيزه :
قالت بنات العم يا سلمى وانن كان فقيرا معدما قالت وانن

والحق انهما نونان زيدتا فى الوقف ، وهذا يؤيد ما قلت من أن
النون صوت يحسن السكوت عليه ولذلك فقد التزم فى الكثير من
اصول العربية •

وأنا أرى ان هذه النون الساكنة التى لحقت آخر الاسم لفظا لا خطأ ،
كان من حقها أن تثبت فى الخط ايضا كما تثبت فى اللفظ ، وهذا طبعى
مقبول يتمشى مع الدعوات الكثيرة الى تيسير الكتابة العربية •

ولقد لحقت هذه النون جمع المذكر السالم والمثنى وثبتت فى الكتابة ،
والنون فى هذين لا تختلف عن أى من النونين اللتين تلحقان الاسم ، ومن
أجل هذا قالوا ان التنوين فى (مسلمات) يقابل النون فى (مسلمون)
ونقول ان النون فى جمع المذكر السالم عرض من الحركة والتنوين فى
الاسم المفرد •

ومن اهتمام العربية بالنون انها ألحقتها باسماء معروفة لتجعل معانيها
مختصة مقيدة بنوع من المعنى لا ينصرف الى غيره مما هو قريب منه ، ومن
أجل هذا قالوا للطفيل (ضيفن) وللمرتعش (رعشن) •

ومن عناية العربية بالنون انها ألحقتها بالأفعال المضارعة فى حالة
توكيدها وللتوكيد عندهم شروط معروفة مقيدة فى كتب النحو ، وهى أن
يكون الفعل جوابا لقسم متصلا بلامه مثبتا مستقبلا • وفى استعمالات

العربية ما يجافى هذه الشروط اللازمة قال تعالى : « يا ايها النحل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده »^(١) وقوله تعالى : « الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة »^(٢) واعتماد النون في هذا الاسلوب عناية به لانه من الاصوات السهلة الخفيفة التي يحسن السكوت عليها ، والتوكيد حاصل من الزيادة اللاحقة ، ولم يقولوا بالتوكيد الا توسعا في استخدام القاعدة المنطقية : « الزيادة في المبنى زيادة في المعنى » هذه القاعدة التي أرادوا أن يستخدموها في نواح لغوية كثيرة ولم يوفقوا فأفسدوا من حيث أرادوا الصلاح .

وقد استعمل المصدر منصوبا في العربية ، والنصب على المصدرية صار لونا من ألوان المفاعيل ، وقد يأتي هذا المصدر منصوبا لفعل قاصر ولا أرى حاجة في بحث عامل النصب في هذا الخصوص ، خشية ان ابتعد عن جادة البحث ، ولكني أريد أن أشير الى أن طائفة من الاسماء تنصب وتون وتجري مجرى المنصوب على المصدرية كما نقول حقا ، أصلا ... الخ ولم تجيء محلاة بأداة التعريف أو مضافة لتزول عنها النون .

والباحث في اللغة ملزم أن يمعن في البحث فيسجل كل ظاهرة لغوية تدخل في الموضوع ولو كانت شاردة في الالسنه الدارجة الدنيا ، ودراسة اللهجات العامية الحديثة مفيدة في دراسة العربية وتاريخها بصورة عامة ، وتسجيل شوارد العامية الاقليمية يعود على العربية وفقهها بأجزل النفع .

والمتعقب لحرف النون في العامية في المواطن القروية من جنوب العراق - أقول القروية لا الحواضر - يرى ان هذا الحرف يلحق الفعل الاجوف المضارع باطراد لا للتوكيد ، وانما هو صوت لين سهل يزين آخر هذا الفعل فيقولون^(*) : أروحن ، أشوفن ، والذي نلاحظه ان هذه النون تلحق المضارع الاجوف والنون فيها وسيلة للتخلص من

(١) النمل : ٢٧ ، ١٨ .

(٢) النساء : ٤ ، ٨٧ .

(*) كما يلحقون هذه النون بالفعل المضارع الثلاثي المضعف كقولهم

(امدن) و (امرن) وهذا كثير عندهم ولاسيما في اللغة الشعرية .

الساكين ، وهما حرف اللين ولام الفعل • والمتعقب للموضوع نفسه فى لهجات الحواضر يستطيع أن يقيد شيئا كثيرا من هذا ، ومن الامثلة على ذلك ، ان هناك أفعالا ثلاثية الاصل ولكنها تصبح رباعية بزيادة هذه النون فى آخر الفعل ومنها : وهدن بمعنى ضلل وغرر ، ولعل أصلها ألقاه فى الوهدة ، ومنها رهدن وهو يفيد الاناة والترتث وهناك (تربن) من التراب و (سخمن) من السخام أو الصخام على الابدال العامى • وليس لنا أن نقول ان الاصل فى (وهدن) هو (هدن) ثم صدرت بالواو وكذلك الامر فى (رهدن) ذلك ان الفعلين الآخرين يشيران الى زيادة النون وكما لحقت هذه النون هذه الافعال فقد لحقت مصادر من هذا الباب : كالولدنة والجرنة • كما لحقت أدوات اخرى : كقولهم : (لمن) ويريد بها (لما) ، ويقولون (حيفن) و (بعدين) بالامالة والاصل بعدا و (همين) أو (همتين) بالحقاق النون بكلمة (هم)^(٣) الفارسية •

وعندى ان الذى يضيف النون فى هذه الامور فى لغته السائرة الدارجة كالذى أضافها الى رعش وضيف ، فقال رعشن وضيفن اللذين أسلفنا الكلام عليهما • وفى فصيح العربية شئ من هذا مثل هرشن للبعير الواسع الشدين ، وضيون للذكر السنور^(٤) •

وقد استعملت النون فى جمع (الذين) فقييل الذين وسمع الذون على لغة هذيل أو عقيل^(٥) • والمتبع لهذه المادة فى النصوص والاستعمال ربما وصل الى الاصل فى هذا الاسم ، وهو (اللذ) بسكون الذال ، وربما كان الذال وحده هو اسم الموصول ، كما قال الكوفيون : ان الذال وحده هو الذى يفيد الاشارة فى (ذا) • ويؤيد ما نذهب اليه ان الدال المهملة

(٣) كلمة فارسية كانت مستعملة فى الكوفة على عهد الجاحظ •

(٤) قال ابن برى : أنشد الفراء :

ثريد كأن الشمس فى حجراته نجوم الثريا أو عيون الضياون
وقد ورد فى هذا الباب تلخن وهو التلطن بما يكره ، الا ترى ان الاصل لطن •

(٥) ورد فى الشواهد النحوية : نحن الذون صبحوا الصبا •

فى السريانية هى اسم موصول ، وما بقى فى اللسان الدارج فى القطر المغربى يؤيد هذا أيضا فيقولون « الكتاب دىالى » أى الذى لى ، وما المد فى عقب الذال الاتسهيلا للوصل والنطق ، ثم زيد على الذال الياء لغرض المد زيادة لازمة . وقد أورد ابن مالك انه قرئ « صراط ذين انعمت عليهم » بغير الالف واللام . وعلى هذا فان كلمة الذى مرت بمراحل حتى صارت الذين وقد جاء فى التزويل العزيز « وخضتم كالذى خاضوا »^(٦) ولم تستعمل الذين ، وجاء فى الشواهد الشعرية - اولئك أشياخى الذى تعرفونهم - ويؤيد هذا قول الاخفش النحوى : ان (الذى) حكمه حكم (من) فى أن يكون للمفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد .

وتدخل النون فى بنىة ضمائر الرفع للخطاب كانت ... وضمير المتكلم (أنا) . فضمائر الرفع للخطاب عند الباحثين المحدثين وجلهم من المستشرقين مثل « برجستراسر »^(٧) . وتبعه كراوس وبروكلمان ، مركبة من جزئين : جزء يكون الضمير وهو التاء وجزء آخر اشارى وهو (أن) ولعل الحسن بين كيسان وهو أحد الذين خلطوا المذهبين^(٨) .

ودونك قول ابن كيسان : (ان الضمير المرفوع هو التاء المتصرفه فكانت مرفوعة متصلة ، فلما أرادوا انفصالها دعموها بأن تستقل لفظا)^(٩) . على ان أهل البصرة يقولون بتركيبها وان (أن) هى الضمير وقد ألحقت بالتاء للدلالة على الخطاب كما لحقت الكاف ذلك^(١٠) .

وعلى كلا الرأيين فالنون جزء مهم فى الكلمة سواء أريد به التثنيه الاشارى أم شيء آخر .

أما (أنا) و (نحن) فالكوفيون يرون انهما أصل لا زيادة فيهما

(٦) الثوبية : ٩ ، ٦٩ .

(٧) المخزومي : مدرسة الكوفة ، ص ٢٢٧ .

(٨) حاشية الصبان على الاشمونى ١٢٧/١ وهمج الهوامع للسيوطى ٦٠/١ .

(٩) شرح الرضى على الكافية ١٠/٢ .

(١٠) عن المخزومي مدرسة الكوفة ص ٢٧٧ .

وأهل البصرة يرون ان مادة الكلمة حاصلة فى الهمزة والنون^(١١) والالف
استطالة للفتحة • ولترجع الى مسألة النون وغير النون ، فقد أسلفت أن
النون يؤلف جمهرة الاصول العربية ، فى حين ان غير النون انحصر فى
أشياء محدودة معدودة وعدم التوين حاصل عن اشتمال الاسم على علتين
من مجموع العلل التسع أو على اشتماله على علة بمنزلة علتين كما يحصل
فيما أسموه بصيغة متهى الجموع •

وعندى ان مسألة المنع من الصرف مسألة راجعة الى صورة الكلمة
والناحية الموسيقية فيها •

والدليل على هذا انك تصرف غير المنصرف وتونه فى الشعر ولكنهم
قالوا للضرورة ، ومعنى هذا لما توافرت الناحية الموسيقية فى وزن الشعر
فقد حرصوا على استكمال هذه الكلمات التى لا تنون • وانها فوق كل ذلك
مسألة خاضعة للتعود واللفة ، فتحن نقراً الاسم منونا فى بيت من الشعر
ولا نكتثر له أو قل ولا نحس اننا اقترفنا ضرورة شعرية • جاء فى
الاشباه والنظائر : (يجوز للشاعر صرف ما لا ينصرف للضرورة لانه
يرده الى أصله وهو الصرف)^(١٢) وقال ابن يعيش : (جميع ما لا ينصرف
يجوز صرفه فى الشعر لانما القافية واقامة الوزن بزيادة التوين وهو من
أحسن الضرورات لانه رد الى الاصل ولا خلاف فى ذلك)^(١٣) • ومن
أجل هذا سميت النون بنون الترنم فى الشاهد الذى مر ذكره • فالنون
قصد به زيادة النغمة ، وهذا يقال ايضا فى النون من ناحية الموسيقى
اللفظية • أما من ناحية صورة الكلمة فهى ذات علاقة مهمة فى الموضوع •
فالكلمة المختومة بالهمزة والتى قبلها مد تمنع من التوين وان لم يكن هذا
المد للتأنيث كحمراء ، بل أكثر الاسماء^(١٤) المذكورة مثل أطباء رحماء •

(١١) شرح الاشمونى ١/ ١٢٦ •

(١٢) الاشباه والنظائر ٢/ ٣٣ •

(١٣) المصدر نفسه •

(١٤) أقول أكثر الاسماء لان الاسماء الثلاثية تنون كسماء وبناء ...

ولا نستطيع أن نقول ان طبيعة الهمزة لا تقبل النون ، انما غاية ما نستطيع قوله فى هذا الموضوع ان صورة الكلمة هى التى منعت الكلمة أن تلحق بها النون •

وقد جاء فى الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم »^(١٥) ووجه المنع فى أمثال هذه الكلمات هو انهم حملوها على ما فيه مد للتأنيث ، ومن أجل ذلك قالوا ان أصلها (شيئا كحمراء)^(١٦) ثم حدث فيها قلب ومن أجل هذا فوزنها (لفعاء) • وعندى ان الامر لم يكن بهذا الشكل وان شيئا جمعت على أشياء كما نجتمع لونا على ألوان^(١٧) ، وحملنا على هذا فلا داعى للمنع من الصرف ما دام ان الهمزة لا تنفر من النون كما فى (سماء) و (بناء) و (براء) وان الآية تبقى على قراءتها • ويدو لنا ان العلل التى وضعوها للمنع من الصرف لم تكن بالدليل القاطع ، فعندهم ان العلمية والعجمة تمنعان من الصرف ولكنهم قالوا « ما كان أعجميا على ثلاثة فهو منصرف كنوح ولوط » • وعندهم ان العلمية والتأنيث تمنعان من الصرف ولكنهم قالوا (ما كان علميا لاشئ وهو على ثلاثة أحرف ساكن الوسط فهو منصرف كهند ودعد) •

وهذا التذبذب يؤيد ان المانع من الصرف ليس هذه العلل وانما هى صورة الكلمة التى ينقصها هذا اللون الموسيقى بحيث ان الكلمة لو أضيفت أو كانت معرفة بأداة التعريف لانصرفت ، ومعنى هذا انها ابتعدت عن الصورة التى تجافى فيها النون • وعندهم ان صيغة منتهى الجموع كمساجد وأساتيد ممنوعة من

(١٥) المائدة ٤ ، ١٠١ •

(١٦) ابن جنى ، المنصف ١٠١/٢ : وقال الخليل « أشياء » مقلوبة كما قلبوا قسي وكان أصلها قؤوس •

(١٧) ألوان اسم منون ، ومعنى هذا ان هذه الكلمة المختومة بالنون تقبل نونا اخرى فى انهم منعوا الاعلام والنوعات المختومة بالف ونون كسلمان وعطشان ولا أدرى ما الفرق بين النون الاصلية والنون الزائدة • وقد قرأ « أشياء » بالتثنية •

الصرف ولكن لهذه الصيغة صورة أخرى محتومة بالتاء مثل أساندة فالتاء فيها تعويض من الباء في أسانذ ولكن أساندة وملائكة(*) منصرفة وهذا يؤيد رأينا ان صورة الكلمة ذات أثر في الحاق النون وعدم الحاقها • والاستعمال عامل مهم في هذا الشأن •

وبقدر ما عنيت بحرف النون واستعماله وتقلبه في اللغة سأعنى بصوت آخر سهل مثله يشترك معه في الناحية الانفية وان كان يخالفه في المخرج وهو حرف الميم • وهو حرف من الاحرف الشفوية كالباء والفاء والواو • والاهتمام بالنون يستدعى الاهتمام بنظيره الميم • اقول بنظيره لان الميم يؤدي في غير العربية من اللغات السامية مما يؤديه النون في العربية ، وذلك من أمر التنوين ، فاذا صح أن يكون في العربية تنوين فقد صح أن يكون (تميم) في غير العربية •

فجمع التصحيح في العربية بواو ونون أو ياء ونون ويقابل هذا في العبرية ياء وميم فكلمة (سنة) وهى (شانا) "Shana" في العبرية تجمع على (شانيم) "Shanim" والميم هنا كالتون في العبرية • وكما لحقت النون الاسم المثنى في العربية كذلك تلحق الميم الاسم المثنى في العبرية وان كان المثنى لم يشع في العبرية شيوعه في العربية • وقد احتفظت العبرية الفصيحة بكلمات قليلة العدد تشير الى هذه الميم التى اضيفت زيادة « للتيميم » فى اللهجات العربية الجنوبية وكونت من هذه الكلمات شكلا خاصا حتى صارت وكأنها جزء من بنية الكلمة • ومن هذه الكلمات كلمة ابنم التى تقابل (ابن) المنونة ولكن الميم بقيت فيها وقد أخضعها عرب الشمال لعاداتهم اللغوية فألحقوا بها النون من أجل التنوين فصارت أحيانا (ابنم) وما زلنا نرى هذه الكلمة قابعة فى كتب اللغة والنحو فى باب الاسماء التى تحلى بهمزة الوصل •

(*) يسمى اللغويون هذه التاء بتا العجيمة وهى التى تلحق الاسماء الاعجمية ، ولا أدرى ما الفرق بينها وبين تاء « مغاربة » و « مشاركة » ، والحقيقة انها تاء تأتى فى صيغ الجموع •

وقد فطن الى هذا الموضوع (سيويه) فقال : وقالوا انهم فزادوا الميم
كما زيدت في فسحهم ودلهم^(١٨) .

ومن هذه الكلمات ايضا كلمة فم هذه الكلمة السهلة التي يخيل
للناظر المتأمل انها ثنائية الاصل توهما بالميم الذي زيد فيها كما زيدت الميم
في (انهم) .

ولكن علماء اللغة يشيرون الى أصلها وان كانوا لا يقولون عن هذه
الميم شيئا كثيرا . جاء اللسان : قال الليث : (ألفوه) بضم الفاء أصل بناء
تأسيس الفم ، قال أبو منصور ومما يدل على ان الاصل في فم وفو وفا
وفى هاء حذف من آخرها قولهم للرجل الكثير الاكل (فيّه) ورجل أفوه
عظيم الفم طويل الاسنان . . والافواه جمع فوه . . . وانما كونه جمع فم
فلان أصل فم فوه فحذفت الهاء كما حذفت من سنة فيمن قال عاملته مسانهة
وكما حذفت من شفة ومن عضه ومن أست وبقيت الواو طرفا متحركة
فوجب ابدالها ألفا لانفتاح ما قبلها فبقيت (فآ) ولا يكون الاسم على حرفين
احدهما التوين فابدل مكانها حرف جلد مشاكل لها وهو الميم لانهما شفهيان
وفي الميم هوي في الفم يضارع امتداد الواو^(١٩) .

وفي اللسان تأويلات اخرى لا تخرج عن هذه الشاكلة اذ انها
مصنوعة لا تخلو من الأعيب للتوصل الى معرفة الميم .

والصحيح الذي يغنيا عن هذه الفذلكات هو ما أثبتناه من أن الميم
تؤدي وظيفة النون في اللهجات الجنوبية . ورواية الفم بضم الفاء تؤيد
هذا ، روى عن الفراء النحوى ان العرب تقول : قبلها في فُمِها وثُمِها .
وجاء في الشعر قول محمد بن ذؤيب العماني الفقيمي :

يا ليتها قد خرجت من فمه حتى يعود الملك في اسطمه

والمتبع لهذه الميم في العربية يجدها في أمثلة متفرقة في كتب اللغة
وكليها مما ينبغي أن يقف عنده الباحث اللغوي . فقد عرفنا ان هناك طريقة

(١٨) اللسان مادة بنو .

(١٩) اللسان مادة فوه .

للتصغير فى الاسماء لا تذكرها كتب الصرف والنحو ، وهذه الطريقة هى الشائعة فى الاعلام المغربية كما فى خلدون وسحنون وعبدون وجلّون و . . . الخ وزيادة التصغير فى هذه الاسماء هى الواو (٢٠) وما النون الا زيادة اخرى زيدت من أجل ألا تنتهى الكلمة بهذا المد الطويل وهى على هذا كالتون فى مسلمون ، وعلى هذا فاننا نجد طائفة من الاسماء تصغر هذا التصغير ولكنها تختتم بالميم عوضا عن النون ، (والميم والتون صوتان متشابهان متلازمان) .

ومن هذه الكلمات : حلقوم وزردوم وبلعوم وخيشوم (٢١) فالاصل فيها حلق وزرد وبلع وخش .
وتبدو العلاقة بين الميم والنون فى اللهجات العربية الحديثة ، فميم الجماعة التى تلحق كاف الخطاب كما فى كتابكم تصبح نونا فى اللهجة اللبنانية ، اذ يقولون كتابكن ، ومثل هذا كثير فى العربية .

(٢٠) أقول الواو هى علامة التصغير لان الشائع فى تصغير الاعلام للنجيب فى الاستعمالات الدارجة ان نقول حمود فى احمد ومحمد ثم نقول حمودى ولعل الياء هى ياء المتكلم أى حمود المنسوب الى وهذا كثير جدا كحبوب وسعود وزنوبه علما لادنى .
(٢١) وقد يكون من هذا حيزوم وكلثوم .

نظرة في التنوين

لقد قيل ان الحقيقة بنت البحث • وربما تم للباحث الصابر الذى لم يحد عن النهج العلمى القويم غرضه ، غير انه مقتصر الى الوسائل والادوات فى بعض الاحايين • والوسائل والادوات فى العربية هى مادة الكلام ووسائل التعبير وطرائق الاستعمال ، ولم تيسر هذه للباحث فى لغة العرب على نحو ما تيسر له فى اللغات الاخرى ؛ ذلك ان الكثير لم يصل اليها ، وهو ان وصل افتقر الى الصفة العلمية التاريخية ؛ فقد جاء فى الصحبى لابن فارس « باب القول على ان لغة العرب لم تنته اليها بكليتها وان الذى جاءنا عن العرب قليل من كثير وان كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله »^(١) •

ويسمى التنوين الذى يلحق الاسم العرب صرفا ، والاسم المنون مصروفا أو منصرفا • وهذا التنوين يعده النحاة دليلا على تمكن الاسم فى الاسمية تمام التمكن • وقد انتهت فى بحثى السالف الى القول : « ان النون من الاصوات السهلة التى اطمأت العربية الى السكوت عليها والانقطاع عن الصوت عندها • وربما ملح الى هذا بعض المحدثين بقوله : « ان التنوين قطع للمدّ الممثل بالحركات »^(٢) • وربما حركت نون التنوين بحركة لمناسبة اقتضت ذلك كالتقاء الساكنين كما قرئ فى قوله تعالى : (ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين)^(٣) • فقد حركت نون (عيون) بالكسر • ويرى الدكتور ابراهيم أنيس « ان الذى يعين تلك الحركة هو طبيعة الصوت واثاره لحركة معينة أو انسجام تلك الحركة مع ما يجاورها من حركات »^(٤) •

(١) ابن فارس ، الصحبى ص ٣٤ •

(٢) العلابى ، مقدمة فى لغة العرب ص ٣٤٣ •

(٣) سورة الحجر ٤٥ - ٤٦ •

(٤) ابراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ص ١٧٥ •

ويقول الاستاذ ابراهيم مصطفى : « ومعنى التثوين غير خفى ؛ فهو علامة التنكير . وقد وضعت العرب للتعريف أداة تدخل أول الاسم ، وهى « ال » ، وجعلت للتنكير علامة تلحقه ، وهى التثوين »^(٥) .

واطلاق القول على هذه الصورة جائز على الحقيقة العلمية التاريخية ؛ ذلك ان الاستاذ مصطفى يفترض ان هذا المنهج النحوى هو الوجه الذى اتفقت عليه العرب ، ومعنى هذا انه لم يكن فى كلام العرب ما يشير الى مراحل أسبق من هذا اللون الذى لا يدل على مستوى عال فى التأليف ، وذلك بعد أن تضلع من العربية وعلومها جماعات وقفوا أنفسهم عليها فى عصور متأخرة بالنسبة الى العربية التى سلخت عنها القرون الطوال . وسأرجع الى الموضوع فأفصل القول فيه .

والمنون فى الكلام هو الغالب فى العربية . والصرف هو التثوين . وهذا مذهب المحققين^(٦) . والاصل فى الاسم الصرف^(٧) . وغير المنون هو القليل المعروف فى كتب النحو ، والذى حصروه فى أبواب معروفة ، والاسم غير المنون لابد أن تتوافر فيه علتان من تسع أو علة تقوع مقام العلتين ، وكل هذا مفصل معروف فى كتب النحو ، وليست بنا حاجة الى الرجوع اليه . على اننا لابد أن نقول ان مسألة العلل المانعة للاسم من الصرف مسألة ينبغى الرجوع اليها بحثا وتحقيقا ؛ ذلك ان كثيرا من غير المنون من الاسماء قد اختلف فيه ، وربما كان الاسم منونا عند بعضهم وغير منون عند فريق آخر . وسنعرض لشيء من هذا .

فمن العلل المانعة للصرف عندهم الالف المنصورة للتأنيث وهى علة تقوم مقام علتين ، وطالب النحو يطمئن الى هذا ويجريه مجرى القواعد المقررة ، غير ان الباحث فى مظان النحو المطولة يجد شيئا غير هذا فقد جاء فى الكتاب : « وانهم فرقوا بين الالف التى تكون بدلا من الحرف الذى

(٥) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ١٦٥ .

(٦) حاشية الصبان على الاشمونى ٢/٢٢٨ .

(٧) السيوطى ، همع الهوامع ١/٢٤ .

هو من نفس الكلمة ، والالف التى تلحق ما كان من بنات الثلاث بنات
الاربعة ، وبين هذه الالف التى تجيء للتأنيث . فاما (ذفرى) فقد اختلف
العرب فيها فقالوا : ذفرى أسيلة فنونوا ، وهى أقلهما ، وقالوا ذفرى أسيلة
وكذلك (تترى) فيها لغتان « (٨) » .

والالف والنون الزائدتان فى الوصف علة مانعة لصرف الاسم ان
كان مؤنثه على (فعلى) . ذكر الرضى فى شرحه على الكافية : « والمطلوب
منه انتفاء التاء لان كل ما يجيء منه (فعلى) لا يجيء منه فعلانة فى لغتهم ،
الا عند بنى أسد فانهم يقولون فى كل (فعلان) جاء منه (فعلى) (فعلانة)
ايضا كغضبانة وسكرانة فيصرفون اذن (فعلان) » (٩) .

ولسنا على يقين من أن بنى أسد وحدهم على هذه اللغة ؛ ذلك ان
اللهجات لم تقيد بأهلها وإقليمها ، وكتب اللغة ليست وسيلة يطمأن إليها فى
هذا الباب .

ثم انهم صرفوا كل ما فيه نون لا يجيء مؤنثه على (فعلى) كما فى
(عريان) و (سرحان) و (انسان) وقد فرقوا بين النون الزائدة والنون
التي هى من نفس الحرف ، قال سيويه : « سألت الخليل عن رجل يسمى
(مرانا) فقال اصرفه لان المران انما سمي للينة ، وانما المران اللين » (١٠) .

وقد حملوا على ما فيه حرف التأنيث كل ما آخره همزة قبلها ألف
زائدة ، وهذا علة منع الصرف فى (أشياء) فهى عند الخليل مقلوبة
والاصل (شياء) (١١) . وقد ذكر الرضى فى شرح الشافية أن : (أشياء)
عند الخليل وسيويه اسم جمع لا جمع كالقصباء والطرفاء وأصلها
شياء (١٢) . وقد ذكر الرضى فى الشافية أن : (أشياء) عند (أبيات) (١٣) .
وأوضح ان (أشياء) على رأى الكسائى غير ممنوعة من الصرف ومن أجل

-
- (٨) سيويه ، الكتاب ٨/٢ .
 - (٩) الرضى ، شرح الكافية ٦٠/١ .
 - (١٠) سيويه ، الكتاب ١١/٢ .
 - (١١) ابن جنى ، المنصف ١٠١/١ .
 - (١٢) الرضى ، شرح الشافية ٣٣/٢ .

ذلك لم يركب المركب الخشن الذى لجأ اليه الخليل وسيبويه فى التماس
 العلة لمنع من الصرف . ومن هذا الباب ما ذكره سيبويه نفسه : « واعلم
 ان من العرب من يقول : هذا قوباء (١٣) بالتونين » (١٤) .
 ومهما تكن العلة مانعة للاسم من الصرف ، فانما يتغاضى عنها وينون
 الاسم الذى حقه عدم التونين التماسا لفائدة من الفوائد ، وهذه الفائدة هى
 التزام الناحية الموسيقية التى تحصل فى التونين .

فقد يجوز للشاعر صرف ما لا ينصرف للضرورة كما جاء فى الاشباه
 والنظائر للسيوطى (١٥) ، وهو رد للاصل وهو الصرف على رأيه . وابن
 يعيش يقول : « وجميع ما لا ينصرف يجوز صرفه فى الشعر لاتمام القافية
 واقامة وزنها بزيادة التونين وهو من أحسن الضرورات » (١٦) .

ويجوز صرف ما لا ينصرف لتناسب أو ضرورة (١٧) والتناسب نحو
 قوله تعالى : « وجئتك من سبأ نبأ » (١٨) ، وقوله تعالى : « سلاسل
 واغلالا » (١٩) .

وقد بقي من التونين بقايا فى اللهجات الدارجة الحديثة ، وذلك
 كما فى لهجة نجد ، ولعل النون التى تلحق الافعال الجوف المضارعة فى
 لهجة القرويين من جنوبى العراق (العمارة ، الناصرية) ، انما لحقتها اتماما
 للفائدة التى تحصل من التونين فى الاسماء وربما كان شيئا أفاد التنبيه وهو
 كما فى قولهم (أروحن) و (أموتن) ، وقد أسلفت القول فيه فى مقالتي
 السابقة ، والآن أود أن أضيف شيئا من ذلك ؛ وهو انهم يضيفون هذه
 النون الى الافعال المضارعة الثلاثية المضعفة ، وذلك فى الشعر دون النثر ،

(١٣) القوباء داء معروف (مختار الصحاح) الرازى .

(١٤) سيبويه ، الكتاب ١٠/٢ .

(١٥) لسيوطى ، الاشباه والنظائر ٣٢/٢ .

(١٦) ابن يعيش ، شرح المفصل ٦٧/١ .

(١٧) السيوطى مع الهوامع ٣٧/١ .

(١٨) سورة النمل ، ٣٣ .

(١٩) سورة الانسان ، ٤ .

يقولون مثلاً (امرن) و (اجرن) ، وربما ألحق التنوين فى غير هذين
الموضعين ، وذلك فى الفعل الثلاثى المضارع وهو فى الشعر ايضا ، وعلة
هذا اقامة الوزن كما فى الشاهد : (اجلبك يلبى ائتشس تجليه) (٢٠)
والجيم فى الفعل ابدال من القاف .

وأود أن أذكر شيئاً أخيراً عن هذا الجزء من هذه القضية قبل أن
أنتقل الى مسألة اخرى ، وهو انهم ينونون (ساجدة) و (زاهدة)
و (ساهرة) وهى نعوت ، ولكنهم يجرّدونها عن التنوين ان نقلت للعلمية
جريا مع القاعدة وهى توافر العلتين (العلمية والتأنيث) . وانهم ينونون
(ورده) و (رمله) وهما اسمان ، وانهم يجرّدونها عن التنوين نقلا للعلمية
لتوافر العلتين . وانهم ينونون المصادر مثل (وصال) و (اقبال) و (هدى)
ولكنهم يجرّدونها عن التنوين ان نقلت للعلمية لتوافر العلتين . وفى كتب
النحو شئ من هذا وهو أن (اذينة) و (وعينه) ، وهما علمان لمذكرين ،
ينونان لعدم توافر القاعدة فيهما ، ولو كانا علمين لمؤنثين لفارقهما التنوين .
ومن هذا العرض يتبين ان حرمان الاسم من التنوين مسألة اعتباطية وهى
من غير شك من وضع النحويين واللغويين أنفسهم .

وقد ذكر النحويون ان التنوين لا يراعى فى مواضع معروفة وذلك
لالتقاء الساكنين مثلاً ، وان هذا الحذف كثير فى كلام العرب (٢١) . وانهم
مثلاً أبعدوا التنوين عن كل اسم غالب وصف بابن ثم اضيف الى اسم غالب
أو كنية أو أم وذلك نحو قولك هذا (زيد بن عمرو) انما حذفوا التنوين
من هذا النحو اذا التقى ساكنان . وذلك قولك (اضرب بن زيد) (٢٢)
وأنت تريد الخفيفة وقولهم (لد الصلاة) فى (لدن) واذا اضطر الشاعر
فى الاول أجراه على القياس (٢٣) : [الوافر] :

(٢٠) على ان النون فى هذا الشاهد الاخير هى للتوكيد وليست من
النونات السابقة .

(٢١) ابن يعيش ، شرح المفصل ٣٥/٩ .

(٢٢) اضرب من زيد علم من الاعلام عند سيبيويه .

(٢٣) سيبيويه ، الكتاب ١٤٧/٢ .

هى ابتككم واختكم زعتم ثعلبة بن نوفل بن جر
وفى كتاب سبويه باب ما يحرك فيه التنوين فى الاسماء ويمثل له
بقولهم : (هذا زيد بن اخيك) و (وهذا زيد ابن اخى عمرو) و (هذا
زيد الطويل) و (هذا عمرو الظريف) (٢٤) . وهذا يدل على ان المسألة
لم تستقر على حال ، وان من ألف التنوين أثر لسانه التخفيف ولم ينون
اتقاء الساكنين ، وأن من روض لسانه على التنوين فشاع فيه قبله فى هذا
الباب ايضا .

ويحذف التنوين التماسا للخفة فلمنادى يبنى ولا ينون الا فى الضرورة
بالاجماع (٢٥) .

وأرى تحليل هذا ان الاسم باعتماده على جزء سابق وهو (يا) النداء
يكون وحدة صوتية ذات طول معين محدود ، واقتضت هذه الزيادة السابقة
حذف التنوين اللاحق التماسا للمحافظة على هذه الوحدة الصوتية الموسيقية
بحيث ان الاسم يسلم له هذا التنوين قبل زيادة (يا) .

وعلى هذا الوجه نستطيع أن نعلل نصب لا النافية لما بعدها كنصب
ان لما بعدها مع ترك التنوين فنقول مثلا (لا ريب) والريب قبل دخول
الاداة كلمة تصلح للتنوين ، ولكنه يفارقها بعد دخول الاداة عليه حفاظا
على هذه الوحدة الصوتية . وتحليل هذا عند النحويين كما فى كتاب سبويه
(ان ترك التنوين لازم لانها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو
خمس عشرة وذلك لانها لا تشبه سائر ما ينصب مما ليس باسم
وهو الفعل) (٢٦) .

وربما استطعنا أن نلتمس العلة نفسها فى مسألة نصب الافعال
وجزمها ؛ فالفعل (يعملون) مختم بالنون ان لم يسبقه ناصب أو جازم

(٢٤) المصدر السابق ١٤٨/٢ .

(٢٥) السيوطى ، الهمع ١٧٣/١ .

(٢٦) سبويه ، الكتاب ٢٤٥/١ .

ولكنه يفارق النون ان اعتمد على شيء من أدوات الجزم والنصب فنقول :
 (لم يعملوا) و (لن يعملوا) • وربما حمل على هذا مسألة جزم الفعل
 المضارع المعتل الآخر ؛ ذلك ان المد فى آخره يكون له وهو فى حالة الرفع
 كما يقولون ، ولكن هذا المد يفارقه ان سبقه جازم ، ويبدو ان هذا الجزم
 من آخر هذه الوحدة الصوتية يعادله ما استند عليه الفعل من مادة الاداة •

ولا نستطيع أن نعلل الترخيم فى العربية بغير هذه العلة ، ثم ان
 الحفاظ على هذه الناحية الصوتية مما يحقق التخفيف الذى هدفت اليه
 العربية فى كثير من قوالب الاستعمال •

والترخيم فى حقيقته اختصار للكلمة وخرم لها من الآخر تحقيقا
 للخفة • وللترخيم مواطن قيدها النحويون فى كتبهم ، وخصوصا فى النداء
 نحو (يا جار) بدلا من (يا حارث) • ولعل من المناسب أن نلحق باب
 الترخيم استعمالات كثيرة شاعت فى العربية منذ أقدم الازمان ، ومنها
 (عم صباحا) ؟ فقد زعموا ان أصلها انعم صباحا ، ومنها ايضا (وايم الله)
 فى باب القسم وأصلها (وأيمن الله) (٢٧) •

وحذف النون فى هذه الاخيرة التماسا للخفة ، والتماس الخفة سبب
 فى كل حالة يحصل فيها حذف التنوين • وقد فسر الاستاذ ابراهيم
 مصطفى حرمان العلم من التنوين حين يردف بكلمة (ابن) وينسب الى
 أبيه ، بكونه معينا تمام التعيين (٢٨) • وليس ابتغاء التخفيف كما ذهب
 اليه النحويون •

ومعنى هذا انهم ينونون العلم اذا كان فيه معنى التذكير وأردت
 الاشارة اليه (٢٩) •

وعند الاستاذ ابراهيم مصطفى ان التنوين علامة التذكير كما بينا ،
 والنحويون يملكون التذكير بنوع واحد من أنواع التنوين وهو ما يلحق

(٢٧) برجشتراسر التطور النحوى ص ١٧٩ •
 (٢٨) و (٢٩) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ١٧٩ •

الاعلام المبينة نحو (سيبويه) وما يلحق أسماء الأفعال مثل (صه)
و (مه) (٣٠) .

وليس الأستاذ ابراهيم مصطفى بدعا في هذه الدعوى ، فقد سبقه
لغويون أشاروا الى أن التتوين دال على التذكير ، ومن هؤلاء ابن جني الذي
يعقد بابا للتذكير والتعريف في (الخصائص) ولكنه لا يتقيد باللغة في
منهجه ، ومعنى هذا انه يلجأ الى اسلوب فيه كثير من المحاكمة المنطقية
العقلية التي هي أبعد ما تكون عن المنهج اللغوي الصحيح . يقول ابن
جني : « ان التضاد في هذه اللغة جار مجرى التضاد عند ذوى (الكلام)
فاذا ترادف الضدان في شيء منهما كان الحكم منهما للطاريء ، فأزال
الاول ، وذلك كلام التعريف اذا دخل على المنون حذف تنوينه كرجل
والرجل . وذلك ان اللام للتعريف ، والتتوين من دلائل التذكير فلما ترادفا
على الكلمة تضادا ، فكان الحكم لطارئهما وهو اللام » (٣١) .

ولا يفارقهم هذا المنهج العقلي فقد قرروا : « ان أصل الاسماء ان
تكون نكرات ولذلك كانت المعرفة ذات علامة وافتقار الى وضع لنقلها عن
الاصل » (٣٢) . والتعريف على هذا فرع من التذكير ، وان النكرة سابقة على
المعرفة ، وان مسمى النكرة أسبق في الذهن من مسمى المعرفة بدليل
طريان التعريف على التذكير .

ويتبين من هذا انهم خصوا التذكير بعلامة تقتقر اليه وهو التتوين .
اذا فكيف يتسنى لهم أن يؤكدوا سبق التذكير على التعريف .

وقد فصلوا في التفريق بين المعرفة والنكرة مستخدمين المنطق أداة

(٣٠) ولا معنى لاختصاص هذه المسائل بهذا النوع من التتوين لانه
كيف يصح ان يكون التتوين في سيبويه للتذكير ولا يكون في علم آخر .
اما أسماء الأفعال فإضافة التتوين اليها ربما كانت لصيرورتها على ثلاثة
احرف بدلا من الثنائية ، والثلاثي في الكلمات العربية أسهل في الدرج
والوصل من الثنائي ، وعلى هذا الأساس يمكن تفسير زيادة الفاء في (فقط) .

(٣١) ابن جني ، الخصائص ٦٢/٢ .

(٣٢) السيوطي ، الاشباه والنظائر ٣٤/٢ .

فى الحكم على ما يريدون ، فمن ذلك قولهم : « ان لفظ (شئ) و (معلوم) يقع على المعرفة والنكرة ، واندراج المعرفة تحت عمومها دليل على اصلتها كاصالة العام بالنسبة الى الخاص ، فان الانسان مندرج تحت الحيوان لكونه نوعا والجنس اصل لانواعه » (٣٣) .

وأرى ان النحويين واللغويين القدامى لم يفلحوا فى التفريق بين المعرفة والنكرة ، فقد اطلقوا هذه الفروق ولم يستطيعوا أن يتبينوها بدقة تامة . فقد ذكروا فى باب المبتدأ والخبر ان شرط الابتداء التعريف ، فاذا جاء المبتدأ نكرة اشترطوا الافادة فى هذه النكرة ، والافادة معروفة مقيدة بموضعها فى كتبهم ، ثم انهم وجدوا ان فى كلام العرب ما يند عن هذا فقد جاء المبتدأ نكرة من غير التزام الافادة . ومعنى هذا ان النكرة كما حدودها فى اصطلاحهم تجرى مجرى المعرفة أو قل هى والمعرفة سواء بسواء ، والى هذا أشار ابن مالك فى الارجوزة :

وقس وكاستفهام النفى وقد يجوز نحو فائز أولو الرشد

والذى أريد من هذا ان التعريف باللام وان التكرير بالتنوين شئ واحد ، والذى يعين فى اثبات صحة هذه الدعوى ما نجده فى اللغة الاكديّة العتيقة كنصوص (حمورابى) من (التميم) الذى يقابل التنوين ، والتميم فى تلك النصوص لا يقيد الكلمة بالتكرير ، فهو يدخل على الالفاظ عموما ، لا فرق بين معرفة ونكرة كما انه لا يوجد أداة للتعريف . واتصال التعريف بالتكرير وتبادلها حاصل فى اللغة الآرامية ، وذلك ان أداة التعريف كانت فى الآرامية العتيقة فتحة ممدودة ملحقة بآخر الكلمة نحو (Sum) أى اسم و (Sma) أى الاسم وربما كان أصل الفتحة الممدودة ha التى هى آلة التعريف فى العبرية والتى توضع فى أول الكلمة (٣٤) .

وان الفتحة فى آخر الكلمات السريانية شئ من هذا ايضا فربما

(٣٣) المصدر السابق .

(٣٤) برجستراسر ، التطور النحوى ص ٧٧ .

كانت للتعريف ثم فقدت هذا الاختصاص فصارت تلحق بالكلمة معرفة أو نكرة على السواء .

ولو كان التنوين مقيدا بالتكثير لكان من العسير علينا فهم الاعلام التى تقبل هذا التنوين ، وهذه الطائفة من الاعلام هى اكثر الاعلام فى العربية .
ومكان أداة التعريف هو آخر الاسم فى كثير من اللغات السامية ،
ففى لغات اليمن الجنوبية ان (آن) أداة التعريف وهى تلحق الآخر (٣٥) .
وربما كانت هذه هى (هن) كما فى العربية القديمة . ثم بدلت مكانها
فصارت تصدر الاسم كما فى اللهجة الصفوية والشمودية مثل (هجمل)
ومعناه الجمل و (هيت) ومعناه (البيت) . والتشديد فى الحرف من
الكلمة دليل على النون المحذوفة كما هى الحال فى العربية .
ولما غيرت هذه الاداة مكانها خصت الكلمة المنكرة بالميم للتفريق .

واللحائية ايضا توصل الى التعريف بالهاء المفتوحة فى اول الكلمة على
انه وجد فى النقوش أداة التعريف فى كلمة منونة وذلك (هصلمن)
ومعناه الضنم (٣٦) .

وربما كانت هذه الاداة هى الهمزة والميم فى لغة حمير من لغات
الجنوب كما تذكر النصوص العربية . ويبدو من هذا العرض ان النون
والميم متقاربان متبادلان . فقد روى الثمر بن توبل الحديث المشهور : (ليس
من امير امصيام فى امسفر) (٣٧) .

وتفرد العربية الشمالية عن اخواتها بهذه الاداة ، ولكن الناظر فى
الاسانيد يجد ان التحوين على خلاف ، فان (آل) بجملتها حرف تعريف
عند الخليل وسيبويه (٣٨) . وعن الرضى الاستربادى فى شرحه ان اللام

(٣٥) اغناطيوس غويندى ، المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية
القديمة ص ١٤ .

(٣٦) جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٢١٢/٧ .
(٣٧) ابن يعيش ، شرح المفصل الطبعة الاوربية ص ١٢٢ ، العيني
٤٦٥/١ ، مسند أحمد ٣٤٣/٥ ، الرضى ، شرح الكافية ١٣١/٢ .
(٣٨) حاشية الصبان ١٧٦/١ .

وحدها أداة التعريف عند سيويه^(٣٩) وذكر المبرد في كتاب الشافى ان حرف التعريف الهمزة المفتوحة وحدها وانما ضم اللام اليها لئلا يشبه التعريف بالاستفهام^(٤٠) على اننا نرى ان اللام ربما كان بدلا من النون التي وجدناها في اللغات السامية ، كما ان هذه اللام قد تطوى في اللفظ مع الحروف الشمسية ، ويقتضى هذا الطى نوعا من التشديد والضغط^(٤١) على المقطع الاول .

ونستطيع أن نخلص الى القول ان التتوين أو التميم - وهي أداة صوتية في آخر الكلمة - ربما قصد بها التنبه والاشارة ثم فقدت مكانها فصارت (أل) في اول الكلمات للتعريف . ولا حاجة لنا أن نطيل الجدل في مسألة التعريف والتكثير بالوجه الذى عرفناه في كتب النحو . وينبنى على هذا اننا لا نستطيع الجمع بين (أل) و (التتوين) في كلمة واحدة لانهما يدلان على شيء واحد ولان طبيعة الكلمة العربية أو وحدتها الصوتية لا تسمح بالجمع بينهما في لفظ واحد .

ولابد من كلمة اخيرة في هذا الموضوع ، وذلك ان التتوين ربما توهم فيه فظنوه نونا كما في كلمة (تضامن) اذ الاصل فيها (تضام) بالتتوين من الضم الذى يفيد الجمع . وعلى هذا الاساس نستطيع فهم (صلدم) فالميم فيها من هذه الزيادة أى الغرض (التميم) مقابلة للتتوين وليست من (صلد) و (صدم) كما ذهب اليه ابن فارس .

وقد أضيف التتوين الى طائفة من الادوات لفظا وخطا فأضاف اليها معانى جديدة أو قل اختصاصات جديدة ، ومنها (ما) الموصولة التى اصبحت (من) وقيدت بالعاقل وان ورد فى فصيح العربية ان الاولى استعملت واريد بها العاقل كقوله تعالى : (سبح لله) .

(٣٩) الرضى ، شرح الكافية ١٣٠/٢ .

(٤٠) المصدر السابق .

(٤١) لم تعالج مسألة الضغط Stress فى اللغة العربية ومن ثم لم تعالج مسألة المقاطع فيها .

ومن هذه الادوات (اذا) التى أفادها التوين شيئاً آخر فصارت
(اذا) أو (اذن) •

ومن هذه الادوات (لا) التى أصبحت مع التون (لن)^(٤٢) ، وقيدت
بمعنى خاص وهو كونها لنفى المستقبل ، ويرى الخليل ان (لن) مركبة من
(لا) و (ان)^(٤٣) •

وربما استطعنا أن نقول ان (لن) و (لم) من حقيقة واحدة ولكن
الاستعمال قد خص كلا منهما باستعمال خاص •

(٤٢) ابن فارس ، الصحبى ص ١٣٦ •
(٤٣) ابن عقيل ، باب النواصب •

بحوث في اللغة

(١) ضمة العربية بين المولد الجديد والمصطلح الفني

بعدت الشقة بيننا وبين فصيح العربية حتى غدونا وكأننا لسنا من العربية في شيء * أو قل كأن العربية غريبة عنا ، نستعين عليها بالدرس . وكثرت الشكوى من صعوبة هذه اللغة ، فظهرت للناس محاولات التيسير في كل مكان ، ولكن جل هذه لم يأت بظائل ، ولذلك اصوله وأسبابه ، ومنه ان الناس لا تلوك ألسنتهم هذه الفصيحة ، فهي غريبة عنهم * وقد استبدلوا بالفصيحة لغة أخرى أو قل لغات ، وهي ألسنة عامية دارجة .

ولعلني ابتعد عن الصواب اذا استعملنا كلمة « استبدلوا » ذلك ان الفصيحة لم تكن دائرة على ألسنتهم قبل ظهور اللغات الدارجة ، أو ان هذه قد تغلبت على الفصيحة فهزمتها * فقد درج الناس على لغات محلية أو قل لهجات تبعد عن الفصح كثيرا ، وان نسبة ابتعادها تختلف من لهجة الى أخرى * وان الناس يتعلمون الفصيحة كما يتعلمون أية لغة غريبة أخرى ، وتعلم هذه ضرورة تستدعيها أمور كثيرة معروفة .

وقد كان من رسوخ الدارجة العامية عند الناس وابتعادهم عن الفصيحة انهم صاروا اذا ألقوا على ألسنتهم وجاروا عليها فتكلموا في الفصح ، اسمعوا من هذا الفصح شيئا فيه كثير من النبرات الصوتية Accents Phonétique التي لا توجد الا في الدارج من اللهجات ، بحيث بات من السهل على العارف بالاصوات والقوانين الصوتية أن يميز بين المتكلمين عندنا في العراق كأن يرد أحدهم للموصل ، والآخر للبصرة ، وآخر لبغوبة من لواء ديالى مثلا .

ويظهر ذلك في كلامهم اذا استعملوا اللغة الفصيحة ، ذلك ان الفصح لم يكن سلساً على ألسنتهم ولم يتهيا له الجهاز الصوتي عندهم ، ومن أجل هذا فقد أقيمت فيه الدارجة كثيرا من الآثار والميزات اللغوية .

ولقد هزلت العربية ، وضاعت بأهلها ، فى بعض الاقاليم من دنيا العرب ، فى أيامنا هذه • وقد بدأ ضيق هذه اللغة فى مطلع هذا العصر ، حين طلعت علينا المدينة الحديثة بعلومها وأفانيتها ، وصرنا لا نجد فى لغتنا ما يقابل المصطلحات الفنية مثلا عند الغربيين • ومن اجل هذا ، صار كل مختص يتخذ له مصطلحات يعمل على أن تشيع بين الناس ، وهى بذلك اما أن يكتب لها البقاء ، واما أن تفنى ، والبقاء والفناء راجع للمصطلحات نفسها •

والجدير بهؤلاء أن يفيدوا من الوسائل التى أفادت العربية منها كالنحت والتركيب كما فى قولهم « البرمائيات » و « الحين » و « لاسلكى » و « لادينى » مثلا • وقدima استفادت العربية من هذه الوسيلة فكلمة « رأس مال » التى استحالت فى الرسم الى « رأسمال » حين اقتضت الضرورة العلمية ، وحين شاعت الكلمة لحاجة العلم اليها ، اقول ان هذه الكلمة من ألفاظ القرآن الكريم وقد جاءت بلفظ الجمع « رؤس أموال » كما فى الآية « وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون »^(١) •

والتركيب والنحت من المسائل الشائعة فى العربية فى سائر عصورها وقد أفادت العربية منه كثيرا • والمتصدى كثيرا لموضوع الاصطلاح يلزمه معرفة العربية وصيغها واشتقاقها ليفيد منها فى هذا الميدان^(٢) •

وقد قرأت للكاتب كمال يوسف الحاج رسالة فى « القومية والانسانية » فخشيت على العربية من أسلوبه الذى يعمل على اشاعته بين الناس قصداً منه فى ذلك ، وارضاء لفكرة طائشة ضالة مضلة ، خدمة لمبدأ معين هو ضد القومية العربية • والعربية عنده لغة هزيلة تتعثر فى تيهاء مضلة بين المولد الجديد التافه وبين المصطلح العلمى الفنى الذى لا يقوم على أساس •

ولقد وددت أن اسجل للقارىء شيئا من هذه الاستعمالات تنبئها له

(١) البقرة ، ٢٧٩ •

(٢) محاضرة للدكتور مصطفى جواد فى مؤتمر الجامعات العربية لسنة ١٩٥٧ عنوانها « وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها •

وخدمة للعربية ورعاية لما يقتضيه البحث العلمى فى اللغة • وربما كان فى هذا التسجيل مثاراً للضحك على هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون •

يستعمل « الكاتب » « المترجمين » على طريقة النحت لمن ينسبهم « للبرج العاجى » • ويحلوه أن يشتق من « الشخصية »^(٣) وهى اصطلاح فلسفى مقابل لـ Personalisme فعلا هو « تشخص » •

ويدخل فى هذا الباب قوله « يتجمعن » الذى يدخل فى المجتمع أو يلتزم بالفلسفة الاجتماعية •

وهو يعرب الكلمة الافرنجية الفلسفية "Phénoménologie" بالمظهرية والكلمة من اصل اغريقى "Phainomenon" وتعنى الظاهرة ، وهذا ما حدا بكاتب لبنانى آخر أن يقلها الى « الظاهرانية » • وأنا أرى ان الحفاظ على الكلمة الافرنجية وذلك بصقلها وصيرورتها بوزن لا تأباه العربية ، ولنا فى الفسلجة أو قل حتى « السكلجة » تجربة وفائدة •

وقد قرأت مقالة اخرى للسيد الحاج^(٤) ، والمقالة من هذا النوع الذى لا يحمل الا على العبث والجهل بالاصول ، وهى بعد هذا مثيرة للضحك والاشفاق • وعنوان المقالة « سعادة الفيلسوف » ويريد بذلك « انطون سعادة » •

يقول الكاتب ما نصه :

ان امة لا تفلسف هى امة تتقزم ، هى امة تتصلك ، لا يقبلها التاريخ الاكبر فى قدس اقداسه ، انها امة مدعوسة
ثم يقول :

سعادة ما جاء يتيسس^(٥) افقيا لقد كان كبيرا وكبرا فى سياسته ، لقد

(٣) عرب غيره هذا المصطلح الاوربى بقوله « الشخصانية » وهو نوع من أنواع العبث والجهل •

(٤) مجلة المجلة اللبنانية ، العدد الثانى آذار ١٩٥٨ •

(٥) اشتق الفعل « تيسس » من المصدر « سياسة » ولا أدري ما معنى افقيا أو عاموديا •

تأسيس عاموديسا • مثله كمثل النسر الذى يحلق فى الجو الفسيح ، النسر
لا يتأرض^(٦)

ثم يقول :

كان يغير من فوق ، بل من فوق فوق^(٧) على مساحب الزمان
ومرابط المكان •

ثم يقول :

يومها تأسنت^(٨) قوميتنا •

ويقول :

الجو يمتظهر وجودات الانسانية التى تتجسد قوميات
ثم يقول : الحب يجب أن يتبدن^(٩)

ثم يقول :

الحرية اللاوجه هي التى تسنسن كيفماكانيا^(١٠)

ثم يقول :

القوة هي من جوانيات^(١١) النفس البشرية
ولا حاجة بى أن اعلق كثيرا على هذه اللغة الكسيحة المتعثرة ، وربما
كان فى نفس كاتبها قصد أن ينزل بالعربية الى هذا الدرك •
وليس الكاتب « الحاج » وحده فى هذه السبيل ، فهناك زمرة تدين
بهذا المذهب ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر لبناني آخر يقول الشعر

(٦) اشتق الفعل « بتأرض » من الاسم « أرض » •

(٧) من فوق فوق استعمال عامى تافه •

(٨) اشتق الفعل « تأسنت » من الاسم « إنسان » •

(٩) اشتق الفعل « تبدن » من الاسم « بدن » •

(١٠) استعمال الفعل « تسنسن » ولا أدري من اين جاء بها ثم ركب
قولهم : « كيف ما كان » وصاغ منها كلمة واحدة ثم نصبها على الحال •

(١١) يريد بالجوانيات ، « الداخلية » وهو يستعمل فى مكان آخر
المجتمع البرائى والمجتمع الجوانى للخارجى والداخلى وهى ألفاظ عامية
دارجة •

اسمه يوسف الخال وهذا يستعمل الدارج فى قصائد له •
جاء فى قصيدة أسماها « العودة » (١٢) :

عدا يعود سيدى
شراعه كغيمة بيضاء عند الشق
أعرفه متى يلوح ، كيف لا ؟
خيوطه أنا الغزلتها اصابعى

• • • • •
• • • • •

يعود يا هلا !

من المجاهل الوراء قبرص الحبيبة
فقد استعمل « الغزلتها » بادخال « أل » الموصولة على الفعل ولا أظنه
استعمل الفصحى المعروف (١٣) أو ان الفصحى كان حاضرا فى ذهنه وانما
نقل العامية الدارجة ، وذلك لانه استعمل كلمة « اللي » العامية التى تقابل
« الذى » فى نقده لديوان « من الشعر الشعبى » فقال : « الجيل اللي خرج
من الحرب الاخيرة انفتح على تيارات شعرية جيدة » •

(٢) مكانة الجديد فى اللغة

إذا قلت للقارئ الكريم : ان اللغة مادة تظهر المجتمع الانسانى على
حقيقته ، وهى وثيقة الصلة بالانسان وبيئته ، فما أتيت بجديد ، ذلك ان
هذا الموضوع قد بحثه ذوو الاختصاص من العلماء فى عصورنا الحديثة
فكتبوا فيه ، بله القدامى • وقد استعان على هذا الموضوع غير المعنيين بعلوم
اللغات ، فقد قال فيه أهل الاجتماع وأهل الفلسفة • وللموضوع جوانب
كثيرة ، وأبواب متعددة • فاللغة أساس كل أنواع النشاط الثقافى ، وهى

(١٢) مجلة « شعر » فى العدد الرابع أيلول لسنة ١٩٥٧ •
(١٣) خباء فى الاستعمالات القديمة « ما انت بالحكم الترضى
حكومته » •

بذلك خير دليل يهتدى به الباحث الى معالم أى من المجتمعات الحديثة^(١٤) .
ونستطيع أن تبيين هذا فى لغتنا العربية ، ذلك اننا نفيد من هذه العربية
شيئا كثيرا مما يتميز به المجتمع العربى فى حقبة من أحقابه ، اذ ليس لمن
يريد أن يبحث فى المجتمع الاسلامى ، فى القرن الاول الهجرى وتبين
المستوى الفكرى فيه ، الا أن يعرف معانى المصطلحات التى جاء بها الاسلام ،
والتي استطاعت العربية أن تكون لها معبرا صحيحا^(١٥) .

ولعل ما بقى لدينا من الادب الجاهلى مما يطمئن الباحث الى صحته
وضبطه ، لدليل يهتدى به لمعرفة المجتمع الجاهلى فى العادات والتقاليد
وطرائق التفكير .

فاللغة لا تقتصر على كونها وسيلة من وسائل الثقافة ، وانما هى أساس
كل نشاط ثقافى . « ففى كل مجتمع ، مهما كانت طبيعته وسعته ، تلعب اللغة
دورا ذا أهمية أساسية ، اذ هى أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع وهى
فى الوقت نفسه رمز الى حياتهم المشتركة وضمن لها .
فما الاداة التى يمكن أن تكون أكثر كفاية من اللغة فى تأكيد خصائص
الجماعة ؟ فهى فى مرونتها ويسرها وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعانى تصلح
لاستعمالات مختلفة متشعبة وتقف موقف الرابطة التى توحد أعضاء
الجماعة ، فتكون العلاقة التى بها يعرفون ، والنسب الذى اليه
يتسبون »^(١٦) .

وليست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه ، وانما هى عامل
مهم للترابط بين جيل وجيل .
واللغة من صنع الناس أنفسهم يضعون مقاييسها فتجرى عليها ألسنتهم ،
ثم ان هذه المقاييس ليست شيئا ثابتا لا يقبل التبدل والتغير . ذلك ان المجتمع
الانسانى متغير متطور أبدا .

(١٤) Block and Tauger, Outline of Linguistic Analysis, P. 5.

(١٥) الرازى ، كتاب الزينة ، وهو من الكتب التى تبحث فى

الالفاظ التى جدت فى العربية بمجى الاسلام .
J. Vendryes, Language, P. 240. (١٦)

بيد ان الذين أقاموا أنفسهم حماة للعربية فى جميع أطوارها لم يفهموا سنة التطور ولم يقبلوا الجديد . فاللغويون والنحويون من العرب يحصرون الفصحى من اللغة بصورة معينة لا تتعدى صدر الاسلام ، وهذه الحقيقة هى ما يصح أن يحتج بكلامها ، فلم يجيزوا الاحتجاج بلغة الفرزدق الشاعر . ومن أجل هذا وقع للفرزدق مع عبدالله بن ابى اسحق الحضرمى النحوى ما وقع ، فقد جاء فى قصيدة للفرزدق :

وعض زمانا يابن مروان لم يدع من المال الا مستحاً أو مجلف
وكأن النحوى لم يرتض هذا البيت ورأى فيه خروجاً على القاعدة
النحوية ، فقال للفرزدق : « على أى شئ ترفع أو مجلف ؟ فقال الفرزدق :
على ما يسوؤك وينوؤك » (١٧) . وفى مكان آخر عقب الفرزدق على قوله
السالف بقوله : علينا أن نقول وعليكم أن تأولوا .

وليس الحضرمى بدعاً بين اللغويين النحاة عند العرب ، فقد ذكر أبو
حاتم السجستاني : سألت الأصمى : أتقول فى التهديد (أبرق وارعد)
قال : لا ، لست أقول ذلك الا انى أرى البرق واسمع الرعد . قلت : قال
الشاعر الكميث :

ابرق وارعد يا يزيد فما وعيدك لى بضائر
قال الكميث جرمقانى من أهل الموصل ليس بحجة ، ولكن الحجة
هو الذى يقول

إذا جلوزت عن ذات عرق ثنية فقل لابی قابوس ما شئت فارعد
وهو شاعر جاهلى وشاعرك هذا متأخر لا يؤخذ بقوله . قال أبو حاتم :
فأيت أبا زيد الانصارى وقلت له : كيف تقول من البرق والرعد : فعلت
السماء ؟ قال : « رعدت وبرقت » . قلت فمن التهديد ؟ قال : « رعد وبرق ،
وارعد وابرق » فأجاز اللغتين . ثم سألت اعرابياً فصيحاً فأجاز اللغتين ايضا
ولم يجز الأصمى الا لغة واحدة (١٨) .

(١٧) ابن الانبارى ، نزهة الالباء ص ٢٤ .

(١٨) القالى ، الامالى ٩/١ .

وكان الاصمعي ينكر كلمة « زوجة » ويقول « زوج » ويحتج بقوله تعالى : « امسك عليك زوجك » ف قيل ان الشاعر ذو الرمة يقول :

أدو زوجة بالمصر أم ذو خصومة أراك لها في البصرة اليوم ناويا
فقال ذو الرمة ليس بحجة ، اذ طالما أكل البقل والمالح في حوانيت
البقالين . وفي نوادر أبي زيد : كان الاصمعي ينكر « هي زوجتي » (١٩) .

ويقول ابن جني : كان الاصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس وانه
معروف بقله انبعائه في النظر وتوفره على ما يرى ويحفظ (٢٠) . وابن جني
من علماء القرن الرابع الهجري وهو العصر الذي لم يمنع ما قيس على كلام
العرب أن يكون من كلام العرب (٢١) .

ومن أجل هذا فكتب اللغة والمعجمات المطولات يجب أن تكون سجلا
للاستعمالات اللغوية . واذا أريد منها أن تتحكم في الاستعمال لم تصبح
وصفا للاستعمال الفعلي للغة ، وانما أصبحت معايير يقاس بها « خير
استعمالات الكلمات » (٢٢) .

ولم يكن لغويو العرب بدعا في هذا الميدان ، فقد وقع النحاة الرومان
في مثل هذه الغلطة حين جمعوا استعمالات اللغة بين عصور شيشرون
واغسطس ، وما قبل ذلك كعهد بلاوطوس وترنسي ، وما بعد ذلك كعهد
سكنا الامبراطوري (٢٣) .

وقد فعل مثل هذا نحاة الاغريق الذين بنوا نحوهم على اللهجة
الاتيكية (٢٤) . والنحو عند هؤلاء جميعا قواعد تبنى على أساسها الجمل .

(١٩) السيوطي ، المزهري ٢١٤/١ .

(٢٠) ابن جنى الخصائص ٣٦٦/١ .

(٢١) المصدر السابق ص ٣٦٢ .

(٢٢) Jespersen, Language, its N., D. and O., P. 25.

(٢٣) Sturtevant, P. 53.

(٢٤) المصدر السابق .

وليس شيئاً من هذا عند علماء اللغة فى العصر الحديث • فهو : علم يصف طرق الاستعمال اللغوى فى مرحلة خاصة من مراحل تاريخ اللغة المدروسة (٢٥) •

وما دمنآ آخذين بهذه النظرة الواسعة ، وما دمنآ كذلك نعطى الاستعمال قيمته ومكانته فى اللغة فلا بد أن نقيّد الجديد فى اللغة بعصره وظرفه غير مبالين بكونه خارجاً عما ألف الناس من الفصحح المشهور • ودونك مثلاً على ما أقول :

من يتبع الاحاديث والتعليقات التى تذيعها دار الاذاعة ، وله بصر باللغة والاستعمالات يعجب من شئ جديد التزمته لغة التعليقات على لسان أحد مذيعيها • وهذا الشئ هو كثرة استعمال المصدر مجموعاً جمع مؤنث سالماً ، فقد ورد فيها ما يأتى :

- (١) النجاحات •
- (٢) النشاطات •
- (٣) النضالات •
- (٤) التمرّدات •
- (٥) العصيانات •

وشئ غير هذا • وليس جمع المصدر بالمألوف كثيراً فى العربية • ذلك أن ما جمع من المصادر فى العربية هو الحدث من حيث كونه اصطلاحاً نحوياً ولكنه انتقل من صورة الحدث الى صورة الجمود فاستحال الى اسم بعيد عن الحداثة ، والاستعمال مرد هذا التوسع اللغوى • فالتعليقات جمع تعليق والتعليق ليس الحدث وانما هو المادة المكتوبة المعروفة التى علق بها على شئ آخر • ومثل هذا : الترتيبات والاستقلالات والاصطدامات وغير هذا • وبديهي أن الاصطدامات لا تعطى فكرة الحدث بقدر ما تعطى صورة الاصطدام بين طرفين متنازعين •

(٢٥)

J. Marouzeau, Lexique de la terminologie Linguistique P. 102.

ويؤيد هذا قوله تعالى : « الخيرات » فقد وردت في عشر آيات وهي جمع خير وكلمة « خير » في العربية اسم تفضيل توسع فيها فأفادت المصدرية واستعملت استعمال المصدر ، أما استعمالها في القرآن في الآيات العشر فلا يفيد المصدرية إذ هي مجموعة على « خيرات » والخيرات معروفة المعنى وليست بالحدث مطلقا ، وإنما تنصرف الى النواحي المادية من فعل الخير . كما في قوله تعالى « فاستبقوا الخيرات » (٢٦) .

أما المجموع التي وردت على لسان المذيع في تعليقاته السياسية فهي جديدة ، ومن حق جدتها أن تسجل لأنها تضيف استعمالا جديدا . ومصدر طرافها وجدتها أنها تولدت عن طريق الترجمة غالبا ، فهي مقابل للكلمات الأجنبية استعملت كثيرا في لغاتها وشاعت في لغات أخرى عن هذا الطريق . وهذه في لغاتها التي انتقلت منها لم تكن تفيد الحدث بل هي أسماء . فالنضالات (Lutts) لا تفيد الحدث بل هي اسم . أما الحدث فهو (Lutter) .

ومصدر جدتها أيضا ، أنها لم تكن قد استقرت في الاستعمال أو أنها انتقلت من كونها أحداثا الى أنها أسماء بحيث تعامل معاملة الاصطدامات والتعليقات وما أشبه ذلك .

ولا اريد هنا أن اسجل مخالفة في الاستعمال اللغوي جريا على تخطئة ما لم يشهر من الفصح المعروف ، بل اريد أن اسجل تاريخ هذه الاستعمالات وكيف اضيفت الى العربية .

ولا يفوتني أن اذكر اني سمعت على لسان أحد شهود « محكمة الشعب » انه استعمل « تعاونات » وهذا يدخل في هذا الباب ايضا .

(٣) هجرة الالفاظ

لعلك تدهش ان عرفت ان الالفاظ تنتقل انتقال الناس في اطراف هذه الدنيا ، ذلك انك لم تألف عنوانا كهذا العنوان الذي نشبه اليوم . فقد عرفت

ان الهجرة من خواص الناس ، وان الهجرة ايضا من عادات الطيور ، وأنا أقول لك اليوم ان الالفاظ تهاجر وتعود الى أوطانها • واللغة شأنها شأن فروع المعرفة الاخرى تتقل بين الناس ، فليست المعرفة ملك أحد دون آخر ، وليس من أمة امتلكت ناصية العلم ولم يشركها في الامر أمة اخرى ، ذلك ان التراث الانساني محصول طائفة كبيرة من الامم ، على ان هذه غير متساوية في الحظوظ ، وفيما أمدت العلم بانجازها •

واللغات متداخلة بعضها ، ولعل من دلالة الحيوية في اللغات انها تتقبل من غيرها من اللغات كلما جدت الحاجة الى هذا • ولقد حدث ان دخل في العربية مادة غربية وافرة من اصول عدة فيها الاغريقي واللاتيني والفارسي بله المواد ذات الاصول السامية التي لا نحسبها من الدخيل ، ذلك ان أسرة هذه اللغات جميعها ، مشتركة في الذي تشتمل عليه من أصول •

والذي نعلمه ان العربية أمدت اللغات الاخرى بمواد كثيرة في مختلف العصور ، وليس أمر الدخيل العربي في الفارسية والتركية بعسير ، على ان لغات اخرى قد أخذت من العربية في ظروف متأخرة مواد كثيرة ، ومن هذه ما شاع منها في اللغات الاوربية الحديثة ، ولعل تاريخ هذه الظاهرة اللغوية يرجع الى أزمنة الحروب الصليبية وما بعدها ، ولعل شيئا من هذا قد حدث قبل هذا التاريخ ايضا • ويستطيع الباحث أن يحصى مواد عربية في كثير من اللغات الاوربية الحديثة أخذتها هذه اللغات عن العربية مباشرة ، دون أن يكون هناك حلقة مفقودة أو وسيطا آخر لاثينيا أو اغريقيا •

والذي جرى في هذه اللغات الاوربية في هذه العصور ، حدث مثله في العربية فقد أخذت العربية كلمات افرنجية واستعملتها كثيرا وأجرت عليها قواعد العربية من تنية وجمع وربما أخضعتها لقواعد الاشتقاق حتى أحالتها وكأنها عربية بالاصالة •

فقد جاء في احدى معاهدات صلاح الدين الايوبى مع الافرنج سنة ٥٨٧هـ استعماله كلمة (Terme) وتعنى هذه الكلمة « الحد والاجل » ،

والامد ، والقسط » ، وقد جاءت على « تروم » أى الجمع فقد جمعت كما يجمع « فعل » مفتوح الفاء ساكن العين على فعول (٢٧) . وما زالت الكلمة مستعملة عند عرب فلسطين فى هذه الايام ، وهى تعنى عندهم الموسم . ولا نريد فى هذا المختصر أن نأتى على هذه المواد ، ذلك اننا سقنا هذه على سبيل المثال لنخلص منها الى شىء آخر ، هو ان الالفاظ تجاوز اوطانها ثم تعود ، وهى لا تسلم فى هذه الحركة الطويلة من تغيير فى المعنى والاستعمال والشكل ، ومثل هذا حدث فى ألفاظ عربية استعملتها الفارسية فى غير معانيها ، وقد لبست فى الفارسية ثوبا جديدا ، فكلمة « تماشى » لا تدل على مطلق المشى وانما تستفيد فى الفارسية خصوصية فى المعنى نجدها فى الكلمة الدارجة عند قسم من العراقيين باستعمالهم « يتطمش » والتطمش والطماشاة لا يدلان على المشى المعروف .

وقد استخدمت الفارسية كلمة (التهور) العربية ولكنها استفادت شيئا آخر لا نجده فى العربية ، وهو اشجاعة ، ومعلوم ان الشجاعة غير التهور فى العربية .

وقد أخذ الاوربيون كلمات عربية ، وشاعت فى لغاتهم وما زالت مستعملة حتى يومنا هذا ولكنهم أطلقوها على دلالات غريبة بعيدة عن معناها فى العربية .

ومن هذه الكلمات كلمة (الكحول) فقد دخلت اللغات الاوربية بواسطة اللغة الاسبانية ، ولكنها استعملت للدلالة على المواد الروحية (Spirits) ، ثم عادت الى الشرق مستعملة فى لغة العلم الحديثة ، واستعملها العرب الاستعمال الاوربى نفسه ، ولم يفتن هؤلاء الى ان الكلمة جاءت من أصل عربى وهو « الكحل » والكحل ما تكحل به العين ، وهو معروف ولم يشتهر جمعه فى العربية . واحسب ان صيغة الجمع جاءت من اشباع ضمة الحاء فى المفرد (كُحُل) ، أما لزوم الالف واللام فى الكلمة فلا تفيد

(٢٧) انظر الدكتور مصطفى جواد ، المباحث اللغوية فى العراق

• ١١٨

تعريفًا واحسبها كالألف واللام في « الحسين » و « العباس » وسبب الألف واللام راجع الى ان الكلمات العربية التي انتقلت الى اللغات الاوربية عن طريق اللغة الاسبانية صدرت بهذه الاداة بصورة عامة ، وانت اذا استقرت الاصول العربية في اللغات الاسبانية وجدتها محلاة بالاداة كالقنطرة والحمراء وغير هذا •

وقد أخذت اللغات الاوربية كلمة « الجوسق » وتعني البيت ، والجوسق في العربية معرب فارسي^(٢٨) وفي اللغات الاوربية بلفظ (Kiosque) البيت الصغير كالذي يتخذ لبيع الصحف ، ثم وردتنا هذه الكلمة مع الالفاظ الاوربية الدخيلة بلفظ « كشك » ، وصارت مستعملة في العربية الحديثة ، وقد شاعت قبل هذه السنين في أقاليم محدودة من أقطار العربية كمصر ولبنان ثم عم استعمالها •

ولعل كلمة « الجبل » في العربية والتي يبدو ان لها في اللاتينية نظير هو (Capsulum) والتي وردت في اللغات الاوربية كالفرنسية والانكليزية بلفظ (Cable ' Câble) وتعني الجبل والسلك جاءت في العربية الحديثة في الالفاظ التي استخدمها المعين بالبرق في كلمة (قابلو) ولم يفتن المستعملون الى أصلها وانها قريبة من « جبل » •

ومثل هذا حدث لكلمات كثيرة ، فالادميرال والاميرال وغيرهما من كلام العرب الذي أخذه الاوربيون ثم جاء بصيغته التي ذكرناها •

ولقد أخذ الترك والفرس مصادر عربية مختومة بالتاء ، واستعملت اعلاما مذكورة كالخشمة والزهره والشوكة والهداية والعناية وغير هذا ، ثم صارت تلفظ على طريقتهن بالتاء الساكنة فيقولون شوكت وحشمت وبهجت^(٢٩) ثم عاد العرب يستعملون هذه الاعلام الاعجمية ذات الاصول العربية على

(٢٨) انظر الجواليقي ، المعرب ، والالفاظ الفارسية المعربة لأدي شير
(٢٩) لما كانت التاء في هذه الاعلام محققة وهي تلفظ دائما فليس لنا الا ان نرسمها تاء طويلة خلافا لما جرى عليه الناس في الازمنة المتأخرة من رسمها بالتاء المربوطة •

طريقة هؤلاء الاعاجم دون الالتفات الى أصلها المصدري العربى ، ذلك ان
التاء فى هذه الاعلام محققة واضحة اذ ليست كطاء بهجة وعفة التى تستحيل
عند الوقف هاء •

والاستقراء العام الشامل لكلمات العربية خير وسيلة للوقوف على هذا
النوع من الدخيل الذى يظهر حركة الالفاظ وانتقالها عبر القرون بين
مختلف الامم • ولعل هذا المختصر الذى نبدؤه اليوم يعين على رسم شئ
يسير فى تاريخ العربية ، وهو من غير شك بداية يلزمها الاكمال والتثبيت •

العربية بين الجمود والتطور والتوليد

ان اللغة وثيقة الصلة بالانسان وبيئته ، فهي تظهر المجتمع الانساني على حقيقته . وقد بحث موضوع اللغة العلماء المختصون فى العصور الحديثة ، كما بحثه الاقدمون فكتبوا فيه على طريقتهم ، على ان نفرا غير قليل من غير ذوى الاختصاص فى اللغة قد مروا بالموضوع نفسه فى خلال دراساتهم ، ومن هؤلاء ، ذوو علم الاجتماع ، والمهتمون بعلم النفس ، والقائلون بالفلسفة . وللموضوع جوانب كثيرة وأبواب متعددة ، فاللغة أساس كل أنواع النشاط الثقافى ، « وهى بذلك خير دليل يهتدى به الباحث الى معالم أن من المجتمعات الحديثة »^(١) . ففى كل مجتمع مهما كانت طبيعته وسعته ، تشغل اللغة مكانا ذا أهمية أساسية ، اذ هى أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع ، وهى فى الوقت نفسه رمز الى حياتهم المشتركة وضمان لها .

فما الاداة التى يمكن أن تكون أكثر كفاية من اللغة فى تأكيد خصائص الجماعة ؟ فهى فى مراتبها ، ويسرها ، وامتلأها بالظلال الدقيقة للمعانى تصلح لاستعمالات متشعبة وتقف موقف الرابطة التى توحد أعضاء الجماعة ، فتكون العلامة التى بها يعرفون والنسب الذى اليه ينتسبون^(٢) .

ولست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه ، وانما هى عامل مهم للترابط بين جيل وجيل ، وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتى الا بهذه الوسيلة العجيبة . ومن أجل هذا كان من السهل على الباحثين أن يكتبوا تاريخا واضحا لكثير من اللغات الحديثة ، بادئين بأقدم صورة للغة ، متعقبين التطور التاريخى لها ، ولذلك استطعنا أن نقف اليوم على البحوث القيمة فى هذا الموضوع .

Block and Tauger. Outline of Linguistic Analysis P. 5. (١)

J. Vendryes, Language P. 240. (٢)

غير أن لغتنا العربية تفتقر الى الحلقات الاولى من تاريخها ، اذ ليس لدينا نصوص وافية تشير الى تلك المراحل التاريخية • ان الشعر الجاهلي ، أو قل الادب الجاهلي عامة لا يمكن اعتباره مادة اولى تمثل طفولة العربية ، فهي لا تختلف كثيرا عن اللغة فى العصور الاسلامية ، ونحن نفترض أن يكون فى اللغة العربية نصوص قد ضاعت أو اننا لم نعثر عليها ، ولم يحدث للغة العربية ما حدث للغات السامية الاخرى ، فالتنقيب العلمى الحديث دل على مواد كثيرة فى اللغات الاكدية والآشورية والعبرية والآرامية والحبشية أفادت البحث اللغوى كثيرا ، ودلت على امكان القيام بوضع تاريخ محكم للحلقات فى هذه اللغات •

أما البحث التنقيبي الذى قام به العلماء الاوربيون وغير الاوربيين ، فى أنحاء معينة فى شبه الجزيرة وفى اليمن ، واهتدأؤهم الى حل الرموز كما فى المعينية^(٣) والسبئية^(٤) والنقوش الليحانية^(٥) والشمودية^(٦) ، فلا يمكن اعتباره مشيرا الى الحلقات الاولى المفقودة فى العربية ، والتي سبقت الادب الجاهلي ، وذلك أن بينها وبين النصوص الجاهلية فرقا عظيما ، فهذه المواد اللغوية التى دلت عليها النقوش المكتشفة تؤلف لهجات أو لغات سامية تقرب من العربية المعروفة •

على ان علماء العربية لم يتقيدوا بالاستعمال وتطور هذا الاستعمال فى اللغة ، فقد رسموا لانفسهم صورة للغة لا يحدون عنها ، وحملوا بذلك ما خالف هذا المرسوم المتفق عليه على الخطأ واللحن ومجاوزة الصحيح • وقصة ابن أبى اسحق الحضرمى النحوى مع الفرزدق الشاعر دليل على هذا فقد قال الفرزدق فى قصيدة له :

(٣) خليل يحيى نامى ، نقوش خربة معين القاهرة ١٩٥٣ •
(٤) اغناطيوس كويدي ، المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة •

(٥) Werner Caskel, Lihyan Und Lihyanish.

(٦) Jaussen et Savignoe, Mission archéologique en Arabie.

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مستحاً أو مجلف

فقال النحوي : على أى شىء ترفع « مجلف » ، فقال الفرزدق : على ما يسوؤك وينوؤك^(٧) . وليس الحضرمي بدعا بين اللغويين ، فقد ذكر أبو حاتم السجستاني : سألت الاصمعي : أتقول فى التهديد (ابرق وأرعد) قال : لا ، لست أقول ذلك الا انى أرى البرق واسمع الرعد ، قلت قال الشاعر الكميت :

أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لى بضائر

قال : الكميت جرمقانى من أهل الموصل ليس بحجة ، ولكن الحجة هو الذى يقول :

إذا جاوزت من ذات عرق ثنية فقل لابی قابوس ما شئت فارده

وهو شاعر جاهلى ، وشاعرك هذا متأخر لا يؤخذ بقوله . قال أبو حاتم : فأتيت أبا زيد الانصارى ، وقلت له : كيف تقول من البرق والرعد : فعلت السماء ؟ قال : رعدت وبرقت ، قلت فمن التهديد ؟ قال : رعد وبرق ، وأرعد وأبرق ، فأجاز اللغتين ، ثم سألت اعرابيا فصيحاً فأجاز اللغتين ولم يجز الاصمعي الا لغة واحدة^(٨) .

وكان الاصمعي ينكر كلمة « زوجة » ويقول « زوج » ويحتج بقوله تعالى « أمسك عليك زوجك »^(٩) ، فقل ، له : ان الشاعر ذو الرمة يقول :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة أراك لها فى البصرة اليوم ثاوي

فقال ذو الرمة ليس بحجة ، اذ طالما أكل البقل والمالح فى حوانيت البقالين^(١٠) .

وقد عرف عن الاصمعي هذا التشدد والحرص فهو يأبى كلمة خالفت

(٧) ابن الانبارى ، نزهة الالباء ٢٤ .

(٨) أبو على القالى ، الامالى ٩/١ .

(٩) سورة الاحزاب ٣٣ .

(١٠) السيوطى المزهر ١٤/١ .

لغة التنزيل ، وهو من أجل هذا لم يرض لنفسه أن يبحث في لغة التنزيل على نحو ما فعل أبو عبيدة في « مجازة » وابن قتيبة في « تأويل مشكل القرآن » مثلاً . ويقول ابن جني : كان الأصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس وإنه معروف بقله انبعائه في النظر ، وتوفره على ما يرى ويحفظ^(١١) . وابن جني من علماء القرن الرابع الهجري وهو العصر الذي لم يمنع ما قيس على كلام العرب أن يكون من كلام العرب^(١٢) .

ومن علوم اللغة في العصور الحديثة « علم معاني الاسماء » أو « علم الدلالة » ويراد به دلالة اللفظ ونشأته واستعماله ، ومجال هذا الاستعمال ، وتطور الدلالة بتطور الزمن ، وأسباب هذا التطور وعوامله ، وأول من قام بدراسة تعرض لهذا الموضوع هو الفرنسي Michel Bréal وسمى دراسته Essai de Sémantique سنة ١٨٩٧ ، وخلص في بحثه الى قواعد عامة في الدلالة وتطور المعنى معتمدا على اللغات القديمة التي تسمى الى أسرة واحدة كال يونانية واللاتينية والسنسكريتية . وفي سنة ١٩٣٢ كتب العالمان I. A. Richards, G. K. Ogden كتابهما The Meaning of meaning وقد عرضا فيه لمسألة الدلالة عرضا شاملا معتمدين على علم الاجتماع والنظم الاجتماعية وفي ضوء مباحث علم النفس الحديث كمسائل العاطفة والانفعال والشعور .

وقد غزا هذا الموضوع أصناف عدة من ذوى الاختصاص في السنين الأخيرة ، فيهم عالم الطبيعة ورجال القانون وأصحاب علم النفس ورجال الفلسفة ، وقديما كانت اللغة بابا من أبواب الفلسفة ، ومن أجل هذا عرض الفلاسفة الاغريق لموضوع اللغة على انها شيء من المنطق . ولم يتيسر بعد في العربية شيء من بحث الدلالة على الطريقة المتبعة في البحوث الحديثة .

ولم يعتمد الاقدمون الا على الرواية ، وحدث أن كان بين الرواة نفر

(١١) ابن جني ، الخصائص ١/ ٣٦٦ .

(١٢) المصدر السابق ٣٦٢ .

لم يحجم الاصطناع والتزيد ، ولو عرفنا ان حديث رسول الله (ص) لم يسلم من الدس والتزوير ، لم تنكر أن يكون بين نقلة الاخبار الادبية واللغوية من لا يطمأن الى قوله ، ومن هو فاسد الذمة يصطنعها اصطناعا ، غير أن الحديث قد نزه عن كثير من التزيد والزيف ، وطريقتهم فى ذلك اتباع علوم الحديث المعروفة ، واخضاع الحديث للجرح والتعديل كما يقولون ، وليس شئ من هذا كان قد اتبع فى تحرى العربية ، وان كان السيوطى قد ذهب الى أن : « علم الحديث واللغة اخوان يجريان من واد واحد » (١٣) .

ولكن علوم القرآن فرضت على المسلمين أن يعمدوا الى كتاب الله فيفسروه ويتعقبوا ألفاظه ، وكانت الحاجة الى معرفة لغة القرآن وغيره سببا فى خوضهم فى بحوث لغوية عن المعنى والدلالة . وأبو عمرو بن العلاء أحد علماء العربية الاولين كان يعتبر لغة القرآن ودراسة معاني ألفاظ القرآن هدفا لكل مسلم . ومن أجل ذلك استعانوا بالشعر فى شرح وتفسير لغة القرآن ، ومن هؤلاء أبو عبيدة معمر بن المثنى فى « مجاز القرآن » (١٤) ، وقد اعتمد على هذا الكتاب ابن قتيبة فى كتابه « المشكل » و « الغريب » ، وظل « مجاز ابى عبيدة » مادة لكثير ممن كتبوا فى الموضوع (١٥) . وقد انتهى البحث فى لغة القرآن الى القول بأن فيها كلمات « أعجمية الاصول عربية الالفاظ » الى هذا ذهب أبو عبيدة القاسم بن سلام الأزدى المتوفى (سنة ٢٢٤ هـ) ، غير ان أبا عبيدة ذهب غير هذا المذهب وقال : « اللفظ يوافق اللفظ ويقاربه ومعناها واحد » (١٦) . وقد تبعه على هذا المذهب الطبرى فى « تفسيره » (١٧) ، والثعالبى فى « فقه اللغة » (١٨) ، وعند هؤلاء ان ما جاء من أشكال يخيّل الى الناظر اليها انها أعجمية هو من باب توافق

(١٣) السيوطى ، المزهرة ٣١٢/٢ .

(١٤) أبو عبيدة ، مجاز القرآن .

(١٥) أبو عبيدة ، انظر مقدمة المحقق ١٧/١ .

(١٦) المصدر السابق ١٧/١ .

(١٧) الطبرى ، التفسير ٦/٦ .

(١٨) الثعالبى ، فقه اللغة ٣١٥ .

اللغات • على أن أبا حاتم الرازي قد ذهب الى أن معاني الاسماء فى القرآن منها ما هو عربى عرفته العرب ومنها ما جاء فى القرآن ولم تكن العرب تعرفه ، ومنها ما جاء فى القرآن من ألفاظ العجم^(١٩) • وكان كتاب (الزينة) لابي حاتم موردا لكثير من الباحثين فى الالفاظ الاسلامية ، على أن أبا حاتم لم يسلم من التعصب للعربية ، فقد ذكر فى كتابه كثيرا من المواد على انها عربية ، والتي دل البحث الحديث على انها ليست عربية الاصل وسنعرض لهذا ، ومن أمثلة تعصبه انه عقد فصلا فى « فضل لغة العرب » ذهب فيه الى أن العربية أفصح اللغات وأكملها وأتمها وأعذبها وأبينها ••• الخ • وقد جاء فيه : « وقال قوم بفضل اللغة اليونانية والهندية ، لان كتب الفلاسفة والاطباء وأصحاب النجوم والهندسة والحساب بها • وهذا قول منبوذ عند أهل الملل »^(٢٠) •

ولم يكن القول بمعجمة لفظ من ألفاظ العربية عند الاقدمين ، مبنا على البحث والدرس أو قل ان القائلين بهذا ، على علم بلغات غير عربية من لغات الاعاجم ، وانما كانت أقوالهم مبنية على الظن والتوهم • وعندهم ان كل كلمة لم يشتهر فيها استعمال جاهلى دخيلة ، واذا كانت دخيلة فهي أن تكون عند أحدهم فارسية ، وعند آخر عبرانية أو سريانية أو حبشية ، ولم يهتدوا الى أن بين العربية والعبرانية والسريانية والحبشية ولغات اخرى علاقات تاريخية وقرابات لغوية مردها الاصول السامية الاولى التى دل عليها البحث الحديث • وربما عزوا كلمات دخيلة الى العربية وأخضعوها لقوانين الاشتقاق فى العربية كما سنرى •

فكلمة « تسنيم » فى قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم »^(٢١) عند الاقدمين من ألفاظ القرآن وهى من الكلمات العربية المعروفة فى لسان العرب ، ولكنها فى لغة القرآن دلت على معنى لم يعرفه العرب ، وقد زعموا

- (١٩) أبو حاتم ، الزينة ١٩/١ •
 (٢٠) أبو حاتم الزينة ٦٠/١ - ٣٦ •
 (٢١) سورة المطففين ٢٧ •

ان « التسنيم عين في الجنة » • وقال الزجاج النحوى فى قوله تعالى :
« ومزاجه من تسنيم » أى مزاجه من ماء متسنم ، عينا تأتيهم من علو « (٢٢) •
واعتبر المستشرق « نولدكه » ان « التسنيم » من الكلمات التى جاء بها
القرآن ، لعدم وجود أصل لها فى الشعر الجاهلى ولا فى اللغات السامية
القديمة (٢٣) • فالزجاج النحوى أخضع هذه الكلمة لقوانين الاشتقاق فى
العربية ، فاشتق منها فعلا وكأنها من مألوف العربية وهذه من قدرتهم أو قل
قدرة العربية على التوليد •

وكلمة « سجين » فى قوله تعالى : « كلا ان كتاب الفجار لفي
سجين » (٢٤) عند اللغويين العرب على وزن « فعيل » من السجين ، والسجين
الصلب الشديد من كل شيء • وقد قالوا : واد فى جهنم (٢٥) • وقد ذكر
السيوطى فى الاتقان (٢٦) انه غير عربى ، نقلا عن « كتاب الزينة » على ان
أبا جاتم فى « الزينة » جعله من الالفاظ التى استعملها القرآن استعمالا لم
يعرفه العرب فى جامليتهم • وهو من ألفاظ القرآن •

وقد ذكروا « للرقيم » فى قوله تعالى : « أم حسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » (٢٧) مدلولات عديدة لا تقوم الا على الظن
والتوهم والوضع • قال الزجاجى فى الامالى : « اعلم ان فى الرقيم خمسة
أقوال : أحدها هذا الذى روى عن ابن عباس (رحمه الله) انه لوح كتب
فيه اسمائهم • والآخر ان الرقيم هو الدواء ، ويروى ذلك عن « مجاهد » •
وقال هو بلغة الروم • والثالث ان الرقيم القرية • والرابع ان الرقيم
الوادى • والخامس ما روى عن الضحاك وقبادة انهما قالا الرقيم

(٢٢) اللسان مادة « ستم » •

(٢٣)

Th. Nöldeke, Neue Beitrage Zur Semitischen Sprachwissenschaft.
Strassburg 1910.

(٢٤) سورة المطففين ٧ •

(٢٥) اللسان مادة « سجن » •

(٢٦) السيوطى ، الاتقان ١/ ١٣٩ •

(٢٧) سورة الكهف ٩ •

الكتاب» (٢٨) وإلى هذا ذهب أهل اللغة + ومادة « رقيم » من الالفاظ السامية التي وجدت في كثير من اللغات السامية (٢٩) .

وللقرآن استعمالات خاصة لالفاظ عربية استغريها الاقدمون ، و حاروا فيها فلم يفهم ابن عباس الصحابي المشهور معنى « الحنان » في قوله تعالى : « وحنانا من لدنا » (٣٠) روى عكرمة انه قال : والله ما ادري مالحنان (٣١) .

وقد جاء في القرآن ألفاظ لها أصول سامية وجدت في أغلب اللغات السامية ولكن الاقدمين وقفوا منها وقفة الجاهل بالاصول ، فقالوا أقوالا لم تبني على علم ثابت . ومن هذه كلمة « الطور » في قوله تعالى : « وشجرة تخرج من طور سيناء » (٣٢) وفي قوله تعالى : « والطور وكتاب مسطور » (٣٣) ، فقد ذكر الجواليقي في (المعرب) : « قال ابن قتيبة : الطور الجبل بالسريانية » (٣٤) . وقال الفراء : « وهو الجبل الذي بمدينة الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام تكلما » (٣٥) . وقال ياقوت : قال بعض أهل اللغة : لا يسمى طورا حتى يكون ذا شجر ، ولا يقال للاجرد طور . ويقال لجميع بلاد الشام « الطور » . ولسان النبط كل جبل يقال له طور فاذا كان عليه نبت وشجر ، قيل طور سيناء (٣٦) . وقد استعملت الكلمة في « سفر الخروج » بمعنى طبقة من الحجارة (٣٧) . أما في سفر دانيال فقد جاءت بمعنى الجبل في السريانية « طور رب » (٣٨) ، أي جبل

(٢٨) الزجاجي ، الامالي ٥ .

(٢٩) Gesenius, Hebrew and English Lexicon.

(٣٠) سورة مريم ١٢ .

(٣١) ابو حاتم ، الزينة ١٣٥/١ .

(٣٢) سورة « المؤمنون » ٢٣ .

(٣٣) سورة الطور ٥٢ .

(٣٤) الجواليقي ، المعرب ٢٢١ .

(٣٥) اللسان ماده طور .

(٣٦) ياقوت ، معجم البلدان « طور » .

(٣٧) سفر الخروج ١٧/٢٨ .

(٣٨) سفر دانيال ٢/٢٥ .

عظيم * والكلمة آرامية ، اى بمعنيها بحرف الطاء ، لان المشهور ان « الطاء »
 فى الآرامية تقابل « الطاء » فى العربية وكان حقها أن تكون « ظور » كما
 تقول « نظر » فى العربية وهو فى السريانية « نظر » *
 وقد خطبوا أيضا فى لفظ « اليم » فهى سريانية معربة (٣٩) ، كما يذكر
 صاحب « المعرب » * وما فطنوا الى أن الكلمة سامية الاصل وجدت فى
 أغلب اللغات السامية * ولم يستطيعوا أن يلمحوا ثروة العربية وغناها حين
 جاءت بالفعل من هذه المادة بعد ابدال الياء جيما وهو (جم) (٤٠) للدلالة
 على الكثرة مطلقا *

ومن أمثلة هذه المواد السامية « الربانيون » ، والربيون » وقد قالوا
 فيهما ما قالوا فى الامثلة التى سقناها * فقد ظن أبو عبيدة ان الربانيين غير
 عربية وانما هى عبرانية أو سريانية وجزم القاسم بن سلام بسريانيتهما (٤١) *
 وقد وجد فى العربية مواد دخيلة من اصول غير سامية ، ولكن العربية
 طبعتها بطابعها واستعملتها استعمالا كثيرة ، وربما عدها جماعة من الاقدمين
 عربية فى الاصل ، فأخرجوا منها اشتقاقا تشير الى عروبيتها * ومن هذه
 كلمة « الصراط » فى قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » (٤٢) ، فقد قالوا
 انها رومية ، وحملوا عليها القسطاس والفردوس (٤٣) * والحققة ان
 « الصراط » من Strate اللاتينية ولعلها انتقلت الى العربية عن الآراميين
 الذين أخذوها من اليونانية شأن غيرها من الالفاظ (٤٤) * وقد توسعت العربية
 فى هذه المادة على رأى بعض الاقدمين ، فأشاروا الى العلاقة بين الصراط
 أو السراط (بالسين) (٤٥) وسرط ، فالطريق سمرى سراطا لانه يسرط

-
- (٣٩) الجواليقي ، المعرب ٢٥٥ *
 (٤٠) انظم مادة « جم » فى تاج العروس للزبيدي *
 (٤١) السيوطي ، الاتقان ١/ ١٣٩ *
 (٤٢) سورة الفاتحة ٥ *
 (٤٣) أبو حاتم ، الزينة ٢/ ٢١٥ *
 (٤٤) برحشتراسر ، التطور النحوى ١٥٤ *
 (٤٥) جاء فى كتاب الزينة ٢/ ٢١٦ قال أبو عبيد : فى الصراط
 ثلاث لغات : صراط وسراط وزراط *

السبالة اذا سلكوه^(٤٦) ، وقد استعمل الصراط في العصور الاسلامية بمعنى الطريق مطلقا كما في قول جرير :

أمير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم

ومثل الصراط ، القسطاس والفردوس وابليس والجن والبرج ، فهي ألفاظ دخيلة استعملتها العربية وأخذت منها مواد كثيرة . ومن جهل الاقدمين بالاصول اعتبارهم مادة « عدن » عربية في قولهم « جنة عدن » ، أو في استعمال القرآن : « وجنات عدن »^(٤٧) . قال الاصمعي : تقول العرب : عدت الابل بمكان كذا وكذا اذا ألفتها ولزمتها . ومنه قيل لمعدن الذهب والفضة : معدن لانه يثبت فيه^(٤٨) . وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : « جنات عدن » أى خلد ، يقال عدن فلان بمكان كذا وكذا أى أقام^(٤٩) .

وما عرف الاقدمون ان الكلمة وجدت في العبرية^(٥٠) وفي غير العبرية من اللغات السامية ، وقد جاءت الكلمة في سفر التكوين من العهد القديم في هذا النص : « وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقا ، ووضع هناك آدم الذي جبله ، فكان عدن »^(٥١) .

وقد أضاف الاسلام للعربية مادة جديدة اصطلاحية تؤدي معاني جاء بها الاسلام . وجل هذه الالفاظ كلمات عربية اعطيت معاني جديدة والى هذا ذهب أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي في كتابه « الزينة » فهو بحث في الكلمات الاسلامية .

وقد أضافت العصور الاسلامية المتعاقبة مادة كثيرة في ميدان المصطلح الفني معتمدين حينا على الاصول العربية وآخذين بمبدأ التعريب حينا آخر ، وربما توسعوا فأخذوا الكلمة الدخيلة مجرين عليها الطابع العربي .

(٤٦) الزمخشري ، الكشاف ١/ ١٥ ، وانظر اللسان مادة « سرت » .

(٤٧) سورة التوبة ٩٣ .

(٤٨) أبو حاتم ، الزينة ٢/ ٢٠٠ .

(٤٩) أبو عبيدة ، المجاز ١/ ٢٠١ .

(٥٠) انظر مادة عدن في Gesenius. Hebrew and English Lexicon.

(٥١) سفر التكوين ٢/ ٨ - ٩ .

ولما جاء العصر الحديث وجدت العربية نفسها فقيرة متخلفة لتخلف أهلها في ميدان الثقافة والمعرفة ، ومن أجل هذا زخرت لغة اليوم بالاصطلاحات الجديدة التي دخلت في العربية بواسطة الترجمة عن اللغات الأوروبية ، فقولهم مثلا :

هو يمثل الرأي العام تجده في الفرنسية في قولهم :

II represente l'opinion Publique.

وهو في الانكليزية He represents Public opinion.

وقولهم يذر الرماد في العيون ، نجده في الفرنسية في :

II jette de la Poudre aux yeux.

وهو في الانكليزية To throw dust in the eye. في قولهم :

ونستطيع أن نحصى من هذه الاستعمالات عددا وافرا تزخر به لغة الصحف في أيامنا هذه .

وقد كثر التوليد في العربية ، وأقصد بالمولد ما اخترع من الالفاظ لغرض من الأغراض ، ومن أمثلة هذا ما جاء في شعر الصعاليك من الغريب مما أشار الى اصطناعه علماء العربية الاقدمين ، فقد شعر بذلك رواة شعر الصعاليك ، وفطن اللغويون الى أن في شعر هؤلاء ، الفاظا لا يعرفونها ولا يعرفها عامة العرب ، وقد قالوا بأنها لم ترد الا في هذه المواطن .

فالاصمعي لم يعرف « سحاليل » في قول الاعلم يصف جراء الضباع :

سود سحاليل كأن جلودهن ثياب راهب^(٥٢)

والمتعقب لاشعارهم يجد طائفة من الالفاظ الغريبة التي لا توجد في

مكان آخر .

قال تأبط شرا :

وخشحت مشعوف النجاء كأنني

هجف رأي قصرا سملا وداجنا

(٥٢) أنظر مادة « سحل » في اللسان . وديوان الهذليين القسم

الثاني ٨٠ .

من الحص هزروف كأن عفاءه
إذا استدرج القيفاء مدّ المغابنا
أترج زلوج هذرفي زفاذف
هزف يذ الناجيات الصوافنا^(٥٣)
والشاعر الصعلوك قد يأتي بالكلام السهل المألوف ولكنه يدخل في
بعضه هذه المادة الغريبة فقطعه بطابع خاص ، ومن هذا قول الشنفرى :
ولي دونكم أهلون سيد عملس
وأرقط زهلول وعرفاء جبال
هم الاهل لا مستودع السر ذائع
لديهم ولا الجاني بماجر يخذل^(٥٤)
فانت ترى السهولة والخفة في البيت الثاني والغربة والخشونة في
البيت الاول * وقد اعتمد اصحاب المعجمات على شعر الصعاليك في تكوين
مادتهم اللغوية لكثرة الغريب^(٥٥) .
ولعل خير « القبض » من المصطلح اللغوى عند اولئك المتدربين الذين
قطعوا البيت :
أبا منذر افيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض
فسألوا المبرد النحوى الشهير : ما القبض ؟ فقال : القطن ، وأشد :
كأن سنامها حشى القبضا
وهو من تقطيعهم البيت الى تقاعيله ، فهناك تفعيلة « ق بعضنا » التى
أجاب عنها المبرد بالقطن^(٥٦) .
وربما كان الخبر موضوعا ، وهذا أمر لا يعنينا ، انما الذى يعنينا هو
انه يدل على ان شيئا من هذا قد وقع بحيث صارت العربية غنية بالالفاظ

(٥٣) أبو الفرج ، الاغانى ٢١٣/١٨ .

(٥٤) القالى ، النوادر ٢٦٠ .

(٥٥) يوسف خليل ، شعراء الصعاليك ٣١١ .

(٥٦) ابن الانبارى ، نزهة الالباء ١٥٠ .

الموضوعة لمعنى واحد ، ومن هنا نشأت مشكلة الترادف فى العربية • وهى فى حقيقتها لا تعدو أن تكون أثرا من آثار الاصطناع وتوليد المعانى على هذه الطريقة •

ولقد جاء فى أخبار محمد بن عبدالواحد بن ابى هاشم ابى عمر الزاهد المعروف بعلام ثعلب ، انه يولد الالفاظ على طريقة الاصطناع والوضع ، فقد قصده جماعة للاخذ عنه ، فتذاكروا فى طريقهم عند قنطرة هناك ، اكثاره وكذبه فقال أحدهم : أصحف له اسم هذه القنطرة واسأل عنه ، فانظروا ما يجيب ؟ فلما دخلوا عليه قال له : أيها الشيخ ما « الهرطق » عند العرب ؟ فقال : كذا وكذا فضحكوا وانصرفوا (٥٧) •

وهذا الخبر وكثير على شاكلته ، يشير الى ان الرواة وعلماء اللغة أضافوا كثيرا من الالفاظ ولاسيما الغريب منها ، ودخل ما أضافوه فى اللغة والاستعمال • وهذا لون من ألوان التوليد ، وهو اختراع محض •

(٥٧) القفطى ، انباء الرواة ٣/ ١٢٧ •

المقارنات في الأدب واللغة والنحو

كان من نتائج الطريقة العلمية وتطبيقها في ميدان الادب واللغة والنحو وغير ذلك من ألوان المعرفة أن ظهرت بحوث المقارنات^(١) . ولقد آثرنا هذه

(١) ظهرت كلمة « المقارن » في الثقافة العربية وأصفت الادب والنحو وغير ذلك من العلوم ، ف قيل : الادب المقارن والدراسات اللغوية المقارنة والنحو المقارن ، فقام في وجه هذه التسميات اللغويون المتضلعون من العربية والغياري على حمايتها ورعايتها ، فقال قائل منهم : ان هذه التسمية مغلوطه خاطئة والصحيح أن يقال : الادب الموازن حملا على ما وردنا من تسميات في الادب العربي ، ومن ذلك كتاب « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » للآمدى وكل الكتب التي تبدو فيها الموازنات مثل كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للجرجاني . ولفظ الموازنة واستعماله في هذه الكتب صحيح مصيب للهدف ، ذلك بان هناك طرفين تعتقد بينهما الموازنة لبيان ما قال أحدهما في موضوع من المواضيع وما قال الآخر في الموضوع نفسه واطهار مقدار ما جود كل منهما في هذا الموضوع وما أخذه الاول عن الثاني وما قصر فيه أحدهما عن الآخر . ومثل هذا ما يعرض له الباحثون والنقاد على هذا النحو في قصيدة كل من البحتري والشريف الرضي في وصف الذئب فيعقدون الموازنة بين هاتين القصيدتين ، كما يعقدون الموازنة بين واحدة من هاتين القصيدتين وقصيدة الفرزدق في الموضوع نفسه دون أن يهتموا في كل ذلك بالفارق الزمني بين البحتري والشريف الرضي من جهة وبين واحد من هذين والفرزدق من جهة أخرى ، وتأثير عامل الزمن وما يؤدي اليه من تعديل وتغيير نتيجة للتطور التاريخي . ولقد جروا على هذا الفهم لدراسة الموازنة أسوة للغربيين في دراسات المقارنة فعقدوا الموازنة بين قصيدة البحتري في وصف بركة المتوكل في سر من رأى (سامرا) وقصيدة لامرتين Lamertin في وصف البحيرة "Le Lac" . والموازنة في هذا الموضوع غير صحيحة ولا يجوز أن تعتقد فليست هناك أية علاقة بين البحيرة والبركة من جهة ، وليس هنا أيضا أية صلة بين Lamertin والبحتري تأثر لامرتين فيها بالبحتري . فالادب المقارن في اصطلاح هؤلاء الباحثين هو الموازنات المعروفة في كتب النقد والادب العربية . ومن أجل هذا قالوا (المقارن) غير صحيح اعتصاما على أن المقارنة في معاجم اللغة تعني المصاحبة ، جاء في لسان العرب في مادة (قارن) « قارن الشيء بالشيء مقارنة وقارنا اقترن به وصاحبه » فالمقارن على هذا هو المصاحب . وهذا المدلول لا يتفق هو والموازنة المعروفة في كتب اللغة والادب ، ومن أجل هذا أيضا قالوا : والصحيح أن يقال الادب الموازن وفقا للموازنة المعروفة ، فقد ذكر صاحب « القاموس المحيط » في مادة (وزن) « وازنه بمعنى عادله وقابله وحاذاه » . وسنبين في هذا المقال ان المقارن أنسب وأوفى لاتفاقها في طبيعة وطريقة الموضوع .

التسمية على غيرها مما شاع حين عرفت هذه البحوث في العربية لانها اُسدّ معنى وأوفى غرضاً • ولم تكن هذه الدراسات ثمرة من ثمار الفكر العربي ، فلقد عرفت أول ما عرفت في الدراسات التي قام بها علماء الغرب نتيجة اختصاصهم وتعمقهم في العلم •

وقد جعلت الكلام على المقارنة في الادب الجانب الاول في هذا المقال لاهميته للقارئ العربي ، ولان طالب الادب سمع به ورغب في دراسته فلم تسعفه الوسائل الى تحصيله جهلاً بحقيقته وبعداً عن ميدانه ، وما زال نفر كبير من الباحثين في الموضوع بعيدين عن جادته في العربية • وسأجتهد في هذه المقالة لانير السبيل لتفهم هذا اللون من الدراسات الادبية التي لم تزال غامضة والتي لا بد منها لدراسة الادب واللغة والنحو •

دخلت كلمة « المقارن » واصفة الادب في اللغة العربية كما دخل غيرها مما استحدث في هذا العصر عن طريق الترجمة ، فالادب المقارن يقابل في الانكليزية Compative Literature وفي الفرنسية "Littérature Comparée" • والمقارنات في الادب من البحوث التي ظهرت في النصف الاول من القرن التاسع عشر • وأول من كتب في الموضوع M. H. Posnett الانكليزي سنة ١٨٨٦ ، فكتابه Compative literature يعد البداية الاولى للدراسات المقارنة • وفي السنة نفسها بدأ العالم السويسري Edouard Rod دروسه في جنيف عن التاريخ المقارن للآداب ، وفي المانيا أصدر Max koch الالماني مجلة الادب المقارن Reveue de littérature Comparée عام ١٨٨٧ • ولقد طلع الادب المقارن حين أخذت الناس الحركة الرومانتيكية ودراسة الآداب العالمية التي اضطرتهم الى استخدام الطريقة التاريخية والمقارنات التي لم تقتصر على الادب وانما تعدته الى غير ذلك من أبواب العلم كالقانون واللغات "Linguistique" ودراسة الاساطير Mythologie .

وفي عام ١٨٩٥ ناقش Joseph Texte رسالته عن « جان جاك روسو والاصول العالمية الادبية » وكان هذا الكتاب أول دراسة مهمة وعلمية

فى موضوع المقارنات^(٢) . ومنذ عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩٠٤ تعاقبت نشرات عديدة للمصادر والاصول والمراجع فى الموضوع ، هذه النشرات التى عني بها كل من Baldensperger et Betz وقد اهتم الاخير كثيرا بموضوع الادب المقارن ووقف عليه وحده ببحثه ودراساته ، فلقد جمع الاصول والمطالان فى الموضوع وصنفها وعلق عليها ، هذا غير تأليفه العديدة فى الموضوع نفسه . وقد أسس فى ١٩٢١ مع العالم Paul Hazard مجلة الادب المقارن الفرنسية Reueve de littérature Comparée Frncaise . وعلى هذا فيمكننا أن نقول ان الادب المقارن نشأ وازدهر فى القرن العشرين بعد أن كانت بداياته فى أواخر القرن التاسع عشر فى انكلترا كما بنا .

يعنى الادب المقارن تاريخ الروابط الادبية العالمية ، ومن أجل ذلك فالباحث فى هذا الموضوع يبقئ فى حيز اللغات والحدود الجغرافية ويلاحظ ويراقب تبادل المواضيع والافكار والكتب والعواطف اما بين أديين ، واما بين آداب عدة . ومن أجل ذلك ايضا فطريقته ينبغئ أن تتسجم مع تنوع واختلاف بحثه^(٣) . ولا بد أن يتزود الباحث فى هذا الموضوع بوسائله وأسبابه الضرورية التى سنأتئ عليها فيما يلى من السطور :

يلزمه أن يكون مؤرخا عالما بالتاريخ وبالطريقة العلمية التاريخية ، ولاسيما التاريخ الادبئ لعدة أمم . لانه لا يستطيع أن يبحث الموضوع الادبئ ان لم يكن مزودا بالثقافة التاريخية الخالصة التى رافقت تلك الحادثة الادبية أو ذلك اللون الادبئ . وعلى سبيل المثال لا سبيل الى معرفة الادباء الفلاسفة المسلمين ان لم يكن الباحث مزودا بثقافة تاريخية كافية حول عصر هؤلاء الادباء الفلاسفة وبمعرفة كافية وافية عن الثقافات الاجنبية غير الاسلامية التى صاحبت عصرهم .

(٢) انظر

M. F. Guyard, La littérature comparée, P. ١٠, Paris 1951

وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية منذ سنين .

Paul van Teighern, La littérature Comparée. (٣)

ومما يلزمه ايضا أن يكون ملما بالمأما كافيا بالعلم عن الآداب فى أمم
اخرى غير تلك التى ينسب اليها •

وينبغى لمن يقوم بالمقارنات فى الادب أن يكون قادرا على القراءة لادب
من الآداب فى لغته الخاصة ، وهذا يعنى ان من يريد معرفة تأثير الشاعر
(جيته) Goethe الالماني^(٤) فى الادباء الرومانتيكيين ، لابد له أن يقرأ
الشاعر الالماني فى اللغة الالمانية وليس له أن يلجأ الى المترجم من أدبه وذلك
ليتمكن من معرفة انتقال التأثير • وعلى هذا فيلزمه المعرفة بلغات عدة ليقراً
بها ايضا البحوث الاجنبية اللازمة لبحثه واختصاصه •

ثم هو عندئذ يلزمه معرفة مصادر الموضوع واصوله وكيف ينظم
الجمهرة الكبيرة لهذه المصادر والاصول والافادة منها • ومن هذه المصادر
والاصول كتب تاريخ الادب ، والكتب التى تعنى بجمع وتصنيف مصادر
بحث الادب المقارن •

وعلى هذا فالكتب من العوامل المهمة التى يهتم بها المتصدى للمقارنات
ليعرف مدى تأثيرها فى القارئ الاجنبى ، وما تؤثر هذه فى أدبه • وما دما
بصدد التعرض للكتب فلا بد لنا أن نقرر ان المترجم من الكتب عن لغة أجنبية
ايضا يقوم بنقل الثقافات والتيارات من امة الى امة اخرى • وهذا الادب
المترجم يؤثر هو ايضا فى أدب أية امة من الامم • ولقد تأثر ادباء اوربيون
بالآداب الشرقية دون أن يقرءوا تلك الآداب فى لغاتها ، بل انهم قرأوها
مترجمة الى لغاتهم فتأثروا بها وأفادوا منها وانتقل هذا التأثير الى آدابهم •
فان تصدى الباحث فى المقارنات الادبية لدراسة هذه الآثار الدخيلة فى أدب
من الآداب كان بحثه عندئذ بحثا مقارنا وهذا هو الادب المقارن •

وعلى هذا أيضا فالرحلات والاسفار التى يقوم بها أصحابها ويسجلونها
فى كتبهم عامل مهم عن عوامل الادب المقارن • اذ أن كتب الرحلات
والاسفار تقوم هى ايضا بنقل ثقافات الامم الاخرى •

M. F. Guyard, 13. (٤)

لم يزل البحث فى المقارنات جديدا فى العربية ومن أجل هذا فهو غير واضح لدى القارئ العربى وربما وقع بسببه فى الوهم حول ما تؤديه لفظة المقارنة • ولقد عرضنا فى اول هذا البحث عن مجال الخطأ وميدانه مع ان كتاب الادب المقارن La littérature comparée للمؤلف الفرنسى Paul Van Teighem قد نقل الى العربية منذ زمان بعيد • وهذا الكتاب من الكتب التى يستفيد منها عدد كبير من الناس فيهم الباحث فى تاريخ الآداب وطالب الاداب والمتأدب الذى يرغب فى التزود بالثقافات الجديدة الوافدة •

فاذا أخذنا على سبيل المثال موضوع القصة القديمة فى الادب العربى فلا بد لنا أن نمر على السفر الممتع وهو (ألف ليلة وليلة) • ودراسة هذا الكتاب يلزمنا معرفة أصوله ومصادره ، وهنا فلا بد من الخوض فى هذا الموضوع الشائك السبيل وهو الاصول غير العربية لهذا الكتاب لنستطيع تحديد مكانة الكتاب وفى ذلك مكانة القصة القديمة العربية فى الادب العربى • وهذا البحث بهذه الطريقة وهذه النظرة من البحوث الادبية المقارنة •

ولقد عرفنا فيما عرفنا ان هذا الكتاب ظل متعة فكرية وزادا محبيا للكتاب الاوربيين أجيالا طويلة فنقلوه الى لغاتهم الكثيرة منذ عهود وأزمان طويلة ، فلقد أثر عن Voltaire الاديب الكبير الفرنسى انه قرأ هذا الكتاب واستمتع به بضع عشرة مرة من قبل أن يتصدى للكتابة • وعلى هذا فمن عرض لهذا البحث فى الآداب الاوربية الاخرى ، فيحثه والحالة هذه من البحوث المقارنة •

ولو تيسر لنا أن نبث فى موضوع الاساطير فى الادب العربى La mythologie arabe واقتضى البحث فى هذا الموضوع النظر فى اصوله ومصادره ومقدار الآثار الاجنبية فى هذه الاساطير وكيف تم هذا التأثير ، كان البحث على النهج المقارن •

المقارنات فى اللغة والنحو

هى الجانب الآخر من هذه المقالة والذي هو كسابقه جديد فى العربية وفائدته جلية عظيمة • وفهم العربية الفهم الصحيح وحل كثير من غامضها ، ينبغى أن يستفيد هذا الحل من المقارنات بغيرها من اللغات التى تكون مع العربية مجموعة أو أسرة لها صفاتها المينة التى تميزها عن غيرها من المجاميع اللغوية •

وقبل أن نهتدى لصلب الموضوع لابد من استجلاء طريقة المقارنة وتبين معالمها لنسير على نهجها وتأمين العثار والخلط فى الموضوع •

هناك طريقتان مختلفتان لتطبيق المقارنة فى اللغة والنحو ، فالاولى تنص على ان المقارنة تؤدى الى قوانين عامة تضبط المواد التى تعرض لها المقارنة •

والثانية تؤدى الى بيان ملاحظات وتبنيات تاريخية • وهاتان الطريقتان تختلفان الواحدة عن الاخرى اختلافا عاما شاملا ، وان كانت كل منهما مقبولة صحيحة^(٥) •

فالأقاصيص على ألسنة الحيوانات موجودة عند كل امة من الامم • ولعل الشبه بين الانسان والحيوان هو الذى يسر للانسان أن يعير الحيوان هذه الأقاصيص فيقول على لسانه ليبر عن فكرة أو يصرح بشئ لا يستطيع التصريح به بصورة مباشرة • وفى هذه الأقاصيص يستطيع الباحث أن يقارن بينها ليتبين طريقتها وشكلها وطابعها ثم يخلص من كل ذلك الى نظرية عامة فى هذا النوع من الأقاصيص • وتبدو المشابهات بينها للباحث من الوحدة العامة فى الفكر الانسانى والاختلاف فى التطور الحضارى ، وتؤدى الى فهم الباحث للميزات العامة للنوع الانسانى ، ولكنها لا تفيد كثيرا فى العلم بتاريخه •

(٥) انظر

A. Meillet, La methode Compative en linguistique historique, Paris.

وإذا كان المعنى الذى تعرب عنه كلمة من الكلمات مرتبطا ارتباطا طبيعيا بالصوت الذى يشير اليه ، سواء كان هذا الارتباط قويا أم ضعيفا ، (ومعنى هذا ان الكلمة تثير فكرة من الافكار) ، فالمقارنة بشكلها العام هى السبيل الوحيد الذى يستطيع استعماله اللغوى ، ذلك بأن اللجوء الى اللغات الأخرى غير ممكن ، هذا اذا لم نتعد عن حيز الكلمة الحقيقى المادى المجرد وعمّا تمليه عليها العادات والتقاليد التى تجبر الى التوسع فى المعنى والاستعمال .

والمفردة اللغوية فى حقيقتها ودلالاتها لما وضعت اليه ، شئ اصطلاحى ، أو قل شئ اعتباطى . وما القيمة اللغوية الا مسببة عما ألف الناس أن يعطوها من دلالة . وعلى هذا فان ما يقال عن الصلة الوثيقة بين اللفظ والمعنى . وان الاول هو حكاية يتأدى فيها ذلك المعنى غير مقبول على الدوام ، لان حكاية الصوت حد واسع المعنى لم يقيد ضابط بصدق فى جميع الاحوال . فلو أخذنا مادة « القطع » فى اللغة نجد ان هذا المعنى يعبر عنه بكلمات تتكون فى الغالب من حرفى القاف والطاء أو القاف والصاد ، وما الحرف الثالث الا تكملة فهو اما صدر “Préfixe” واما كسع “Suffixe” واما مقحم اقحاما وسط الكلمة “Infixe” . غير اننا نجد من ناحية اخرى ان هذا المعنى « القطع » يؤدى ايضا بحروف اخرى كثيرة عديدة لا سبيل الى أن تأتى على حصرها وضبطها . ومعنى هذا ان حكاية الصوت لا تؤدى بحروف معينة وان المعنى على هذا لم يوضع توقيفا أو اصطلاحا ومن أجل هذا فاللفظة التى تعرب عن « الوحدة » فى العربية وهى « واحد » أو « أحد » أو « أول » وكذلك اللفظة التى تدل على فكرة « الازدواج » وهى « اثنان » وغير ذلك من أسماء العدد ، أقول : ان هذه الالفاظ لا تملك أية صلة بفكرة الوحدة أو فكرة الازدواج ، وما المعنى الذى تسوق اليه الا شئ اصطلاحى ألفه الناس منذ كانوا ، وعلى هذا فلاستعمال حد مهم وضابط جامع مانع لا يستطيع اللغوى أن يتخطاه ويضرب فى الاوهام التى لا تسعفه ولا يفيد منها .

ونريد ان نخلص الى ان الصفة الاعتبارية لدلالة اللفظ على مؤداه من
المعنى خير وسيلة لتطبيق الطريقة المقارنة التاريخية فى اللغات .

ولعلنا نفيد فائدة عظيمة فى فهم « العربية » اذا اتبعنا هذه الطريقة
المقارنة التاريخية وذلك بدراستها بالنظر الى غيرها من اللغات التى تضمها
المجموعة السامية للغات ، وبهذه الطريقة نستطيع فهم كثير مما استعلق على
علماء العربية الاوائل وما وقعوا فيه من أوهام . أقول الاوائل لان لغتنا
ما زالت تدرس على النهج الذى سله هؤلاء العلماء من لغويين ونحاة ، وما
زلنا نعول عليهم فى دراساتهم الحديثة . فالكتاب الحديث الذى يضطلع به
مؤلفه فيسجل آراءه فى فقه اللغة لا يختلف كثيرا عن كتب فقه اللغة العربية
مثل كتاب فقه اللغة للثعالبي ، وكذلك لا يختلف عن الكتب الكثيرة التى
وصلت الينا ومؤداهما التنبيه على اغلاط الكتاب من أيام ابن قتيبة الى أيامنا
هذه . وكذلك الامر فى مادة النحو ، فقد ظلت عبر القرون راکدة جامدة
فلم يفكر فى جوهرها ، ولم يفكر فى طريقة عرضها ، وما زلنا نتقبل مادة
النحو وفق المدرسة البصرية دون أن نرى حاجة الى تغييرها أو اصلاحها على
الأقل ، اذن فاللغة العربية ظلت متوقفة لا تخضع للتطور فهمى هى كما قيدتها
لنا المراجع والاسانيد .

ومن أجل هذا فالعلم بالساميات وسيلة مفيدة لفهم العربية ، ولا يمكن
فهم الصفات التى تميز العربية عن غيرها من اللغات الا بالرجوع الى تلك
اللغات التى تتصل بالعربية اتصال النسب .

فالعربية مثلا كغيرها من اللغات السامية تتصف بما يأتى :

انها تعتمد على الحروف الصامتة لاداء المعنى وهى تستخدم الحركات
للتفرقة بين المعانى المتكافئة .

٢ - تمتاز بالحروف الحلقية .

٣ - معظم اصولها ثلاثية^(٦) .

٤ - تمتاز بندرة الالفاظ المركبة .

٥ - تمتاز بندرة الازمنة المختلفة التى يدل عليها الفعل . وهذه الميزة ظاهرة واضحة ، فالفعل وارتباطه بالزمن فى هذه اللغات قاصر عن أن يحيط بالاحداث المختلفة التى يدل عليها الفعل فى قسم من اللغات الهندية الاوربية .

ودراسة أى موضوع من العربية فى ضوء هذه الطريقة تثبت لنا ان معرفة تاريخ لغة من اللغات غير ممكنة ان درست وهى منعزلة عن غيرها من اللغات التى تقرب منها ، وان تاريخ لغة لا صلة لها بغيرها أو قل لا تعرف فيها هذه الصلة ، غير ممكن درسه لتعرف المراحل التى مرت بها تلك اللغة . ونريد الآن أن نتيين فائدة هذه الطريقة وذلك بالتعرض لدراسة بعض والسريانية :

فالمشابهة التى نجدها لم تأت عبثاً ، ولم تأت مصادفة ، وانما هناك وجوه من الشبه تثبت ان هذه اللغات يضمها اطار واحد . وهذا يفيد فى درس المفردات من حيث طريقة نطق الاصوات Phonétique . ومن الامور

(٦) أقول « معظم » لان القول بالاصل الثنائى ثابت ومقبول . وقد لمح الاوائل ايضا الثنائية فى الاصول وكذلك الدراسات الحديثة اللغوية التى قام بها المستشرقون ، على اننا لا ننسى هذه الدعوى بالثنائية والتى نادى بها الاباء من مرمجي الدومنيكى فى كتيب صغير سماه « هل العربية منطقية » مطبعة المرسلين اللبنانيين - جونية (لبنان) ١٩٤٧ ويذهب الاب فى اثبات هذه النظرية باللجوء الى اللغات السامية . وقد عالج فى هذه الدراسات مواد عربية معينة استطاع ان يثبت الثنائية بجلاء فى قسم كبير منها ، ولكنه لم يكن موفقاً فى القسم الباقى وذلك لان الخوض فى هذا الباب صعب لان هذه اللغة بعيدة العهد وان الكلمة مرت بمراحل طويلة الامد اكسبتها أشياء جديدة فغيرت معانيها وبذلك انقطعت عن اصولها ، ومن أجل هذا فلمح الاصل ليس من الامور الهينة اليسيرة . ومن أجل هذا أيضاً كانت الحاجة شديدة الى معجم تاريخى تؤرخ فيه الكلمات وفق استعمالها خلال العصور المختلفة . وبذلك نحصل من كل كلمة على صورة صادقة صحيحة للتطور والحياة التى تحياها المفردات .

التي تسترعى النظر ، ان لاسماء العدد فى هذه اللغات صيغة للمذكر
واخرى للمؤنث •

والباحث فى المفردات العربية وتاريخها لابد له من اتباع هذه الطريقة
والا فانه واقع فيما وقع فيه اللغويون أصحاب المعجمات العربية • فهم لا
يميزون فى مادة (ر ج م) بين ألفاظها ، ومن اجل هذا يحشرون رجم
وترجم فى مكان واحد • والذي يعرفه المتطلع فى الساميات الى ان الثانية
جاءت من (ترجمون)^(٧) (Targum) وهذه تعنى فى العبرية الشروح
والحواشى فى أسفار العهد القديم باللغة الآرامية وفق العبرية فى القرن
السادس قبل الميلاد ، وهو الوقت الذى حلت فيه الآرامية محل العبرية •
ونقلت الكلمة للعربية فاكسب معنى النقل من لغة الى لغة اخرى • وبهذا
فحشرها فى مادة (رجم) العربية من باب الجهل بالاصول والسهولة
المخلطة ، ولو ان اصحاب المعجمات عرفوا اللغات السامية الاخرى لافادوا
ولوجدوا لهم مخرجا وقربوا بين هذا الفعل الدخيل وبين مادة (رقم) التي
تقرب منها فى المعنى والتي تشير الى الكلمات المرقومة •

ومن أمثلة ذلك الكلام حول (تلميد) فأصحاب المعجمات جهلا منهم
بالاصول السامية يكتفون بالمعنى الذى اكتسبته الكلمة فى الاستعمال عبر
العصور وكان الاولى أن يقربوا بينها وبين (تلميد) العبرية المأخوذة من
المصدر (تلمود) الذى يعنى تعليم وتفعل فى العبرية يقابل تفعيل العربية •
والتلمود هو الدروس التى أخذها اليهود عن علمائهم وهى ملاحظات
تتضمن عظات ونصائح وافكاراً ، والتي لا تخلو من مجادلات عقيمة • وفى
العهد الجديد فى انجيل متى اشارات الى أولئك الاحبار الذين يتلقون عنهم
هذه الدروس • وهذا المصدر العبرى مأخوذ من الفعل (لمد) وهو تعلم •

(٧) (ترجمون) كتبتها بالجيم وأردت نطق الجيم غير المعطشة كالجيم
القاهرية المصرية وكالحرف (G) فى الكلمة الفرنسية Gare والكلمة
الانكليزية Garden •

وهناك كثير من المفردات التي يمكن التقريب بينها وبين ما يشبهها في الآرامية ايضا •

العربية	العبرية Δ	السريانية
واحد	إِحاد	حَدّ
اثنان	شَنَائِيم	تَرِين
ثلاثة	شَلَاشَا	تَلَاتَا
اربعة	أَرْبَعَا	أَرْبَعَا
خمسة	حَمَشَا	حَمَشَا
سنة	شَشَا	إِشْتَا
سبعة	شَفَعَا	شَبَعَا
ثمانية	شَمُونَا	تَمْنِيَا
تسعة	تَشَعَا	تَشَعَا
عشرة	عَسْرَا	عَسْرَا

والدخيل الآرامي في اللغة العربية كثير ايضا • وبهذه الطريقة نستطيع أن نفهم العربية • اما في مادة النحو مثلا ، فأداة التعريف في العربية هي الالف واللام ، وفي العبرية هي الهاء ، ولا توجد هذه الاداة في السريانية • ولو انا نظرنا في كتب النحو لوجدنا ان هناك من يقول ان التعريف حاصل في الالف واللام ، وهو قول الخليل ، أو انها اللام وحدها وهو قول سيويه ، ولنا أن نقول ربما حصل التعريف في الالف ويدلنا على ذلك ان اللام لا تنطق مع الحروف الشمسية ، وان الهمزة تقرب من الاداة العبرية وهي الهاء • والهمزة والهاء سواء في العربية فأيا وهما في النداء بمعنى ، وألا وهلا تخفيفا وتشديدا كذلك •

هذه الملاحظة رأى شخصي صرف أسوقه لا على سبيل التقرير والتأكيد انما على سبيل العرض والاقتراح •

Δ اثبتنا هذه الكلمات العبرية وكذلك السريانية بالحروف العربية لعدم تيسر الحروف العبرية والسريانية •

وربما استفدنا من المقارنات فائدة لا تحصل في غيرها • فلو أخذنا ما شاع من الاعلام المغربية والانلسية وهى تلك المحتومة بواو ونون ، نستطيع في العربية وحدها أن نقطع فيها بشئ ، فهى زيادات ليس غير • فالاسم زيد وهو مصدر نقل الى لعلمية فصار زيدونا وكذلك عبدون ووهبون وسحنون وخلدون وجلون الى غير ذلك • والوجه في هذا انها زيادات تصغير كما يحدث في التصغير في اللغة السريانية فكتاب تصحيح كتابونا^(٨) •

ولو استعنا بالعامية الدارجة لوجدنا ما يؤيد هذا فكلمة شئ تصبح (شويونه) ودرب تصبح (دربونه) وبیت تصبح (بيتونه) الى غير ذلك فالواو والنون مطرد في كل هذا لفائدة التصغير ، ولزيادة التصغير الذى من معانيه التقليل والتحقير ولتنكير زيدت التاء الاخيرة ، والتاء في كثير من الامثلة تفيد هذا ، فالتاء في تمرة لا تفيد التأنيث الذى لا حاجة فيه انما تفيد الوحدة فتمررة اسم الواحد لمجموعة التمر^(٩) •

ونريد الآن أن نسلك مسلكا صعبا فنقرر ان الصورة الاولى للفعل العربى هو المضعف الماضى الثلاثى • والقول في هذا يؤدى بنا الى ان نقول مع القائلين ان مبدأ الثلاثية في الاصل العربى مرحلة تكميلية وليست اولى ، ومن أجل هذا فلا بد أن تكون الاصول الثلاثية تمت بعد أن كان هناك مرحلة كان فيها الاصل ثنائيا ، ثم تطور هذا الثنائى الى الثلاثى الذى صار ميزة من مزايا العربية واللغات السامية الاخرى •

ولابد من دليل نستضى به في هذه السبيل فنقول ان كثيرا من المعانى تؤدى بحرفين ساكنين ومن أمثلة ذلك الحروف العربية - اعنى العوامل على لغة النحاة - فحروف الجر مثلا وجلها يتألف من حرفين صامتين كمن وعن

(٨) هناك طريقة أخرى للتصغير في السريانية وهى زيادة واو وسين وطريقة ثالثة على جمع الزيادتين أى الواو والنون والواو والسين •
(٩) أقول ان التاء تفيد التقليل والتنكير • هذا هو الغالب لان التاء في علامة ونسابة هى غير ذلك وربما كانت على سبيل التضاد من قبيل البصير للاعمرى تجملا وتفاؤلا •

وعلى والى^(١٠) تؤدي معاني كان حقها أن تؤدي بفعل ، ومن أجل ذلك فطن الباحثون في الاساليب وقالوا : جاء فلان على جواد أبلغ من قولهم : جاء راكبا جوادا ، جريا على القاعدة المشهورة البلاغة الايجاز • ولعل ما في العبرية من حروف الجر يؤيد هذا فالحرف على^(١١) واللام يؤيدان من المعاني ما حقها أن تؤدي بالفعل •

ولعل لغة الاطفال من الامور التي تقوم دليلا ايضا على ان المعاني تؤدي بادي ذي بدء باتنين من الحروف • فالطفل يقول عم أو هم حين يريد الطعام مثلا ، والمتبعون لسلوك الاطفال يستطيعون تأييد هذه الملاحظة القيمة •

وقد يتكرر لهذه الدعوى جماعة المختصين بالعربية غير اني اقول ان هذه ملاحظات توصل لها البحث ، فمن شاء فكر بها وبحثها ليخلص الى اقرارها أو انكارها •

اقول ان المعاني العربية تؤدي بحرفين صامتين فالكاف والنون في كن تؤدي في العربية التخفي والاستتار فهي بمعنى جن التي استحال بالتضعيف الى جن ، هذا في العربية ، وفي العبرية مادة « كن » أيضا تؤدي المعنى نفسه ، وقل مثل ذلك في مادة در في اللتين العربية والعبرية ، وكذلك مادة ف ر فهذه المواد تؤدي المعاني وهي بحرفين ، وما الحرف الثالث الذي لصق بها كسما Suffixe الا لغاية اكمال الاتنين وصيرورتها على ثلاثة ، وهذه المرحلة الثلاثية متأخرة بالنسبة للاولى ، والامد بينهما واسع طويل ، ومن أجل هذا لا يرضى هذه الدعوى اللغوى الذي ألف الثلاثي فلا يرى وسيلة لرد له للاتين •

اقول ان هذا الثالث الطارئ على طريقة التضعيف زيادة في الكلمة

(١٠) اقول : حرفين صامتين لان الحرف الثالث في على والى هو استطالة للحركة وهي الفتحة وسنأتني على ذكر الحركات وحروف المد •
(١١) جاء في الشواهد الشعرية العربية على بمعنى على •

وليس بأصل ، ذلك ان أحد هذين الحرفين يتغير على طريقة الابدال ،
مثال ذلك :

كنّ العربية وكنن العبرية تصبح كهن •

وهذا الابدال وسيلة لايجاد معاني جديدة مع ابقاء شيء من المعنى القديم فى هذا المستحدث الجديد لمحا للاصل • ففى مادة كهن ما زالت فكرة الاستتار والخفاء موجودة ، ومادة درّ تصبح دهر فى العربية وكذلك فى العبرية والفكرة فى الدهر هى الدوران ، ومن أجل هذا شبهوا الدهر بالفلك الذى يدور •

ثم ان المضعف ولد على طريقة الابدال والتعويض ، الفعل الاجوف ولذا فان حروف المد وسائل مهمة بيد واضع المعانى لابتكار معان جديدة • وهى لوجود فكرة المد فيها داخلية فى ضمن الحركات التى تعد ايضا من الوسائل المهمة فى هذا السبيل (١٢) •

نعود فنقول ان مادة كنّ الفعل المضعف أصل فى كان وكذلك مادة (غبّ) أصل فى غاب ، ومادة (جبّ) أصل فى جاب ، ومادة (صرّ) أصل فى صار •

وهناك أفعال جوف كثيرة لا سبيل الى معرفة أصلها التضعيفى لفقدان استعماله وبعد العهد به (١٣) فانقطعت الصلة ، وأصبح لمخ العهد بذلك من الامور الصعبة •

والدليل فى هذه السبيل الموحشة معالم لغوية احتفظت بها العربية تشير اشارة واضحة الى الاصل التضعيفى الذى ذهبا اليه ، وهو أن الكثير من هذه الافعال الجوف مصادر تحتفظ بالحرف المضعف وفيما يلى ثبت بمصادر هذه الافعال :

(١٢) أو قل ان الحركات وسيلة مهمة لابتداع المعانى ودليلنا الاستقراء اللغوى فالعود معروف المعنى ووثيق الصلة بـ « عيد » وكذلك صوت وصيت وغوث وغيث والنخ •
(١٣)

المصدر	الفعل	المصدر	الفعل
جيوبة	جاب	كينونة	كان
غيبوبة	غاب	ديمومة	دام
قيلولة	قال	بينونة	بان
حيلولة	حال	صيرورة	صار

هذه المصادر وغيرها تشير الى هذا الاجوف الذى جاء من المضعف فالالف فى صورة الماضى والياء والواو فى صورة المضارع تعويضاً (١١) من الفعل المضعف . والباحث فى العبرية يجد شيئاً من هذا ايضا فمادة (فر) تصبح فور ، كما تصبح فرّ فى العربية فار التى تحتفظ بالفكرة المعنوية فى فرّ .

أما حرف الياء الذى لزم هذه المصادر ، فهو حشو مفيد ، ربما جىء به ليعيد الكلمة عن وزن الصفة وهى فَعُول (١٥) .

على ان هذه الصيرورة لا تقتصر على الاجوف ، فهناك دلائل تشير الى أن كثيرا من الفعل الناقص جاء عن المضعف على طريقة التعويض فالفعل كنى فى العربية ولكنه فى العبرية هما من هذا الباب . ولا بد من الاشارة الى أن الهاء المعوّض فى العبرية يقابله شئ كثير فى العربية ، فالكنه بمعنى الحقيقة هو من هذا الباب ايضا .

ولو استعرضنا على طريقة الاستقراء طائفة من الافعال الناقصة فى العربية لنعرف السبيل الى صيرورتها على حالتها من النقص لوجدنا أن من بينها كثيرا ما جاء من المضعف بابقاء التضعيف ومد الفتح فى الآخر حتى

(١٤) اقول تعويض ووجه الامر ان فتحة الغين فى غب تشبع حتى تستحيل الى مد ومن حق هذا المد الطويل ان يخرم من آخر الفعل ليبقى محافظا على الثلاثية .
(١٥) استأنسنا برأى الاستاذ الفاضل مصطفى جواد فى هذه القضية .

يصبح ألفا وبهذا استحال الفعل رباعيا ناقصا مع بقاء التضعيف في عينه ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

مدّ تصبّح مدّى

مطّ تصبّح مطّى (ثم ذهب الى أهله يتمطى) الآية

ذرّ تصبّح ذرّى

دلّ تصبّح دلى

سرّ تصبّح سرّى

ربّ تصبّح ربّى

وربما جاء من هذه الافعال التي استحالت على هذه الطريقة رباعية ناقصة ، أفعال ثلاثية :

فمن (ذرّى) جاء (ذرا) ، ومن (سلى) جاء (سلا) •

وما دمنا نرى ان المضعف أصل لهذه الافعال على هذه الطريقة أو على طريقة التعويض فلا بد من الإشارة الى أن كثيرا من الأفعال المصدرة بالنون قد استفادت النون بهذه الطريقة من المضعف الذى هو أصل مثال ذلك : نفر الآتية من فرّ ، وتلّ التى تأتى من تلّ أو نثّل من ثلّ ، وما زالت اللغة الدارجة تستعمل (شرّ الثوب) بمعنى (نشر) وعلى هذا الاساس تكون نجر من جرّ • ولما كان الكلام عن النون وهى صدر فى الفعل ، فهناك النون التى هى كسع فيه ، والتى جاءت الفعل على هذه الطريقة من المضعف ، مثال ذلك الفعل أدمن الذى يعنى الدوام جاء من المضعف ، وقد عرضنا الى ذلك فى مادة الديمومة • فالنون هى تعويض من الميم ، جاء فى الاغانى « ج ٦ ص ٢١ ط دار الكتب » كان مدمنا للحج (١٦) •

ولابد أن أشير فى الختام الى ان هذه آراء شخصية قلت بها بعد أن تبين لى من الاستقراء ما يؤيدها •

(١٦) اختصت ادمن فى اللغة المتداولة بالتزام الشر والمنكرات ، مثال ذلك ادمن فلان على الخمرة •

حقيقة التضمنين في علوم العربية

ان اصطلاح « التضمنين » يدل على دلالات متباينة بحسب المادة التي استعمل فيها ، واستفادت منه • نراه في كتب البلاغة في « باب التضمنين والاقباس » ، وهو في مادة « العروض » في باب « عيوب القوافي » كما انه يدخل في أبواب من النحو مثل « باب حروف الجر » و « المتعدى واللازم » • ومن أجل ذلك فالباحث فيه ازاء موضوع واسع الاطراف ، كثير المسالك ، ولكننا اجتهدنا أن نفيه حقه ملتزمين بالايجاز في عرض الوجوه المهمة ولاسيما ما يتعلق منها بالمسائل اللغوية والنحوية ، ولأجل الوصول الى هذا الغرض رأينا أن نقسمه الى قسمين :

- (١) قسم يعرض لمدلول هذا الاصطلاح في علمي البلاغة والعروض ، وهو قسم موجز نبين فيه مدلول الاصطلاح ، ثم نربط بين المدلول ومسألة التجديد والتقليد في الادب •
- (٢) وقسم نعرض لمدلول هذا الاصطلاح في النحو واللغة ، وهذا القسم هو الجانب المهم في هذا البحث • ويكشف هذا الجانب عن قضية ارتباط مدلولات الالفاظ في النصوص ، وعن محاولة علماء العربية لتبرير هذا الارتباك بوسائلهم المنطقية المعروفة •

(١) التضمنين في علمي البلاغة والعروض

يلمح الباحث في الادب العربي ظاهرة التقليد ، ولا يحتاج الامر الى دليل في هذا ، فظواهر التقليد واضحة في مختلف العصور الادبية ، وهي تتخذ أشكالا عدة لا نرى حاجة في تبيانها • والتضمنين الذي نواجهه في « باب الاقباس والتضمنين » من هذه الاشكال التقليدية • وملاك هذا التضمنين البلاغي كما يقرر ابن رشيق في عمدته^(١) : « هو قصدك الى البيت من الشعر

(١) ابن رشيق العمدة ٨٤/٢ •

أو القبيص فتأني به في آخر شعرك ، أو في وسطه كالتمثل ، نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكتاب :

يا خاضب الشيب والايام تظهره
هذا شباب لعمر الله مصنوع
أذكرتني قول ذي لب وتجربة
في مثله لك تأديب وتقريع
ان الجديد اذا ما زيد في خلق
تبين الناس أن الثوب مرقوع

فهذا جيد في بابه ، وأجود منه أن لو لم يكن في البيت الاول والآخر واسطة ، لان الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرقة ، أو على أن هذا البيت غير مشهور ، وليس كذلك ، بل هو كالشمس اشتهارا ، ولو اسقط البيت الاوسط لكان تضمينا عجيبا ، لان ذكر الثوب قد اخرج الثاني من باب الاول الا في المعنى ، وهذا عند الحذاق أفضل التضمين ، فانما احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له :

ولا ذنب لي ان ساء ظنك بعدما
وفيت لكم ، ربي بذلك عالم
وها أنا ذا مستقب متصل
كما قال عباس وأنفى راغم
وأبيات العباس بن الاخيف التي منها البيت المضمن هي قوله :
وصبأ أصاب الحب سوداء قلبه
فأنحله ، والحب داء ملازم
فقلت له اذ مات وجداً بحبه
مقالة نصح جانبها المائم
تحمّل عظيم الذنب ممن تحبه
وان كنت مظلوماً فقل : أنا ظالم

فأنك إن لم تحمل الذنب في الهوى

يفارقك من تهوى وأنفك راغم^(٢)

فتحن نرى في هاتين المقطوعتين أن ابن المعتز لم يكف بتضمين بيت العباس وحده ، وإنما استوحى روح المقطوعة وقسما من ألفاظها ، وذلك يدل على ما كان فيه الشعراء من التسبع لاشعار غيرهم •

وعلى هذا فلا يمكن أن يكون التضمين إلا لونا من ألوان التقليد ، ولا نظن أن الشاعر المبتكر يستعين بهذه الوسيلة في فنه ، ومن أجل ذلك يذكر ابن رشيق مفهوما آخر للتضمين يعتبره أجود مما ذهب إليه حيث يقول^(٣) :

« وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمّن عن معنى قائله الى معناه ، نحو قول بعض المحدثين ، ونسبه قوم الى ابن الرومي :

يا سائلي عن خالد عهدى به

رطب العجان وكفه كالجلد

كالأفحوان غداة غبّ سمائه

جفت أعاليه وأسفله ندي

وابن الرومي ، أو الشاعر الآخر المحدث قد صرف - كما يقول ابن

رشيق - قول النابغة في صفة الثغر :

تجلو بقادمتي حمامة أيكه

برّداً أسيفاً لثامه بالاثمد

كالأفحوان غداة غبّ سمائه

جفت أعاليه وأسفله ندي

الى معناه الذي أراد •

ولست أدري ما وجه الجودة في هذا الصرف الذي تفضحه العبادات المتشابهة !! وليس هذا الا التقليد الذي عبّر عنه ابن رشيق بعبارته الفنية المذكورة •

(٢) المصدر السابق •

(٣) المصدر السابق •

وليس أدل على التقليد الفاضح من الشعراء الذين يضمنون قسيما كما
فعل الصولي :

خلقت على باب الأمير كأنني
« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »
إذا جئت أشكو طول ضيق وفاقه
« يقولون : لا تهلك أسي وتجمل »

ففاضت دموع العين من سوء ردهم
« على النحر حتى بلّ دمي محملي »
لقد طال تردادي وقصدي اليكم

« فهل عند رسم دارس من معول »
والشاعر في تضمينه هذا ، والذي لا يدل الا على التقليد والتبع
الواضح ، قلّ أن يناسب بين ما له وما أخذه .
وهناك ركن آخر من أركان هذا التضمين ، وهو أن يقلب الناظم بيتا
فيضمنه معكوسا ، نحو قول العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن
عبد الملك :

لقد أنكرتني أنكادَ خوف
يضم حشاك عن شمي وذجلي
كقول المرء عمرو في القوافي
لقيس حين خالف كل عدل
« عذيرك من خليلك من مراد
أريد حياته ويريد قتلي »

والبيت المضمن لعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، يقوله لابن اخته
قيس بن زهير بن هيرة بن مكشوح المرادي ، وكان بينهما بعد شديد
وعداوة عظيمة ، وحقيقته في شعر عمرو :
أريد حياته ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مراد^(٤)

(٤) المصدر السابق .

وابن رشيق فى العمدة يفصل فى التضمن فيذكر منه أشكالا عدة ، وهى فى مجموعها تدل على التقليد والمحاكاة • ونحن نجتزئ بهذا القدر من الامثلة ، والذي ذكرناه يعطى صورة موجزة عن التضمن فى باب الاخذ والاستعانة بآثار الآخرين • ولم يلجأ كثيرا الى هذه الوسيلة ، الا الشعراء المتخلفون الذين حرموا الابتكار والتجويد ، على أن علي بن عيسى الرمانى يعد التضمن بابا من أبواب البلاغة التى تنحصر عنده فى عشرة ، غير أن مفهوم التضمن عنده مفهوم كلامى محض كما يعبر عنه بقوله (٥) :

« تضمن الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هى عبارة عنه • والتضمن على وجهين : أحدهما ما كان يدل عليه الكلام دلالة الاخبار ، والآخر ما يدل عليه دلالة القياس • فالاول كذكرك الشيء بأنه مُحدث ، فهذا يدل على المحدث دلالة الاخبار ، والتضمن فى الصفتين جميعا ، الا أنه على الوجه الذى بينا • وكذلك سبيل المكسور ومنكسر ، وساقط ، ومسقط •

وأما التضمن الذى يدل عليه دلالة القياس فهو ايجاز فى كلام الله عز وجل خاصة ، لانه تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة ، فنصبه لها يوجب أن يكون قد دل فى كل وجه يصح أن يدل عليه • وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة ، لانه قد تذهب اليه دلالتها من جهة القياس ولا يخرجها عن أن يكون قد قصد بها الابانة عما وضعت له فى اللغة من غير أن يلحقه فساد العبارة • وكل آية فلا تخلو من تضمن لم يذكر باسم أو صفة ، فمن ذلك « بسم الله الرحمن الرحيم » قد تضمن التعليم لاستنتاج الامور على التبرك به والتعظيم لله بذكره ، وانه أدب من آداب الدين وشعار للمسلمين ، وانه اقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التى هى من أجل نعمة ، وانه ملجأ الخائف ومعتد للمستجيع •

وواضح من هذين القسمين أن « الرمانى » اعتمد على منهج كلامى فى

(٥) النكت فى اعجاز القرآن ٩٤ فى كتاب « ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن » .

ذهابه الى أن المفعول متضمن معنى فاعل ، وكذلك نصه على أن الآية تتضمن معاني أخرى وانه بينها في كتابه « الجامع لعلم القرآن » كما ذكر في آخر هذا الفصل .

أما مدلول الاصطلاح في « العروض » فهو يستند على ما قرره العروضيون في أن البيت في القصيدة إنما هو شعر قائم بنفسه ، وإن من عيوب القافية عندهم ان البيت لا يتم معناه الا بالذي يليه ، ويسمون هذه الظاهرة في القوافي تضمينا^(٦) . ويتفق أغلب المعنيين بالقوافي ، على ان هذا عيب من عيوب القوافي ويشدون على هذا قول الشاعر :

وليس المال فاعلمه بمال

من الاقوام الا للذي
يريد به العلاء ويمتهنه

لأقرب أقربيه وللقصي

فضمن بالموصول والصلة على شدة اتصال كل واحد منهما بصاحبه .
وينقل لنا صاحب التاج خلافا طويلا حول جواز التضمن في القوافي أو عدمه ، والذي يفتينا من هذا ، هو ان هذه الظاهرة كثيرة في الشعر العربي ، والشاعر مضطر الى هذا في ظروف خاصة ، ما بقي ملتزما بالوزن والقافية .

التضمن في اللغة والنحو :

عرضنا في القسم الاول للتضمن في البلاغة والعروض ، ونعرض الآن في هذا الفصل الى القسم الثاني من البحث وهو التضمن في اللغة والنحو . وفي الحق ان هذا القسم غير مستقل عن الاول من حيث بعده عن البلاغة واتصاله بالمباحث اللغوية والنحوية ، فقد امتدت اليه يد البلاغة ، فتأقشت اصوله في ضوء العقلية البلاغية التي شاعت في المنهج اللغوي ، ومعلوم ان المنهج البلاغي يستدعي البحث في النصوص الادبية عن الصور البيانية والقيم الجمالية .

(٦) انظر مادة « ضمن » في لسان العرب وتاج العروس .

ومعلوم ايضا ان الجانب النحوى واللغوى فى موضوع التضمن قد تعرض لسؤالات بلاغية ، كالاستفسار عن ماهيته ، أحقيقه هو أم مجاز ؟ وهل القيد فيه حال منتزعة من المنقول منه ؟ وما الى ذلك من الامور البلاغية المحضة .

ولكى نعطي فكرة واضحة عن هذا القسم ، رأينا أن نعرض لمواضع التضمن فى الاستعمال لنخلص الى تحديده وضبطه وتعريفه ، ثم نقرر أحقيقه هو أم مجاز ؟ رغبة منا فى أن نصل بعد هذا الى أنه قياسيا يجوز أن يقاس على ما اشتهر استعماله ، أو انه سماعى لا ينقاس عليه .

التضمن فى الاستعمال :

لم يسلم منهج الباحثين فى علوم العربية من قيود المنطق وآثار الفلاسفة . ذلك ان العقلية الفلسفية قد غزت سائر العلوم ، فقد استهوى منطق أرسطو وفلسفة الفلاسفة الآخرين الباحثين فى الثقافة العربية الاسلامية ، فتأثروا بهذا فى سائر علومهم . وكان من نتائج ذلك أن تأثر البحث اللغوى والنحوى بهذا المنهج الدخيل على النحو واللغة ، وكان تأثيره فى النحو واللغة سلبيا ، فقد أحال كثيرا من الابواب اللغوية والنحوية مادة جامدة بعيدة عن الحياة ، وبعيدة عن طبيعة اللغة السهلة السمحة . ومن أجل هذا ظهرت فى علوم العربية قواعد وأحكام لم تكن وليدة الاستقراء الشامل الواسع للغة ، كقولهم مثلا : ان الفعل « كذا » يأتى لازما ولا يأتى متعديا ، وان الحرف « كذا » يأتى لمعنى ولا يأتى لغيره وهكذا ، فاذا فطنوا ان هذا الفعل وذلك الحرف ، قد أتيا على غير ما ذكروا ، فزعوا الى طريقتهم ومنهجهم . يؤولون ويعللون ، كأن يقدرون محذوفاً ، أو يحذفون ما هو مذكور . وليس هذا مجال عرض المشكلات اللغوية والنحوية التى أفسدها المنهج المنطقى ، فهى كثيرة معروفة للباحثين .

وبحث التضمن الذى ندرسه يظهر اضطراب علماء العربية القائلين به ، فهناك نصوص تند عما وضعوه من أحكام وقيود ، لم يجدوا الى حلها غير القول بالتضمن ولا بد للباحث فى علم الدلالات

Sémantique

بغية الافادة منه في اللغة العربية ، أن يعاني صعوبة البحث اذا ما أراد أن
يخلص للمنهج السليم ولاسيما في عصورنا الحديثة .
فأقول مجال للتضمن ، هو حروف المعاني ، أو حروف الصفات على
حد تعبير ابن قتيبة^(٧) .

(١) الحرف « في » تضمن معنى « على » كقوله تعالى : « ولاصليكم
في جذوع النخل »^(٨) أي على جذوع النخل . قال الشاعر :
وهم صلبوا العبد في جذع نخلة
فلا عطست شيان الا بأجدعا
وقال عترة :

بطل كأن ثيابه في سرحة
يُحذى نعال السَّبَّ ليس بتوأم
أي على سرحة من طوله .

(٢) الحرف « الى » تضمن معنى « في » كقول النابغة :
فلا تتركني بالوعيسد كأنني
الى الناس مطلي به القار أجرب
يريد في الناس ، وقال طرفة بن العبد :
وان يلتق الحي الجميع تلاقني

الى ذروة البيت الكريم المصمّد
أي في ذروة البيت الكريم الذي يُصمّد اليه ويقصد .
(٣) الحرف « على » تضمن معنى « عن » كقول القحيف العقيلي :
اذا رضيت علي بنو قُشَيْرٍ
لعمر الله أعجبنني رضاها^(٩)
أي رضيت عني .

(٧) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ٤٢٦ ، ادب الكاتب ٥٠٢ .
(٨) سورة طه ٧١ .
(٩) السيوطي ، همع الهوامع ٢٨/٢ .

(٤) حرف « الباء » تضمن معنى « عن » كقوله تعالى : « فاسأل به خبيراً » (١٠) أى عنه •

قال علقمة بن عبدة :

فان تسألوني بالنساء فأنتي
بصير بادواء النساء طيب

وقال ابن أحمر :

تسائل يابن أحمر من رآه
أعارت عينه أم لم تعارا

(٥) الحرف « عن » تضمن معنى « الباء » كقوله تعالى : « ولا تجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض » (١١) أى لا تجهروا عليه بالقول ، والعرب تقول : سقط فلان لفيه ، أى على فيه • قال الأشعث بن قيس :

تناول بالرمح الطويل ثيابه
فخر صريعا لليدين وللهم
أى على اليدين والهم • وقال الطرماح بن حكيم :

كان مَخْوَماً على ثفتاتها
معرّس خمس وقعت للجنان

(٦) الحرف « الى » تضمن معنى « مع » كقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » (١٢) أى : مع أموالكم وكقوله تعالى : « من انصارى الى الله » (١٣) أى مع الله • والعرب تقول : « الذود الى الذود ايل » ، أى : مع الذود •

(١٠) سورة الفرقان ٥٩ •

(١١) سورة الحجرات ٢ •

(١٢) سورة النساء ٢ •

(١٣) سورة آل عمران ٥٢ •

قال ابن مفرّغ :

شدخت غرة السوابق منهم

فى وجوه الى اللحم الجعاد^(١٤)

أى مع اللحم الجعاد .

(٧) حرف « اللام » تضمن معنى « الى » كقوله تعالى : « بأن ربك

أوحى لها »^(١٥) ، أى أوحى إليها .

قال تعالى : « الحمد لله الذى هدانا لهذا »^(١٦) ، أى الى هذا ، كما

قال تعالى : « وهذاه الى صراط مستقيم »^(١٧) .

(٨) الحرف « على » تضمن معنى « من » كقوله تعالى : « اذا اكلوا

على الناس يستوفون »^(١٨) أى من الناس .

وقال صخر الغي :

متى ما تنكروها تعرفوها

على أقطارها علق نفيث

أى من أقطارها .

(٩) الحرف « من » تضمن معنى « الباء » ، كقوله تعالى : « ويحفظونه

من أمر الله »^(١٩) ، أى بأمر الله . وقال تعالى : « يلقي الروح من أمره »

أى بأمره .

(١٠) حرف « الباء » تضمن معنى « من » كقول ابى ذؤيب الهذلي :

شربن بماء البحر ثم ترفعت

متى بجح خضر الهن نثيج

وقال تعالى : « عينا يشرب بها المقربون »^(٢٠) أى منها .

(١٤) ورواية اللسان الى الكمام الجعاد ، انظر مادة « شدخ » .

(١٥) سورة الزلزلة ٥ .

(١٦) سورة الاعراف ٤٣ .

(١٧) سورة النحل ١٢١ .

(١٨) سورة المطففين ٢ .

(١٩) سورة الرعد ١١ .

(٢٠) سورة المطففين ٢٨ .

نحتزىء بهذه الشواهد فتيين فيها ان النحويين وعلماء اللغة فى حيرة واضطراب ، فهم يرون حرفا قد استعمل فى مكان آخر ، ولا بد لهم أن يتخلصوا من هذه الحيرة وهذا الاضطراب بوسيلة من وسائلهم •

والبصريون يمنعون اناة الحروف الجارة عن بعض قياسا ، كما لا تنوب حروف الجزم والنصب بعضها عن بعض ، وما أوهم ذلك محمول على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف أو على شنوذ النيابة ، والكوفيون يجوزون نيابة بعضها عن بعض قياسا^(٢١) ، وقد رجح ابن هشام مذهبهم فقال : « ومذهبهم أقل تعسفا »^(٢٢) •

ولقد اختلف البصريون والكوفيون فى هذا الباب اختلافا كبيرا ، واختلافهم يشير الى أن هؤلاء جميعا لم يستقرؤا كلام العرب استقراء وافيا ليسجلوا هذه الاستعمالات وليقيدوها بقائلها ، وبالزمن الذى قيلت فيه ، مهتمين بموضوع اللغات الخاصة التى أجازت استعمالا دون آخر •

قال ابن الانبارى فى الانصاف : « ذهب الكوفيون الى أن (من) الجارة يجوز استعمالها فى الزمان والمكان ، وذهب البصريون الى أنه لا يجوز استعمالها فى الزمان ، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز استعمال (من) فى الزمان أنه قد جاء ذلك فى كتاب الله تعالى وكلام العرب • قال الله تعالى : « لمسجد اسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه »^(٢٣) وقال زهير :

لمن الديار بقنة الحجر

أقوين من حجج ومن دهر

فدل على أنه جائز •

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن « من » فى المكان نظير « مذ » فى الزمان ، لان من وضعت لتدل على ابتداء الغاية فى المكان ،

(٢١) المخزومى ، مدرسة الكوفة ٣٢٦ •

(٢٢) ابن هشام ، المغنى حرف الباء ١٠٣ •

(٢٣) سورة التوبة ١٠٨ •

كما ان مذ قد وضعت لتدل على ابتداء الغاية في الزمان ، ألا ترى انك تقول .
 ما رأيته مذ يوم الجمعة ، فيكون المعنى ان ابتداء الوقت الذي انقطعت فيه
 الرؤية يوم الجمعة ، كما تقول : ما سرت من بغداد ، فيكون المعنى : ما
 ابتدأت بالسير من هذا المكان • فكما لا يجوز أن تقول ما رأيته من يوم
 الجمعة ، كذلك لا يجوز أن يقول ما سرت مذ بغداد •

وهذا الخلاف والجدل يظهر ان الكوفيين أسد رأيا وأصوب منهجا ،
 ذلك انهم اعتمدوا استعمالات بنوا عليها رأيهم ، وهذا وجه علمي صائب •

أما البصريون فانهم تمسكوا بجدل واسلوب منطقي واعتمدوا على
 استعمالات اصطنعوها هم انفسهم ولم يعتمدوا على أمثلة مستقراة في الثابت
 من النصوص والاستعمالات •

وقد استمر الكوفيون على مذهبهم في اناة كلمة عن اخرى ، فالفراء
 قد أجاز أن تقع « ليت » في موضع « تمنيت » وبهذا علل كون « ليت » أقوى
 أدوات النصب عنده ، وقد أجاز نصب المسند اليه والمسند بها مستشهدا
 بقول الشاعر :

يا ليت أيام الصبا رواجعا (٢٥)

لأنها شربت معنى تمنيت ، فاذا قيل : ليت زيدا قائما ، كان معناه :
 تمنيت قيام زيد وقد ورد من هذا قول الشاعر :

إذا اسود جنح الليل ولتأت ولتكن

خطاك خفافا ان حراسنا أسدا

وقد جاء في الحديث : « ان فعر جهنم لسبعين خريفا » وقولهم ان زيدا
 أخانا (٢٦) • وقد أنابوا فعلا عن فعل آخر على سبيل التضمن ، وهو موضوع
 يكشف ان علماء العربية لم يتعقبوا الاستعمالات ويقيدها كما أشرنا ، ومن

(٢٤) ابن الانباري ، الانصاف في مسائل الخلاف ٢٢٨ •

(٢٥) معاني القرآن - ورقة ٤٥ عن مدرسة الكوفة ، السيوطي ،

الهمع ١٣٤/١ •

(٢٦) السيوطي ، الهمع ١٣٤/١ ، شرح الرضى على الكافية

٣٤٦/٢ - ٣٤٧ •

ذلك فان وجدوا شيئا خرج قروءه من قواعد وضوابط احتالوا عليه
بوسيلة من وسائلهم ، ولذلك قالوا بالتضمين :

قال الزمخشري : « ومن شأنهم أن يضمّنوا الفعل معنى فعل آخر
فيجروء مجراه ويستعملوه استعماله مع ارادة معنى المتضمن » قال
والغرض فى التضمين اعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من اعطاء معنى ،
ألا ترى كيف رجع معنى (ولا تعد عينك عنهم)^(٢٧) الى قولك : ولا
تقحمهم عينك مجاوزتين الى غيرهم ، وكذلك قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم
الى أموالكم)^(٢٨) أى لا تضموها اليها آكلين » .

وأنت ترى أن حقيقة التضمين عند الزمخشري قائمة على أساس
ضعيف اذ كيف يجوز أن يتضمّن الفعل فى جملة واحدة معنيين ، ولم يفت
هذا الاضطراب المعنوى على الاقدمين أنفسهم ، فقد ذكر الشيخ سعدالدين
التفتازانى فى حاشية الكشاف : فان قيل الفعل المذكور ان كان مستعملا فى
معناه الحقيقى فلا دلالة على الفعل الآخر ، وان كان فى معنى الفعل الآخر
فلا دلالة على معناه الحقيقى ، وان كان فيهما جميعا لزم الجمع بين الحقيقة
والمجاز .

والسيوطى فى الاشباه والنظائر يورد أقوالا متضاربة تظهر بوضوح
مدى حيرة الاقدمين ازاء الاستعمالات والاساليب ، ومن أجل ذلك لم يتفقوا
على حقيقة التضمين وطريقته ، فقد نقل ابن جني فى الخصائص :
« اعلم ان الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر وكان احدهما يتعدى بحرف ،
والآخر بآخر ، فان العرب قد تتسع فتوقع احد الحرفين موقع صاحبه ايذانا
بأن هذا الفعل فى معنى ذلك الآخر ، فذلك جيء معه بالحرف المعتاد على
ما هو فى معناه وذلك كقوله تعالى (أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث الى
نساءكم)^(٢٩) وانت لا تقول رفثت الى المرأة ، وانما تقول رفثت بها أو معها

(٢٧) سورة الكهف ٢٨ .

(٢٨) سورة النساء ٢ .

(٢٩) السيوطى ، الاشباه والنظائر ١٠١/١ .

لكنه لما كان الرفع هنا في معنى الافضاء وكنت تعدى أفضيت بـ (الى)
كقولك : أفضيت الى المرأة ، جئت بالحرف (الى) مع الرفع ايذانا واشعارا
أنه بمعنى « (٣٠) » .

وقد وقع مجمع اللغة العربية في الحيرة نفسها ولم يستطيعوا أن
يدرسوا المشكلة دراسة أسلوبية حديثة ، فقد أخذوا بالتضمن ، وقالوا
بتضمن أفعال كثيرة لمعان كثيرة (٣١) .

وتترداد طائفة الأفعال المتضمنة لمعان أخرى اذا ما فتشنا عن هذه الأفعال
في كتب البلاغة .

فقد ذكر سعد الدين التفتازاني : ان الظهور بمعنى الزوال كما في
قول الحماسي :

وذلك عارٌ يا ابن ربيعة ظاهر .

وقول أبي ذؤيب : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ، أي زائل (٣٢) .

ولم يقتصر الامر على تضمنين فعل بمعنى فعل آخر ، وانما تعداه الى
صيورة فعل لازم فعلا متعديا أو بالعكس .

ومن ذلك ما جاء في مجلة مجمع اللغة العربية : « وجاز تضمنين اللازم
المتعدى مثل : فانه سفته نفسه أي أهلكها .

وذهب ابن هشام الى أبعد من هذا ، اذ قال : « وزعم قوم من المتأخرين
منهم خطاب الماردني أنه يجوز تضمنين الفعل المتعدى لواحد معنى « صير »
ويكون من باب « ظن » فأجاز « حفرت وسط الدار بئرا » أي صيرت .
وقد أجاز « بنيت الدار مسجدا » ، وقطعت الثوب قميصا ، وقطعت الجلد
نعلا » وجعل منه قول ابي الطيب :

فمضت وقد صبغ الحياء بياضها

لوني كما صبغ اللجين العسجدا (٣٣)

(٣٠) السيوطي ، الاشباه والنظائر ١/ ١٠٤ .

(٣١) دور الانعقاد الاول ٢٠٦ .

(٣٢) التفتازاني ، شروح التلخيص ٩٧/٤ .

(٣٣) السيوطي ، الاشباه والنظائر ١/ ١٠٣ .

وأنت ترى مما عرضنا أن مواضع التضمن واسعة ، وهذا الاتساع لا يدل على سعة البحث في الموضوع أو أنهم تعمقوا في المشكلة فعرضوا لوجوهها جميعا ، وإنما يدل على حيرتهم في البحث عن المعاني والاسباب ، وربما كشف عن جمودهم ووقوفهم عند استعمالات لا يتعدونها الى غيرها ، وما خلا هذه الاستعمالات فهو بين أن يكون محمولا على الخروج والخطأ والتجاوز ، أو انه داخل في باب التضمن ان لم يجدوا وجهها الى تخطئته وخروجه كأن يكون من كلام الله ، كقوله تعالى : « أفلم يئأس الذين آمنوا » (٣٤) وقد ذكر المفسرون أن معناه : أفلم يعلم وقد قالوا : انها لغة نضع وهوزان ، وقال سحيم بن وثيل اليربوعي :

أقول لهم بالشعب اذ يأسرونني

ألم تئأسوا اني ابن فارس زهدم

وقد روى « ألم تعلموا » على الوجه الصحيح ، كما ان ابن عباس قد قرأ : (أفلم يتبين الذين آمنوا) ، وقد أنكر الفراء كون « يئأس » بمعنى يعلم .

وقد تبين ان التضمن أن تستعمل مادة فعلا كان أو اسما أو أداة محل غيره مع قرينة ، قولية أو حالية ، تشير الى المعنى الذي استعمل ، وهذا الحد في التضمن يثير الاستفسار عن المادة المستعملة من حيث الحقيقة والخروج عنها الى المجاز أو الكتابة أو الاستعادة .

لقد اختلف الاقدمون في حقيقة التضمن من حيث كونه حقيقة أو انه خروج عن الحقيقة الى غيرها توسعا ومجازا ، ونستطيع أن نخلص الى مذاهب ثلاثة في الموضوع : فالمذهب الاول يقرر ان المادة المتضمنة قد استخدمت على الوجه الحقيقي مع قطع الصلة بينها وبين الاصل . والمذهب الثاني يقرر ان المادة قد استخدمت على الوجه المجازي مع القرينة الدالة . والمذهب الثالث يجمع بين المذهبين فيقرر أن المادة مستخدمة على الحقيقة والمجاز في آن واحد .

أما المحدثون الذين أقرّوا التضمين ، فقد كانوا يريدون الاخذ به
للحاجة اليه ولأن متطلبات العصر تستدعى أن تسعف العربية بمادة ضخمة
حتى تسائر الحياة الحاضرة ومتطلباتها المعقدة الكثيرة • وقد فعل هذا مجمع
اللغة العربية بالقاهرة وقال بقياسية التضمين •

وتظهر هنا مسألة مهمة تتعلق بهذه « القياسية » التي يراد منها أن
تستخدم استخداما فنيا (Technique) في الحياة العامة ، وما جد فيها من
ضروب العلم التجريبي والنظري •

وإذا جاز هذا ، جاز أن تتوسع في الموضوع وتدخل هذا في اللغة
الادبية والاسلوب الفني الذي يعتمد على خلق الصور الادبية التي تستمد
عناصرها من خيال الاديب الذاتي ، ومما توحيه له بيئته ومجتمعه •

وينجم عن هذا أن لا بد أن تؤرخ الالفاظ وتقيد بعصورها وبقائلها
حاسين للإقاليم والمجتمعات حسابها في الاستعمالات وما شاع بينها من فنون
القول ، وبهذا تفيد المعجمية العربية فائدة جلية ، فيعاد بناء المعجمات المطولة
على أساس جديد ، بمراعاة الظروف التاريخية وتطورها وانعكاس هذه
الظروف المتطورة في المادة اللغوية ، ومن هنا تأتي ضرورة القيام
بمعجم تاريخي •

الثقافة العربية والاقليمية

لن أحدثك عن العراق فما أغناك عن حديث تعرف من أمره شيئا كثيرا ، ولا أريد أن أعيد عليك حديث البصرة والكوفة من حواضر الثقافة العربية الاسمية ، ودع عنك « مدينة السلام » فالحديث عنها ذو شجون ، وما أراك الا قد عرفت من ذلك ما أنت مكف به ، ولم أقصد أن أحدثك عن أى قطر من أقطار العربية فى هذا الشرق العربى ، فأنت تعرف مصر والشام وأقاليم الجزيرة ، وإن هذه جميعا منسجمة فى ثقافتها وتفكيرها ، أو قل إن وحدة فكرية تشتمل على هذه الديار من أرض العروبة .

ولكنى سأحدثك عن جماعات أحبت الثقافة العربية وشغفت بها ، كما أحبت الاسلام ولزمته ، سأحدثك عن هؤلاء الاخوان المغاربة فى الشمال الافريقى الذين ما زلنا نحن « المشاركة » نجهل من أمرهم أشياء ، وما زال فى نفوسنا حاجة لمعرفة هؤلاء الناس . ولعلك تعرف من تاريخهم القديم فنونا كثيرة ، ولكنك تجهل من حاضرهم ما لست عنه بمستغن أبدا .

وليس عجيبا أنك لا تعرف عن تاريخهم الحديث كثيرا ، ذلك أن فرنسا الباغية الآثمة قد سدت المنافذ على هؤلاء الناس ، وصرفت أمورهم كما تحب وتهوى ، وحيل بينهم وبين الاتصال بالشرق من ديار العربية ، حتى فكر هؤلاء الجبابرة أن يمنعوا أداء فريضة الحج ، وأقاموا على طالب الحج شروطا ومصاعب ليشوه عما اعترم ، ولقد منعوا المشاركة العرب من دخول هذه الارض الطيبة ، وما سمحوا للحكومة المصرية أن تقيم « معهدا العلمى » فى المغرب فتحولت به الى منطقة الريف مما تدير أمره حكومة باغية اخرى وهى اسبانيا . وما كان لبشر منا أن يحدث نفسه بالذهاب الى هذه الديار يوم كانت الفئة الباغية تمسك بالرقاب ، ولم يقتصر المنع على العرب من المشاركة ، وإنما شمل غير العرب من الشرقيين المسلمين ، وربما تعدى ذلك الى غير المسلمين من الشرقيين .

وقد أحكم هؤلاء الظالمون قبضتهم على هذه الديار وأرادوا أن يمسخوا طابعها وحضارتها وقد عمدوا الى طمس الثقافة العربية-الاسلامية ، فما كانت العربية اللغة الرسمية التى تدار بها الشؤون العامة ، وهى لغة مجموع هذه الشعوب ، أقول لغة مجموع هذه الشعوب مع علمى أن البربرية قائمة ، وانها لغة القبائل من سكان الجبال ، وذلك لان هؤلاء البربر مضطرون الى تعلم هذه العربية ، وهى اللغة الشريفة عندهم ، وانها اللغة التى اتصل بها تاريخهم وانهم أجبوها حبا بحيث انك ترى « القبائلى » من هؤلاء يتحرق حزناً لانه لا يعرف العربية أو أن معرفته بها قاصرة .

وقد حاول الفرنسيون أن يعملوا على عزلة البربر وأن يثيروا فى نفوسهم نزعة تهدف الى النصر وتبغض العرب لديهم ، ولكنهم لم يفلحوا .

ولقد وقفوا فى وجه العربية ومنعوا تعلمها وتعليمها ما وسعهم ذلك بحيث اضطرت صحيفة التايمس الانكليزية الى أن تقول مرة : أصبح تعلم العربية فى الجزائر جريمة تستحق العقاب وان مزاولة هذا النشاط يشبه الى حد كبير ما تزاوله الجمعيات السرية فى أقبائها المظلمة .

ومن أجل ذلك باتت اللغة مشكلة من المشكلات المهمة فى هذه البلدان . وقد خصصت مجلة الفكر التونسية^(١) جزء من أجزائها لهذه المشكلة الخطيرة وتحدث فى المشكلة جماعة فيهم التونسيون وفيهم الفرنسيون .

وأنت اذا قرأت طائفة من هذه المقالات وجدتها تبحث فى المشكلة بحثاً علمياً صحيحاً ، ولكنك تلاحظ أن المشكلة قائمة فى الكتاب أنفسهم ، كأن يستعير الكاتب طرقاً أجنبية فى التعبير عرفها وترجمها شاعراً كان أم غير شاعر ، فقد جاء فى الجزء السابع^(٢) من هذه المجلة سنة ١٩٦٠ فى مقالة للكاتب الجنيدي خليفة : « جاحدا أكون اذا أنا بوصفى غريباً ، لم أشكر

(١) الفكر الجزء الخامس ١٩٦٠ .

(٢) الفكر الجزء السابع ١٩٦٠ ص ٦٢ .

الاستاذ . . . » وواضح جدا أن هذا الأسلوب غير عربى فبدء الجملة على هذه الصورة مما لا يسوغ فى هذه العربية التى تأبى التعقيد وتتوخى السهولة ، وهذا شئ سائغ فى الفرنسية مثلا •

وحديث استعارة الاساليب فى هذا الباب معروف للباحثين ، والاساليب الداخلة فى عربيتنا الحديثة ولاسيما فى هذه الديار كثيرة جدا •

وللمفارقة أقوال لا نعرفها نحن المشاركة ، فالكاتب فيهم يقول مثلا « وهذا على حدة قول فلان . . . » ولا نعرف فى العربية مؤنثا للحد على هذه الصورة وفى هذا المعنى ، وأنت تسمع مثلا فى اذاعة من الاذاعات اللاسلكية خبرا مؤداه أن فضامة الرئيس اقتبل على الساعة الخامسة . . . ، وهم يريدون بالفعل « اقتبل » « استقبل » أما قولهم على الساعة الخامسة فهو تعبير غير وارد فى العربية وربما كان للترجمة تأثير فيه ، وليس هذا من باب اضطراب المعربين فى استعمال حروف الجر •

ولعل المشاركة لا يفهمون شيئا من عباراتهم التى جاءت اليهم مترجمة أو أنهم ترجموها دون أن يشعروا ، فأنت تقرأ فى صحيفة المجاهد^(٣) مثلا : « والدول المسيطرة على حظوظ الامم . . . » والمراد بالحظوظ « المصائر » ولكن الكاتب أثر أن يترجم الكلمة الفرنسية "Sort" بالحظ فغابت عنا بعض الشئ ، وأنت تقرأ ايضا : « فأتانا لا نقصد الى أن الجيش الفرنسى كله متناسق منسجم ، ولكن نعى بها الاطارات المتطرفة لانها هى وحدها . . . » فلا تفهم معنى « الاطارات » فلم تنتقل هذه الكلمة فى العربية المعروفة انتقالا مجازيا على نحو ما قرأنا فى هذه العبارة ، ومن أجل هذا جاء المعنى مستغلقا وهى ترجمة لكلمة Cadres • وقد أبقت الفرنسية عند هذه الشعوب المؤمنة الطيبة آثارا لغوية واضحة ، فأسماء الشهور مثلا مما لا نعرفه نحن المشاركة فهم يستعملون « فيفرى » ويريدون به « شباط » و « جانفى » ويريدون به « كانون الثانى » وهكذا فى سائر أسماء الشهور • ولم يقتصر

(٣) المجاهد العدد ٦٥ سنة ١٩٦٠ •

هذا على اللغة السائرة الدارجة بل تعداه الى اللغة الادبية العالية^(٤) . ورب
وقعت فى كتبهم على شىء لا تقرأه ولا تستريح اليه ، فهى مرقومة بالارقام
الاوربية ، بدلا مما تواضع عليه الشرقيون فى رسم الارقام ، وحجتهم انها
عربية قد أخذها الاوربيون ، والوجه انها جميعا هندية ثم استقرت على نحو
ما نعرف من التقسيم الجغرافى ، فلا تستريح مثلا أن ترى « اعجاز القرآن »
للجرجاني ، وهو من أجل الكتب المعروفة والتي تتصل بأكثر من باب واحد
فى علوم العربية ، مرقوما بالارقام الاوربية .

ومن آثار الفرنسية عندهم ما يبدو فى أسمائهم ، من أنهم يقدمون
اللقب على الاسم ، واللقب مشير الى الاسرة ، وهذا مما لا نعرفه فى العربية .
وربما كانت المشكلة هينة بعض الشئ فى تونس والمغرب الاقصى ،
ولكنها صعبة فى الجزائر ، ذلك أن فى تونس والمغرب معاهد ناهضت
الاستعمار البغيض وثبتت على مر العصور طوال حكم المستعمرين ، ثم ان
نظام الحكم فى هذين البلدين غيره فى الجزائر التى حاولت فرنسا أن تضمها
اليها وأن تعتبرها ولاية تابعة كآية ولاية فرنسية فى أرض فرنسا وهم
يتشدقون بعبارتهم : L'Algerie Francaise . ويقصدون بها الجزائر
الفرنسية ، فقد أحكموا عليها سلطانهم فاستعبدوا الناس وأذلّوهم وعملوا على
مسح طابعهم العربى الشرقى المسلم .

وقد نتج الفرنسيون فى مسعاهم بعض الشئ ، فالعربية تكاد تكون
لغة أجنبية ، ولا تعجب أن تجد جمهرة كبيرة فيهم المثقف وغير المثقف ممن
لا يعرف العربية الا فى الدارج السائر الكسيح الذى غلبت عليه الفرنسية ،
فانت تسمع مثلا أن الجزائرى يقول فى غير ما تكلف ولا تصنع « الباب
ferme » فهو يجمع بين كلمتين احدهما عربية والاخرى فرنسية ويريد
بهذا التركيب المسوخ « اغلق الباب » . واذا أصغيت لجزائرى عامل ممن

(٤) جاء فى قصيدة للشاعر ابن تومرت يحى فيها الذكرى الثالثة
للثورة الجزائرية :

دعا التاريخ ليلك فاستجابا نغنبر هل وفيت لنا النصابا
والمراد بـ « نغنبر » تشرين الثانى .

يشتغلون في فرنسا وهو يتكلم ، استطعت أن تلمح الكلمات الفرنسية موزعة في كلامه الدارج دون أن يعتمد الى هذه العملية التركيبية .

وربما تعدت هذه الطريقة في التعبير مجالات الحياة اليومية الى مجالات اخرى ، فالجزائري ينادى رفاقه ليتجمعوا وليكونوا على صف واحد كما لو كانوا في الصلاة قائلا : « يرحمكم الله Alienz Vous » فكلمة « يرحمكم الله » تشير الى أن المقام متصف بالوقار ، متسم بالجد من الامر .

ولا أريد أن أعرض هذا دون أن أعرض عليك نموذجا من هذه اللغة الدارجة المبرقشة بالفرنسية كما في منظومة شعبية جزائرية^(٥) .

يا عمى جوني ، لفرنسيس راهم ظلموني بالشر قتلوني ، سلطوا علي الميزيرية^(٦) .

لقتنا فئات^(٧) ، حتى جوامعنا تفرمات^(٨) ما بقات حياة
درت ديسكور^(٩) ، وابدت انحوس واندور ، لا بقى واحد يسمع ليه

نولي ديبيتي^(١٠) ، ونولي برسيتي^(١١)
هذا نموذج يظهر عجز العربية السائرة الدارجة عن الاعراب عن المعاني وذلك لجهل القوم بالفصح المعروف .

(٥) يدعى الناظم (عبابة) وقد نظمت القصيدة سنة ١٩٤٤ بمناسبة انعقاد مجلس لجنة الإصلاحات وقد دعى الى حضوره جماعة من الوجوه في القطر الجزائري ممن يشير اليهم الناظم في منظومته لبدء الرأي في المشكلة الجزائرية .

(٦) الميزيرية كلمة فرنسية هي La misère أى الفقر .
(٧) فئات هو الفعل فنى والتاء للتانيث .
(٨) تفرمات كلمة فرنسية هي Fermer وتعنى الاغلاق والتاء الاولى فيها للمضارعة .

(٩) ديسكور وهى كلمة فرنسية Discours وتعنى الخطبة ، وكلمة درت معناه قلت .

(١٠) ديبيتى وهى كلمة فرنسية Député وتعنى الممثل للشعب أى النائب فى المجلس .

(١١) برسبيتى وهى كلمة فرنسية Précipité وتعنى السريع أو العاجل .

ومما هو جدير بالتنويه به جهود جمعية العلماء المسلمين ، وحركتها الدائمة من أجل احياء التراث القومي ، فقد نشرت معاهدها بالرغم من العقاب الصعاب التي يخلقها المستعمر الجائر لاجباط هذه المشروعات الخيرة . وكان من ثمرة هذه الجهود الطيبة أن ظهر في القطر الجزائري شعراء وادباء ، فقد حدث أن عقد هؤلاء اجتماعا سنة ١٩٣٢ وأنشدوا فيه من أدبهم ما أنشدوا مشيدين بكيان الجزائر وحقها في الاستقلال ، مشيرين الى تاريخها الثقافي وقوتها وسيادتها مارين بالانتفاضات الشعبية والثورات المتوالية ضد الحكم الفرنسي الجائر ، ومن هؤلاء الشاعر محمد العيد وهو القائل (١٢) :

ولي وطن حبيب لي خصب
وقفت على محاسنه هوايا
وكنت له من الاحرار عبدا
له روحي وما ملكت يدايا
أصابك يا جزائر عهد سوء
ظللنا بائسين به (خزايا)
وتزدهر المعادن كاشفات
مجاهل من مآثرنا خفايا
بلاد لا تركت الى بغيات
تشينك بالفساد ولا بغايا
حذار من الشقاق فان أقمتم
عليه عصاكم انكسرت شظايا

ومن قوله في الغرض نفسه :
حنوا العزائم وأصدقو الآمالا
ان الزمان يسجل الاعمالا

(١٢) مجلة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين سنة ١٩٥٨ ص ٢٣ .

يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم
فالعمر ساعات تمر عجالا
الاسر طال بكم فطال عناؤكم
فكوا القيود وحطموا الاغلالا
والشعب ضج من المظالم فانشدوا

حرية لتحقق استقلالا
ومن قصيدة له مخاطبا المستعمر الذى منع على الجزائريين أن يتعلموا
لقتهم وهى عنوان مجدهم ، ووسيلة فى تفهم ثقافتهم العربية الاسلامية :
يا من يحارب ديننا ولساننا فى ذى القرى
اعلم بأن الدين ديدن الله مصباح الورى
ثم يختم هذه المقطوعة بقوله :

فلقد حلفنا أن نعبد تراثنا أو نقبرا
وقد ظل الشاعر محمد العيد والشاعر ابن تومرت يذكيان فى الطليعة
المثقفة روح الحماس والاندفاع فى هذه الثورة المقدسة .
ومما يجب التنويه به ما يكتبه الجزائريون من أدب روحه وطابعه من
تربية الوطن الجزائرى ، غير أن لفته فرنسية ، وربما كان أكثر نضجا
وأعمق أفكارا من أدب اولئك الشعراء التقليديين ، ذلك ان هؤلاء قد أخذوا
من الفرنسية وطرقها ووسائل الاعراب فيها ما جعل فى أدبهم قوة وحياة ،
وأدب هؤلاء يقوم على القصة والمقالة ، ومن هؤلاء مولود معمري وادريس
الشرابي وغيرهم (١٣) .

(١٣) ابراهيم الكيلانى ، أدباء من الجزائر ص ٧ .

الثقافة العامة في التاريخ

كشف البحث العلمي عن صلة اللغة بالإنسان وبيئته ، فهي تظهر المجتمع الإنساني على حقيقته ، وقد اهتم بموضوع اللغة العلماء المختصون في العصور الحديثة ، كما بحثه الاقدمون فكتبوا فيه على الطريقة التي سلكوها في علومهم القديمة • على أن نفرا غير قليل من غير ذوي الاختصاص في موضوعات اللغة قد بحث في الموضوع نفسه في خلال دراساتهم ، ومن هؤلاء علماء الاجتماع وعلماء النفس والفلاسفة وآخرون غيرهم ، وليس عجيبا فقد بحث الفلاسفة الاقدمون في موضوع اللغة ، وكانت اللغة موضوعا فلسفيا عندهم •

وللموضوع جوانب كثيرة وأبواب متعددة ، فاللغة أساس كل أنواع النشاط الثقافي ، « وهي بذلك خير دليل يهتدى به الباحث الى معالم أي من المجتمعات الحديثة » (١) •

ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته وسعته ، تشغل اللغة مكانا ذا أهمية أساسية ، اذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع ، وهي في الوقت نفسه رمز الى حياتهم المشتركة وضمنان لها •

فما الاداة التي يمكن أن تكون أكثر كفاية من اللغة في تأكيد خصائص الجماعة ؟ فهي في مراتها ويسرها ، وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعاني تصلح لاستعمالات متشعبة ، وتقف موقف الرابطة التي توحد أعضاء الجماعة ، فتكون العلامة التي بها يعرفون والنسب الذي اليه ينتسبون (٢) •

وليست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه ، انما هي عامل مهم للترباط بين جيل وجيل ، وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتى بهذه

(١) Block and Tauger. Outline of Linguistic Analysis. P. 5.

J. Vendryes, Language, P. 240. (٢)

الوسيلة • ومن أجل هذا كان على الباحثين أن يكتبوا تاريخا واضحا لكثير من اللغات الحديثة ، بادئين بأقدم صورة للغة ، متعقبين التطور التاريخي لها ، وذلك استطاعوا أن تقف اليوم على البحوث القيمة فى هذا الموضوع •

ولقد كان لما لينوفسكى العالم الانثروبولوجى فضل كبير فى لفت الانظار الى مفهوم جديد فى اللغة ، فقد أدرك عندما كان يدرس بعض المجتمعات التى اصطلح عليها بالمجتمعات (البدائية) أو (الفطرية) أو (الوحشية) ، أن دراسته لن تصح دون معرفة الوظيفة التى تقوم بها اللغة فى المجتمع ، وقرر ما لينوفسكى بعد قيامه بهذه الدراسات فى هذه المجتمعات ، أن اللغة لم تكن وسيلة فقط للتفاهم والاتصال ؛ فهى حلقة فى سلسلة النشاط الانسانى المنتظم ، وانها جزء من السلوك الانسانى ، وهى ضرب من العمل ، وليست أداة عاكسة للفكر (٣) • وهو يرى ان العمل الانسانى هو أصل مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية ، وتبرز نظريته فى الصلة بين العمل واللغة ويرى ان مواقف العمل هى التى تعمل فى تنوع اللغة ، وهو يسجل فى دراساته لمختلف قبائل استراليا وجزر الهند الغربية أن للصيادين لغة تختلف موسيقاها عن موسيقى لغة الزراعيين ؛ والالفاظ تدور فى سهولة وخفة مع العمل السير ، وتتعدد بتعدد العمل •

ومعلوم ان لكل زمن أو بيئة ذوقا خاصا فى استعمال ألفاظ اللغة ويبدو ذلك فى أدب الامة ولاسيما فى الجانب الشعبى منها ، ولا يمكن أن نطبق ما تواضع عليه الناس من أساليب الذوق فى هذا الباب فى زمن معين ، على لغة أو لهجة فى زمن آخر أو بيئة اخرى •

ولابد أن نعرض لرأى آخر فى تفسير موضوع اللغة واجتماعيتها فهذا ابن خلدون يعرض فى مقدمته لموضوع العلوم اللسانية فيقول فى نشأة لغة الامصار من اللغة الاولى ، وهو على معرفة نفسية بأثر اختلاف البيئات على الظواهر الاجتماعية التى منها اللغة ، واليك قوله : « ان كلا منهم متوصل

(٣) ما لينوفسكى B. Malinowski ، المقدمة التى كتبها لكتاب موضوعه (The Meaning of Meaning) P. 312.

بلغته الى تأدية مقصودة ، والابانة عما فى نفسه ، وهذا معنى اللسان واللغة ، وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم » (٤) .

ويقول ايضا بعد عرضه لطائفة من فنون الشعر فى هذه الامصار :
« والكثير من المتحليين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التى لهم اذا سمعها ، ويمج نظمهم اذا أنشدوا ، ويعتقد أن ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما أتى من فقدان الملكة فى لغتهم (ويقصد بذلك العلماء) فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم (ويقصد بذلك الشعوب) لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها وان كان سليما من الآفات فى فطرته ونظره ، والا فالاعراب لا دخل له فى البلاغة فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة ، فاذا عرف اصطلاح فى ملكة واشتهر ، صحت الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ، ولا عبرة بقوانين النحاة فى ذلك . وأساليب الشعر وفنونه موجودة فى أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب فى أواخر الكلم ، فان غالب كلماتهم موقوفة الآخر » (٥) .

ونريد الآن بعد هذا العرض أن نخلص الى لغة الناس العامة لتبين الجو العامى والثقافة العامة ، ولعل النصوص التى عثرنا عليها على قلتها تشير الى هذا الذى نريد أن تبينه . والنصوص قليلة وقلتها راجعة الى ان هذه اللغة وهذا الاسلوب ، لم ينظر اليهما شئ يستحقانه من احترام ، فقد غلب النظر الى الفصيحة ، وأسباب ذلك معروفة سنشير اليها فى هذا العرض التاريخى .

كان للحدث القرآنى تأثيره العظيم فى العربية ودفعها خطوات فسيحة الى الامام ، فقد عملت لغة التنزيل على توحيد هذه اللغة ، ومعلوم ان الامصار كانت تقرأ القرآن قراءات مختلفة ، وسبب هذا الاختلاف ان لغات الاقاليم قد فعلت فعلها فى الموضوع ، فما كان من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ٤٩٣ .

(٥) المصدر السابق ٥١٣ .

الا أن يعمل على توحيد هذه القراءات ليكون المسلمون اجماعاً على لغة واحدة .

فقد منع عمر عبدالله بن مسعود أن يُقرئ الناس بلفظه الهذلية حين سمع أحدهم يقرأ الآية الخامسة والثلاثين من سورة يوسف (ليسجننه عَتَى حين) بدلاً من (حتى حين)^(٦) .

ولم يكن شيوع اللهجات العامية مختصاً بعصر دون آخر ، أو قل إن مشكلة الفصح والعامة قائمة في كل عصر في التاريخ الاسلامي .

ولا نستطيع أن نعد شيوع اللحن دليلاً على نشوء العامية ، فقد عرف اللحن في أوائل العصر الاسلامي ، وقد ظهر على ألسنة الطبقة المثقفة المتعلمة .

ففي الاخبار إن عمر بن الخطاب قد أدب أولاده بسبب اللحن^(٧) ، وإن عبد الملك بن مروان كان يحذر أبناءه من اللحن ، فإن اللحن في منطق الشريف أفتح من آثار الجدرى في الوجه .

وقد أشار الاصمعي الى اللحن في لغة مالك بن انس (المتوفى سنة ١٧٩ هـ)^(٨) . ومعلوم أن مالكا هذا يحتل مكانة عالية بين الطبقة المثقفة والذي يرجع اليه في مسائل كثيرة ، واحسب أن القارئ يعرف الشيء الكثير عن مالك بن انس فلا حاجة بنا الى التعريف به فهو معروف مشهور ، ومثل مالك هذا في اللحن على منزلته ومقامه ، أيوب السخيتاني فقد كان يلحن حتى في كتاب الله^(٩) .

وقد فطن النحاة الى أن اللحن قد عرض لقراء القرآن ، فهم يعيرون على نافع مقرئ أهل المدينة أنه قرأ (معائش) بالهمز وكان حقها أن تقرأ بالياء^(١٠) .

(٦) الزمخشري ، الكشاف (سورة يوسف) .

(٧) ياقوت ، الارشاد ٢٠/١ .

(٨) الصولي ، أدب الكاتب ١٣٣ .

(٩) ياقوت ، الارشاد ٢٠/١ .

(١٠) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢٢٧/٣ .

ولم يكن وضع قواعد النحو بمجد في التزام القوم بالفصح وعدم
الاخذ بالدارج ، وغرض الواضعين معروف فهو حفظ لغة التزليل أن
يتسرب اليها اللحن والاخذ باللغات الاقليمية ، وقد مر الشعبي (المتوفى سنة
١١٠هـ) على قوم من الموالي يتذكرون النحو ، فقال : (لئن اصلحتموه ،
انكم لاول من أفسده) (١١) .

وكان شيوع اللهجات بحيث ان القراءات الشاذة استمرت بالرغم من
الزام الناس بالاخذ بما اجمع عليه المسلمون ، وبالرغم من منع اصحاب
الامر القراءات كما مر بنا ، فقد عرفنا في القراءات الشاذة الشيء الكثير من
تأثير اللهجات في قراءات القرآن ، وكتب التفسير حافلة بهذه القراءات ، فقد
ذكر ان أحدهم على طريقته ولهجته « ولا تقربا هذه الشجرة » بكسر
التاء في الفعل ، ثم ان آخرأ قرأ « ولا تقربا هذه الشيرة » (١٢) بكسر الشين
وابدال الياء بالجيم ، وهذه المخالقات للفصح المعروف معروفة في اللهجات
الاقليمية ، وما زال هذا الأبدال حتى يومنا هذا في كثير من الجهات في
القسم الجنوبي من العراق .

وقد أسلفت ان اللهجات الخاصة قد رافقت الفصح في سائر عصور
العربية ، ولعل ذلك كان سبب الدعوة القائلة بوجود المشكلة ، ولا يحسب
القارئ ان المشكلة اللغوية وما ينتج عنها من مشكلات ثقافية هي وليدة
عصرنا الحديث ، فهي قديمة كما عرفنا ذلك بالبحث اللغوي التاريخي ،
ولكننا نستطيع أن نقول : انها اليوم أعقد مما كانت بالامس وذلك لان
المجتمع العربي يواجه حضارة معقدة تلزمه أن يكون مزودا بالآلات والادوات مسألة
بنواحى هذه الحضارة المتعددة الاطراف ، ومن هذه الآلات والادوات مسألة
اللغة ، فلا تغنى لهجة اليوم الدارجة ، كما ان الفصح لم يعد اللغة التي يملكها
الناس ويتصرفون في أمرها ، ولذلك فالتعلم والتلقين واجب .

(١١) المبرد ، الكامل ٤٠٥/٢ (طبعة البابي الحلبي) .

(١٢) ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن (سورة البقرة) .

وقد كنت أحصى من النصوص العامية فى لهجاتها المدلاجة ما أفع عليه
فى هذا البحث التاريخى .

وقد عرفنا ان اللغة العامية كانت معروفة فى أيام العربية الاولى ، ولا
أريد بالعربية الاولى العصور التى سبقت الاسلام وظهور النبوة فتلك حقبة
لا نعرف من أمرها الشئ الواضح الذى يمكن أن يكون أساسا للبحث .
ومعلوم ان العربية بدع بين اللغات القديمة ، ذلك اننا لا نعرف عن
طفولتها شيئا نجعله مادة أصيلة فى البحث بحيث نقيم من هذه الركائز بناء
يظهر التاريخ اللغوى العام لهذه اللغة .

ولكنى أقول : ان العامية عرفت فى أيام الخليل بن أحمد واضرا به
من النحويين واللغويين ، وقد نسب للكسائى النحوى أنه ألف رسالة^(١٣)
فى لحن العامة . وقد ذكر صاحب الاغانى ان سبب نسبة المغنى المشهور
ابراهيم الموصلى الى الموصل أنه كان يغنى متى شرب وهو يروى
هذين البيتين :

أنا جت من طرف موصل أحمل قلل خمرىا
من شارب الملوك فلا بد من سكرىا^(١٤)

وواضح من هذين البيتين انهما باللسان الدارج الذى كان الموصليون
يستعملونه . وسمع ابراهيم بن سفيان الزياى النحوى المتوفى سنة ٢٤٩هـ
مغنيا يغنى أبياتا فقال له : لمن هذا الشعر أصلحك الله ؟ فقال له المغنى : « لى
يا سيدى وأنا جوان بن دست الباهلى سيدى » قال : فقلت : ليس جوان
ودست - عافاك الله - من أسماء العرب . قال : « ايش عليك من ذا يا سيدى »
قلت : فردد الصوت . قال : تريد « تقشمة » « كئك »^(١٥) عقاب أو
« كئى »^(١٦) ما أعرفك ، ما تركت على كبد ابن عمى الاصمعى الماء وقد

(١٣) كتاب ما تلحن فيه العوام للكسائى ضمن مجموعة تضم ثلاث
رسائل بتحقيق عبدالعزيز المينى سنة ١٣٤٤ .

(١٤) الاصفهانى ، الاغانى (دار الكتب) ١٥٦/٥ .

(١٥) أى كانك .

(١٦) أى كائى .

جيت الي ، طارت فراخ برجك طارت» (١٧) .
ولعل كتب الجاحظ خير مصدر لمعرفة اللغات واللهجات الخاصة ، فقد
سجل الجاحظ نماذج من هذه اللهجات ، وفطن الى مصطلحات العامة
وأصحاب الحرف . وحسبك أن تعرف ان الجاحظ قد أشار الى لغة الاطفال
وكيف ان الطفل يستخدم ألفاظا خاصة يطلقها على مدلولات معينة فالطفل
يرمز للكلب بلفظ « واوآو » (١٨) كما يرمز للشاة بلفظ « ماءا » (١٩) .
كما تحدث الجاحظ في البيان عن لغات غير العرب من الموالي ممن
نزلوا بين العرب وأخذوا لغتهم ، ولكنهم مع تعصبهم للعربية وجهم لها ،
وهجرانهم للغاتهم الاولى ظلوا يتكلمون هذه العربية بلحونهم المعروفة ، فهو
يقول : ويستطيع الحاكية من الناس أن يحكى نطق الاهوازي والخراساني
والزنجي والسندي حتى تجده كأنه أطبع منه (٢٠) . وهو يقول ان البطى
القح يجعل الزاى سينا والعين همزة (٢١) . ويسرف الجاحظ فيروى
الحكايات التي تثير الضحك والفكاهة عن لهجات هؤلاء الناس .

والامثلة في « البيان » كثيرة ، ولعل من الطريف أن نذكر اشارة
الجاحظ الى استعمال الدخيل الفارسي في النصوص الفصيحة وهو الفارسي
الذي لم تألفه العربية من قبل ، فقد جاء في شعر الشاعر العماني مادحا
هرون الرشيد :

« آلى يذوق الدهر آب سرد » ومعناه حلف لا يشرب الماء
البارد ابدا (٢٢) .

وقد فطن الجاحظ الى استعمال اللهجات الطبقات الدنيا في المجتمع
في أيامه ، فهو يعرض للغة المتسولين والمحتالين ولاسيما ما جاء في كتاب

-
- (١٧) ياقوت ، معجم الادباء ٦٣/١ .
 - (١٨) الجاحظ ، البيان ٢٩/١ .
 - (١٩) الجاحظ ، الحيوان ٨٩/٥ .
 - (٢٠) الجاحظ ، البيان ٣١/١ .
 - (٢١) المصدر السابق ٣٢/١ .
 - (٢٢) الجاحظ ، البيان ٦١/١ .

« البخلاء » من هذا الباب وسنعرض له عند التحدث عن موضوع البخلاء .
كما أشار الجاحظ الى جماعة من هذه الجماعات التي ارتضت لنفسها
أن تحيا حياة خاصة ، وهم اللصوص وقد كتب فى الموضوع رسالة أسماها
كتاب اللصوص وقد جاء ذكر الكتاب فى مظان عدة (٢٣) . ومن المفيد أن
نذكر ان الجاحظ لم يكن أول من كتب فى اللصوص ، فقد كتب أبو عبيدة
فى الموضوع نفسه ، غير انه اذا عرفنا ان نزعة الشعوبية عند أبى عبيدة هى
التي دفعته الى الكتابة فى هذا الموضوع للاتقاص من العرب وتعصبا
للفرس .

ولعل هواية الجاحظ فى تسجيل آداب العوام وملحهم وظرفهم هى
التي دفعته أن يسجل حكايات عن الملاحين مع ذكر مصطلحاتهم التي
يستعملونها (٢٤) . كما أشار الى شيء من هذا أبو المطهر الأزدي فى حكاية
أبى القاسم (٢٥) .

وفى كتاب المستطرف شيء من هذه المصطلحات ايضا (٢٦) .

ولابد لى أن أتى على كتاب « البخلاء » فأقول فيه شيئا ، فقد حكى
الجاحظ عن زمرة من البخلاء ، وكان سبيله أن يولد الاحاديث على السنة
مؤلا ، وهو فى هذه الاحاديث يكشف عن الاوساط العامية التي
يجون فيها .

وفى طوق الجاحظ أن يصور البيئة العامية أو قل يوحى اليك واثق
تقرأ أحاديث البخلاء البيئة الفقيرة الشحيحة ، ذلك ان الجاحظ نفسه قد
عاش فى بيئة معدمة فقيرة ، فلقد شوهد فى أيام طفولته وصباه يبيع الخبز
والسمك فى سيحان .

(٢٣) الجاحظ ، « تصنيف حيل لصوص الليل وتفصيل حيل سرّاق
النهار » كما ورد ذكر « كتاب اللصوص » فى الحيوان ٥٧/٢ ؛ ياقوت ،
ارشاد ٧٦/٦ . والكتاب من الكتب التي لم تصلنا .
(٢٤) الجاحظ ، البيان ٢١٢/١ .
(٢٥) أبو المطهر ، حكاية أبى القاسم (Mez) ١٠٤ .
(٢٦) الابشيهي ، المستطرف ٢٤٥/٢ .

وهو يحاول أن يستعيد البيئة العامة بملحها وظرفها وتقاليدها ، وهو يشير الى هذا في كتاب البخلاء كما نقلنا ذلك في غير هذا المكان (٢٧) .

ولم يقتصر على استعمال اللحن والكلام غير العرب واللفظ المعدول عن جهته ، وانما أوحى بهذا المذهب فقال : « ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الاعراب ، فاياك أن تحكيها الا مع اعرابها ، ومخرج ألفاظها ، فانك ان غيرتها بأن تلحن في اعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلدين ، خرجت من تلك الحكاية ، وعليك فضل كبير ، وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطعام ، فاياك أن تستعمل فيها الاعراب أو تتخذ لها لفظا حسنا ، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا ، فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ، ويذهب استطابة الناس لها (٢٨) .

وانت تحس حين تقرأ في « البخلاء » كيف يقضى سواد الناس سحابة يومهم ، فهو يقول على لسان صاحب الدار المؤجرة ، وهو يشكو الساكن من اتلافه للدار « ويدق على الاجزاع والحواض والرواشن » (٢٩) . ولا يكفي الجاحظ بالجو العامي للعبارة أو اللفظة بل يتعداه الى القول العامي ينقله كما هو على ألسنة الناس ، وربما جاء بالدخيل الأعجمي المستعمل في لهجاتهم ، فقد ذكر التشريب والرزة والجلة والثريد والبوش والهريسة والكرنية والفجلية والبالوعة والغموس والدوشاب وغير هذا مما هو كثير في « البخلاء » .

وقال : « فقال لو خرجت من جلدك لم اعرفك » وترجمة هذا الكلام بالفارسية : « اكراز پوست يارون ييائي تشناسم » (٣٠) . قال أحد المرازمة البخلاء لصديقه العراقي الذي زاره في مدينة مرو ،

(٢٧) الجاحظ ، البخلاء (طبعة الحاجري) ٤٠ .

(٢٨) الجاحظ ، البيان ٨١/١ .

(٢٩) البخلاء ٨٤ .

(٣٠) البخلاء ٢٢ .

وكان هذا المروزي قد أظهر الغباء والجهل التامين ، كى لا يعرف صديقه العراقى مخافة أن يدعو للغداء •

وقال محدثا عن الكندى أحد بخلائه ، وكان هذا صاحب دور للسكن اذ يقول له : واذا كثر الدخول والخروج والفتح والاغلاق والاقفال وجذب الاقفال تهمشمت الابواب وتفلقت الرزات ، واذا كثر الصييان وتضاعف البوش ونزعت مسامير الابواب » (٣١) •

والرزة من ألفاظ المعجم فى حين ان « البوش » من الالفاظ العامية التى لا تشير اليها المعجمات •

وقال الجاحظ على لسان البخيل الكندى : « فان ردوا عليه بعد ذلك شيئا ، حلف بالغموس انه ليس من دراهمه ، ولا من ماله » (٣٢) • والحلف بالزاد والطعام مما هو داخل فى العقلية العامية ، وما زال العوام فى أيامنا يقسمون بهذه الأقسام •

ولابد من الاشارة الى المصطلحات العامية التى أشار اليها الجاحظ فى حديثه عن البخل : « قال أبو فاتك : الفتى لا يكون تشالا ولا نشافا ولا مرسلا ، ولا لكاما ولا مصباحا ولا نقاضا ولا دلاكا ولا مقورا ولا مغربلا ولا مسوغا ولا ملفما ولا مخضرا فكيف لو رأى أبو فاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمداد والدفاع والمحول » (٣٣) • وهذه الالفاظ مما حملها العوام معانى لا تشير اليها المعجمات وكتب اللغة •

ويشرح الجاحظ مفسرا المخطراني فيقول : « انه الشخص الذى يفتح فاه كما يصنع من يتأهب فلا ترى له لسانا البتة » (٣٤) • وهكذا نستطيع أن نتبين فى كتب الجاحظ مادة غزيرة فى الثقافة العامية وانها خير مصدر لمعرفة البحث اللغوى التاريخى •

-
- (٣١) المصدر السابق ٨٢
 - (٣٢) المصدر السابق ٨٥
 - (٣٣) المصدر السابق ٦٧
 - (٣٤) المصدر السابق ٥١

الدخيل في الثقافة العربية الاسلامية

لا أريد في هذه المقالة أن أعرض لمواطن الدخيل في ثقافتنا العربية الاسلامية ذلك أن البحوث في هذه الناحية كثيرة ، وأنا ان فعلت ذلك فلا أرانى أقول الامعادا •

ولكننى اريد أن اعرض للموضوع لاقول : ان الذين عرضوا الى هذا أطلقوا أقوالا عامة ، تنتهى الى أن الثقافة العربية الاسلامية قد تأثرت في صورها المختلفة بالعقلية الاغريقية •

واول من أطلق هذه الاحكام هم المستشرقون ، ومن بين هؤلاء من لم يتصف بالعدل والقصد فما أمر Renan الفرنسى فى القرن الماضى بعيد • فقد ذهب هذا الى أن العرب أو قل ان العقلية السامة قاصرة لا ترقى الى غيرها من العقليات كاللاغريقية والرومانية ومن أجل هذا كان هؤلاء عيالا على غيرهم من الشعوب فى حضارتهم • وقد أسرف هذا الفرنسى المسيحى المتعصب لاكثر من غرض واحد ، ولسنا بصدد بيان هذا • وقد ذهب غيره هذا المذهب دون أن يلتزم بعنفه وشدته •

ولا اريد أن أدفع عن ثقافتنا تأثير الاغريق فما الى ذلك قصدت ، وأنا ان فعلت ذلك فقد جرت على الحقيقة كما جار النفر الآخر ، ولكننى اريد أن أقول :

لقد بالغنا - نحن المشارقة - فى هذا الزعم ، فأسأذتنا المصريون وغير المصريين من المحدثين قد ذهبوا أكثر مما ذهب اليه اولئك الاعاجيم المستشرقون •

فما قولك فيمن يعزو شاعرية ابن الرومى المقلقة الى كونه يرجع الى أصل غير عربى أو قل رومى ، ولم يقصد يومئذ بالرومى التحديد انتم فربما كان الاغريقى روميا ايضا ، والى مثل هذا ذهب المفتنون بأبى تمام وقالوا ان فيه شيئا آخر لا يرجع الى دنيا العرب • ثم ما قولك فيمن يقول : ان ملكة

الكتابة عند عبد الحميد الكاتب وترسله المعروف والنحو استمد اصولها ونهجها من عقلية لا تمت الى العروبة بصلة • ولن تعجب من هذه الاقوال ، فلم يقلها ممخرق مدع ، ولم يقلها جاهل لم يألف البحث العلمى ، وانما قالها استاذ عميد ، غبرت عليه السنون وشارك فى ثقافة الاجيال الحديثة ، ذلكم هو طه حسين •

ولا نريد أن نشط كما اشتط هؤلاء ففى ثقافتنا أصول دخيلة أخرى ، وليس عيبا أن تتأثر ثقافة باخرى ، وما من حضارة فى الارض ، قديمها وحديثها الا كانت متأثرة بغيرها سلبا وايجابا • ولعل مما يشير الى قوة الثقافة والى قيمتها من حيث مكانها فى التطور والرقى ، انها ذات قابلية فى الاخذ من غيرها ودمج هذا الدخيل فيها حتى يصبح شيئا منها •

وقد حصل هذا فى ثقافتنا العربية - الاسلامية ، فالذى اصطلح عليه الباحثون من « الفلسفة الاسلامية » ان هو الا شئ من هذا ، فالفلسفة فى كتب الغزالي وابن سينا والفارابى وابن رشد مزيج من ثقافتين ، ولكن هذا المزيج له وحدته ، وله طابعه وهذا الطابع لا ينأى به عن الشكل العربى المسلم • وفى أعمال هؤلاء شئ مما يسميه الباحثون اليوم بـ (Synthèse) ولا اريد أن اسرف فى هذا الشق من الموضوع ، ذلك أنى أريد أن أعود فأقول ان الذين ذهبوا الى تأثر الثقافة الاسلامية بالاغريق قد أطلقوا هذا التأثير على شعب المعرفة جميعها •

فالدكتور ابراهيم سلامة المصرى يضع كتابا فى بلاغة أرسطو بين العرب واليونان يقول فيه : ان البيان العربى قد ابتداء بالجاحظ ، وان « بيانه » قد اختلط فيه النقد مع القاعدة البلاغية ، والتقت فيه عدة ثقافات • ثم بين لنا ابن المعتز قد عرض لبلاغة عربية المثل ، عربية الاصطلاح ، عربية المأخذ ، ولو أنه عاصر « قدامة بن جعفر » الذى اطلع على كتابى أرسطو « الخطابة والشعر » ولكنه جعل كتابه فى البلاغة العربية وفى النقد الادبى عربيا أصيلاً فى عبارات اصطلاحية لها دلالتها الخاصة من ناحيتها اللغوية ، ووجد فيما قرره الجاحظ من المصطلحات ما أعانه على تقسيم كتابه ، هذا

التقسيم الدقيق الذي فرّق بين الصنوف الخمسة الأولى للبديع وبين
الصنوف الأخرى التي سماها بالمحسنات •

ثم تتبع الأستاذ سلامة ابن المعتز فيما يكون له شبهة بالبلاغة اليونانية ،
فقرر أن الاطالة واضحة ، وخطة ابن المعتز بالقياس إلى خطة أرسطو غاية
في البساطة ، بعيدة عن التحديد المنطقي الذي عرف به أرسطو في تعريفاته •
ثم قرر أن الشبه بينهما حاصل في خطة كل منهما ، فكما أن أرسطو تتبع
شعراء اليونان واستخرج من كلامهم بلاغته وفنه ، كذلك تتبع ابن المعتز
شعراء العربية مسجلا في أشعارهم الموضوعات البلاغية •

ولكن الدكتور سلامة لا ينفي أن قدامة بن جعفر قد أخذ عن أرسطو
- المعلم الأول - وتأثر بكتابه « الخطابة والشعر » ولكنه يعود فيقول : أن
شخصية قدامة بقيت ظاهرة •

ولا بد لنا أن نقول هنا شيئا ، وذلك أن هؤلاء الذين يذهبون هذا
المذهب ربما كانوا يطلقون الأقوال قبل الرجوع إلى المظان المعروفة ، وربما
كان ذلك راجعا إلى أنهم قد استقرت في أذهانهم فكرة الدخيل الأجنبي
في جميع ألوان المعرفة العربية ، ومن أجل هذا يطلقون هذه الأقوال ثم
يقيدونها على الشكل الذي عرفنا • فكتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر
مادة في البلاغة العربية والنقد العربي كما عرفه الأقدمون •

والمطلع على الكتاب لا يجد صعوبة في اكتشاف الحقيقة وهو أن هذا
الكتاب عربي في شكله ومادته وترتيبه ومصطلحاته الفنية ومصطلحات لغوية
لا تختلف كثيرا عما وجدناه في « بديع » ابن المعتز •
وقد بين الدكتور سلامة أن العرب لم يتركوا أنفسهم يندفعون في
البلاغة اليونانية • التي جذبهم إليها « قدامة » وقد تعقبه « الآمدي »
في « الموازنة » •

وتعقبه العسكري في الصناعتين وقال أن خطأ فاحش في كثير من
ذهب إليه ، ولم يرض الجرجاني بما فعله ووعد في « الوساطة » أن يكتب
في موضوع البديع •

ويبدو ان الدكتور سلامة مؤمن بصلة البلاغة العربية بالبلاغة اليونانية ،
فقد قرر مع هذا ان هذا الاخذ لم تنقصه الفطنة ولم يغيب عنه الذكاء العربى
ونحن لا ننكر التأثير فى هذا الميدان التأثير الذى لا ينصب على المادة
والاصول وانما ينصب على الشكل •

فالاسلوب الجدلى والمحاكمات العقلية التى طبعت على كتب البيان ذات
علاقة بالاساليب الدخيلة اليونانية فى البحث ثم ان شيوع طائفة من
الاصطلاحات راجع الى هذا ايضا كالقول بالتجريد والقياس والاطلاق
وغير هذا •

عرف العرب كتب أرسطو فقد سموا (كتاب الخطابة) أو الفن
الخطابى بـ (ريطوريقا) (Rhethorique) وسموا كتابه (الشعر)
(ابوطيقا) • وقد ذكرهما صاحب الفهرست فى مجموعة كتبه (المنطقيات) •
وقد نقل الفيلسوف العربى ابن رشد كتاب الشعر الى العربية •

ويشير الدكتور سلامة فى كتابه الى أن العرب قد عرفوا مبادئ
السوفسطائين وفلسفتهم • واهتمام اولئك بالبلاغة والخطابة ، جعل العرب
يهتمون بالخطابة والبلاغة وأساليهما وبهذا تأثر ابن المقفع فقد عرف هؤلاء ،
وكان الدكتور سلامة يريد أن يقول ان النثر الفنى متأثر بهذه المبادئ وهذه
الفلسفة ، ذلك انه يقرر ان ظهور النثر الفنى كان مع ظهور السوفسطائين فى
القرن السادس قبل الميلاد •

وقد ذهب الدكتور طه حسين الى هذا ايضا فقد انتهى الى : ان البيان
العربى نسيج جمعت خيوطه من البلاغة العربية فى المادة واللغة ، ومن
البلاغة الفارسية فى الصورة والهيئة ، ومن البلاغة اليونانية فى وجوب
الملاءمة بين أجزاء العبارة •

على ان هذا التيار لم ينقطع فقد زعم المحدثون ايضا ، جريا على سنة
الاعاجم : ان النحو العربى متأثر بالثقافة اليونانية أو قل بمنطق أرسطو •
والى هذا ذهب الدكتور ابراهيم بيومى مذكور فى مقالة نشرتها مجلة مجمع
فؤاد الاول للغة العربية سنة ١٩٤٨-١٩٤٩ وموضوعها « منطق أرسطو

والنحو العربي » وقد أشرنا الى المقالة فى غير هذا المكان .

وقد بنى رأيه فى تأثير النحو العربى بمنطق أرسطو على أمور :

(١) اعتبار القياس أصلا من أصول النحو وتحديد ووضعه على نحو ما حدد القياس المنطقى ثم التشابه بين ما جاء من تقسيم الكلمة عند سيبويه الى اسم وفعل وحرف وما جاء من تقسيمها عند أرسطو الى اسم وفعل وأداة .

(٢) ظهور النحو السريانى فى مدرسة نصيين فى القرن السادس الميلادى على مقربة من نحات العرب الاولين ثم ترجمه عبدالله بن المقفع لمنطق أرسطو التى تعد كما يقول ثروة جديدة نقلت الى العالم الاسلامى .

(٣) تلمذة بعض السريان على الخليل بن أحمد كحنين بن اسحاق الطيب السريانى المعروف الذى كان له أثر كبير فى نقل علوم اليونان . وقرر الدكتور ان حنينا قد عاصر الخليل وسيبويه ، وليس مذكور أول من ذهب الى هذا فقد قال بهذا القول قدماء ومحدثون .

ومن القدماء من ذهب الى هذا ابن أبى اصبيعة فى « عيون الانباء »
١ : ١٨٤ ونقل عنه هذه الرواية القفطى فى « أخبار العلماء بأخبار الحكماء »
ص ١١٧ .

ومن المحدثين الاستاذ أحمد أمين فى « ضحى الاسلام » ١ : ٢٩٨ ورد هذه الاقوال يقوم على ان الخليل لم يعاصر حنينا فوفاة الخليل كانت فى سنة ١٨٠ أو قبل ذلك أو بعده بقليل ، وان ولادة حنين لم تكن قبل سنة ١٩٤ . فلم يدرك اذن حنين الخليل ولا رآه ، والزعم باطل .

والاستاذ (دى بور) فى تاريخ الفلسفة فى الاسلام يذهب الى تأثير النحو العربى بمنطق أرسطو ، كما ذهب الى هذا غير واحد من المستشرقين . على ان نظرة واحدة الى النحو العربى تظهر بعد هذه المادة عن كونها متأثرة بالمنطق الارسطى . ولئن وجد شيء دخل فيها لهو شيء خاص بالشكل دون الاصل وبالاسلوب دون المادة ، فالتقسيمات النحوية كالجنس والنوع ، الخاص والعام والمطلق والمجرد من هذا الدخيل الوافد على هذه المادة الاصيلية فى عروبتها .

في الثقافة السريانية

كان للآراميين تأثير كبير في الثقافة العربية فهم نقلة الفكر اليوناني ، ومن ثم فبلغتهم السريانية كانت مصدرا من مصادر المعرفة التي تزود بها المسلمون وعرفوا فيها فلاسفة الاغريق • اذن ما هذه اللغة ؟

اللغة الآرامية احدى اللغات السامية الغربية التي تشمل على اللغات الآتية : الفينيقية ، الرهاوية ، الفلسطينية ، القبطية ، المندعية وأشهرها لغة الرها أو حران • وقد كتب بها الكتاب الاوائل أمثال ابن ديسان المتوفى ٢٢٢م ويعقوب فرهاد أو أفرهاط المتوفى (سنة ٣٤٥م) وأفرام السرياني المتوفى (سنة ٣٩٧) وربولا الرهاوي المتوفى سنة ٤٣٠م وكثير غيرهم • ويقول المستشرق الفرنسي (رينان) Renan في كتابه Histoire générale

des langues semitiques ١٨٥٥ التاريخ العام للغات السامية : « ان الآرامية في القرن السادس قبل الميلاد طمست كل اللغات التي سبقتها وأصبحت اللغة الاولى خلال أحد عشر قرنا والمعبر الاول للعقبة السامية » • ويقول الاب هنري لامنس اليسوعي في مقال له في مجلة المشرق سنة ١٩٠٣ (ص ٧٠٥-٧٠٧) : « ومن عجيب الامور ان انتشار لغة الارمين بلغ على عهد السلوقين مبلغا عظيما ، فأصبحت اللغة السائدة في كل آسيا السامية ، اعني في سوريا وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب • وكان المسلمون يدرسونها لكثرة فوائدها • وقد كتب بها الارمن مدة قبل انتشار الآرامية وحروفها ، وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى أقاصي الشرق في الصين شمالا وفي الاقطار الهندية جنوبا ، كما انها بلغت جنادل النيل • فلا نظن ان لغة اخرى حتى ولا اليونانية جارت السريانية في اتساعها اللهم الا الانكليزية في عهدنا » •

وظلت الآرامية نشيطة حتى جاء الفتح الاسلامي فأخذ يسرى اليها الضعف لاتصال اهلها بالعرب وهكذا تفلت عليها العربية في القرن العاشر

وبقيت الآرامية لغة دينية مقرها الكنيسة تقام بها الصلوات وتلقى بها الخطب والمواعظ وصار علماء الدين يشرحون الكتاب المقدس للناس بالعربية وما زالت مستعملة في كنائس السريان والكلدان والموارنة الى اليوم •

وقد تغلبت العربية على الآرامية في المدن وما جاورها بسبب كثرة العرب فيها ومخالطة أهلها لهم ، أما الأماكن التي لم ينزلها العرب فلم يزالوا يتكلمون بالآرامية الى الآن منها قرى معلولا ونجعة وجب عدين في شرق دمشق ، وجبال طور عيدين وقرى آثور وجبال كردستان وزاخو • والجانب الغربي من بحيرة اورمية • حتى ان لبنان مع قربه من عاصمة الخلافة العربية على عهد الامويين ظلت فيه الآرامية اللغة العامة زمانا طويلا بعد القرن العاشر ، واستمر أهلها في بعض جهاته العالية العزلاء يستعملون الآرامية حتى بعد القرن الثامن عشر ، كما يظهر مما كتبه العلامة جورج جوس السداني الماروني في كتابه « المارة » الذي ألفه سنة ١٦١٩ ، ومما ذكره العلامة مريح بن غرون الباتي المتوفى سنة ١٧١١ في كتابه « سلاح الايمان » المطبوع بروما ١٦٩٤ انه قال : « انه لا امر يستوجب الاعتبار ان بشرى وقرية حصرون التي تبعد عنها قليلا وثلاث قرى ومزارع غيرها تحاذيها قد حفظ سكانها ولم يزالوا حافظين اللغة السريانية القديمة فيها يتكلم الرجال والنساء غالبا » • ويقال ان العلامة السمعاني الشهير المتوفى ١٧٦٨ لما عاد من روما الى قريته حصرون خاطب والدته باللغة السريانية ، فضلا عن ذلك فان عددا لا يحصى من الالفاظ الكنيسية المنقولة عن الآرامية ما زال مستعملا عند الخاصة والعامة من نصارى لبنان وسوريا والعراق كالشماس والقسيس والكاهن والهيكل والعمودية والمعمدان والاشبين والقداس والقربان والطبليت والزياح والناقوس والدنج والفصح والمكوت النخ ••• ومئات من أسماء المدن والقرى والاعلام وغيرها باقية على أصلها الآرامي فمن أسماء المدن والقرى صيدا « الصيد » عانا « الغنم » عين طورا « عين الجبل » برمانا « محل الرمان » بكفيا « محل الحجارة » بتدين « محل الحكم والدين » بزمار « محل الترنم » ماردين « الحصون أو القلاع » جزين « كنوز » كفريا « القرى » راشيا

« الرؤوس » فاريا « الثمار » رشميا « رأس المياه » كفر زينا « قرية السلاح » .

ومن أسماء الأعلام نهرا « نور » شليطا « متسلط » سابا « شيخ » مرتا « سيدة » ، ومن غير أسماء القرى والأعلام فما زالت العربية الدارجة في لبنان والموصل وغيرها تحوى الكثير من هذه الرواسب الآرامية مثال ذلك « شكارة » وتعنى قطعة أرض وهى مستعملة فى العراق جنوبيه وشماله ، ومن يرجع الى رسالة الدكتور الجلبى عن « الآثار الآرامية » يتبين صدق هذه الدعوى ، ولعل وزن فاعول أصيل فى الآرامية أكثر منه فى العربية ، وجريانه على الآلات والادوات مثل ساطور وشاقوف « آلة القطع » السريانيّتين ، وقد بقيتا فى العربية . اقول أصيل فى السريانية أكثر من اصلته فى العربية لان هذا الوزن شاع شيوعا فى عاميتنا فى باب الوصف وغيره وما هو الا لان المد من اطالة الفتحة جريا مع الذوق العامى ، فلعوب تصبح « لاعوب » ، وشغول تصبح « شاغول » ، وعمود تصبح « عامود » والى آخره .

وقد حصل مع تمادى الايام فى الآرامية الرهاوية نفسها بين الشرقيين والغربيين بعض اختلاف فى اللفظ لم يؤد الى جعلها لغتين بل صيرها لهجتين : شرقية وتعرف بالكلدانية ، وغربية وتعرف بالسريانية وهى لهجة الموارنة والسريان الكاثوليك واليعاقبة حيثما وجدوا ، والاختلاف الرئيس بينهما فى الحركة المسماة « زقافا » فهى تلفظ عند المشاركة فتحا طويلا أو ألف مد ، وعند المغاربة ضمّا طويلا منفرجا كأنها حركة ٥ فى اللغات الاوربية مثال ذلك عانا وتعنى الغنم فى اللفظ الشرقى وعانو على طريقة الغربيين ، وكذلك ارعا وتعنى الارض فى اللفظ الشرقى وارعو على طريقة الغربيين . ومما تجب الإشارة اليه ان العين الآرامية يقابلها الضاد فى العربية ويذكر القس بول الكفرنيسى الراهب اللبنانى انه سمع سكان قرية معلولة وهى فى القسم الغربى يتبعون الطريقة الشرقية فيسمون السوق « شوقا » والبيت « بيتا » والنهر « نهرا » الخ .

والاسلوب الشرقى هو القديم وهو الذى حفظ صورة الآرامية الاصلية

يدلنا على ذلك ما ذكره مرهيج الباني عن لغة شمال لبنان ومنها بعض الالفاظ التى زالت فى اللسان الغربى على صورتها الآرامية الاصلية أى بالالف المطلقة (يفر ساهدوثا) وتعنى رحمة الشهادة والكلمة هى نفسها فى العبرية • ومنها الالفاظ التى ما زالت على اللسان الشرقى ولا يعرف بالضبط منى حصل هذا الانقسام •

وكان السريان يتناقلون اللغة تناقلا الى القرن السابع للميلاد فابتدأ بعضهم يؤلف فى نحوها وبعضهم فى جمعها وقاية لها من الضياع بسبب اختلاطهم بغيرهم من الامم •

وأول من ألف فى نحوها كتابا يرجع اليه ويعول عليه الاسقف يعقوب الرهاوى المتوفى سنة ٧٠٨م ، وكذلك يوسف الاهوازى استاذ مدرسة نصيين المتوفى سنة ٨٥٠م ، ثم أبو زيد حنين بن اسحق المتوفى سنة ٨٧٣م ، وايليا الطيرهانى المتوفى سنة ١٠٤٩م وابن العبرى الشهير المتوفى سنة ١٢٦٨م الذى ألف كتابه المسمى بكتاب الاشعة (كتابا دصميا) وعنه أخذ كل من صنف بعده فى النحو ولاسيما نحاة المواردنة ، ومن هؤلاء يوسف العاقورى ١٦٤٨ واسحق الشدرائى ١٦٦٣ وابراهيم الحاقلاى ١٦٦٤ والخورى بطرس التولاوى ١٧٤٥ ويوسف السمعانى ١٧٦٨ والاب نعمة الله الكفرى ١٩٠٧ والمطران يوسف دريان ١٩٢٠ والاب جبرائيل القرداحى ومن غير المواردنة المطران يوسف داود السريانى ١٨٩٠ صاحب « اللمة الشمية » والمطران يعقوب اوجين منّا الكلدانى ١٩٢٨ •

ومن الذين ألفوا فى جمعها وشرحها على ترتيب الابدجىة أبو يحيى زكريا المروزى ٨٩٩م وأبو الحسن بن علي ٩٠٣م وأبو الحسن بن بهلول ٩٦٣م وجورجيوس السدائى المارونى المتقدم ذكره فى كتابه المنارة ، والقرداحى صاحب اللباب •

وقد ألف المستشرقون الاوربيون ايضا فى نحوها كما ألفوا فى أدبها كما سيأتى ذكرهم فى الكلام على الادب •

ومن المشاركة محمد بن عطية الابرشى والعنانى وليون محرز ، ألف هؤلاء كتاب المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها ، اتبع فيه مؤلفوه

طريقة المستشرقين ولم يكن من بين مظانهم أى كتاب شرقى .
أما كتابة اللغة الآرامية فأقدم قلم يعرف لها هو القلم الفينيقى . وقد
وجدت كتابات آرامية به فى شمالى انطاكية وفى خرائب نينوى وجزيرة
أسوان بمصر يرقى عهد أقدمها الى القرن الثامن ق.م وقد بقي الآراميون
يستعملون هذا الخط حتى القرن الاول قبل الميلاد ثم أخذ آراميو الرها
وبابل وتدمر والشام وفلسطين وحواران يتقنون فيه حتى تفرع منه لكل
قوم قلم خاص بهم . وكان القلم الرهاوى المسمى باللفظ اليونانى اسطرنكيلا
ويعنى المستدير أجمل هذه الخطوط ولذلك غلب استعماله فى الجزيرة ما
بين النهرين والعراق والشام ولبنان (ومن هذا أخذ العرب الخط الكوفى)
ثم تفرع عنه عند الغربيين فى نحو القرن السابع القلم الغربى المعروف
بالسريانى ، وعند الشرقيين فى نحو القرن الثانى عشر القلم الشرقى المعروف
بالكلدانى وهو شبيه بالرهاوى .

وقد امتاز الكتاب الآراميون باستنباطهم فى نحو القرن السادس النقط
الدقيقة حركات لكتابتهم . ثم شرع الغربيون منذ القرن الثامن يستعملون
ايضا الحركات الخمس المأخوذة عن الحروف اليونانية التى استبطنها
تاوفيلوس الرهاوى المارونى المتوفى سنة ٧٨٥م عندما ترجم الاللياذة
والاوديسيا الى الآرامية وربما اقتدى العرب والعبرانيون بالآراميين فى
استنباط الحركات .

اذن فاللغة التى نسميها اليوم سريانية ليست لهجة من الآرامية كما
يذهب المستشرقون وأولهم William Wright فى مقاله وتبعهم فى ذلك
مؤلفا الادب السريانى المطبوع حديثا(*) .

ولا بد لى هنا أن أشير الى التعقيبات البارة للمطران بولس بهنام مدير
المدرسة الاكليريكية الافرامية بالموصل فى مجلته « لسان الشرق » هذه
التعقيبات على كتاب الاستاذين المصريين مراد والبكرى لانهما أثبتا كما أثبت
أصحاب المفصل السالف الذكر فى المقدمة : ان السريانية لهجة محلية من
اللغة الآرامية .

(*) تاريخ الادب السريانى (مراد كامل والبكرى) :

اقول كما يقول غيرى ان هذا الزعم غير صحيح وذلك ان الآثار التي ظهرت اخيرا تؤيد هذا ومنها كتاب احيقار الحكيم وزير سنجاريب ملك آشور •

والكتاب المقدس يسمى اللغة السريانية باسم « الارمية » دائما كما جاء في سفر الملوك ودانيال وعزرا واسعيا •

ويسمى العلماء الاقدمون السريانية اللغة النهرية كما جاء في كتاب « الفصاحة » لانطون التكريتي • ولفظ آرامية وسريانية تتناوبان كما يدل على هذا ما يرد في هذا الباب في كتاب مختصر الدول لابن العبري وقد أنكر المتأخرون ممن كتب في الموضوع مثل يوسف داود صاحب اللعة أن تكون السريانية فرعاً للآرامية • ومن أجل هذا ترد كلمة سريانية مردفة بالآرامية كما جاء في اللؤلؤ المشور لمار اغناطيوس افرام الاول ويبدو انه لا فرق بين السريانية والآرامية فهما لغة واحدة ، وقد جاء في تفسير سفر دانيال لابن العبري « وتكلم الكلدانيون أمام الملك بالآرامية » ثم يقول وتكلم الكلدانيون بالآرامية أى بالسريانية ، فالسريانية اذن هى الآرامية عنها أدى بها تقادم العهد الى ارتداء حلة جديدة كما سنعلم في بحث اللهجات الآرامية •

لهجات اللغة الدرامية

قال ابن العبري في المدخل في تعليقه على الحركات السريانية : « ان اللغة السريانية تفرعت الى فروع كثيرة أكثر من جميع اللغات وذلك لانتشارها في بلاد شتى ، بعيدة عن بعضها ، فصار بين اللهجة والاخرى بون شاسع لا يستطيع معه أبناء اللهجة الواحدة أن يفهموا المتكلمين بقية اللهجات الا بواسطة الترجمان كأنهم يسمعون لغة غريبة عنهم » • ويحصى ابن بهلول في معجمه ست عشرة لهجة سريانية ، والمعجم مطبوع في باريس ، وقد حققه المستشرق R. Duval .

وكانت هذه اللهجات نتيجة انتشارها الواسع في البلاد العديدة من جهة وامتزاج الآراميين أنفسهم بأمم غريبة اخرى من جهة ثانية • وكل تلك

اللهجات هي فروع عن الاصل اللغوى القديم الذى يعد لغة دولية عامة كما نفهم ذلك من قراءة سفر الملوك ، وسفر اشعيا .

ولابد من القول ان تقسيم هذه اللغة الى شرقية وغربية هو من باب التجوز وتسهيل الامر ، وأول من ذهب الى هذا المستشرقون ، ذلك اننا لا نستطيع أن نقول ان لهجة فلسطين هي غربية لانها كما بينا آرامية بابل جاء بها اليهود بعد السبي البابلي . اذا فلا بد لنا أن نعيد القول بالتقسيم الى شرقية وغربية ، وذلك كما بينا ان الاولى مفتوحة الآخر ، والثانية مرفوعة أى مضمومة .

يقول (ماسبرو) فى كتابه تاريخ شعوب الشرق القديم ص ٧٧٥ : « ان لغة بابل ونيوى الآرامية ذاتها تفرعت الى فرعين ابان مجد الدولتين البابلية والآشورية » . ويقول ايضا : « ان اللهجة المصقولة التى كان كتاب نينوى وبابل يستعملونها فى عهد هيرودس لانشاء الكتابات الرسمية ، كانت قد أضحت منذ زمن طويل تشبه لغة نبيلة يفهمها فئة من الناس ويجهلها السواد من العامة ، وكان العامة من سكان القرى والمدن يتكلمون باللهجة الآرامية التى كانت أثقل من تلك وأوضح وأكثر تفصيلا » . ومعنى هذا ان الآرامية الام تفرعت الى هذه الفروع الكثيرة بواسطة اللهجات المحلية فى كل حاضرة من حواضر الممالك السحيقة فى القدم فى حين ان الفصيحة حافظت على كيانها ، شأنها شأن اللغات السامية الاخرى .

تعليق على مقال «عربي ، آرامي ، عبري»

قرأت في مجلة «سومر» في المجلد الرابع عشر لسنة ١٩٥٨ ، مقالة للأستاذ عبدالحق فاضل عنوانها (عربي ، آرامي ، عبري) ، وسررت لعناية المجلة بهذه الدراسات اللغوية ، ذلك ان العربية قد افتقرت الى هذا النوع من البحث الذي يقوم على المقارنة والموازنة • والمقارنة وسيلة علمية مهمة من وسائل علم اللغة الحديث (Linguistique) .

اذن فالموضوع من الموضوعات المهمة لدراسة العربية على اسلوب جديد ، يحقق الغرض الذي نصبو اليه في رسم تاريخ علمي لهذه اللغة التي انقطعت عنا حلقاتها الاولى • ومن ثم كان اهتمامي بالمقالة كبيرا ، ذلك انني سلخت أعواما في موضوع هذه اللغات السامية وفي مادة مقارنتها بغية الوصول الى فهم مشكلات هذه العربية نحوا وصرفا ولغة •

وكاتب المقالة ممن عرفه العراقيون من ادبائهم ، تستهويه المعرفة فيتعقبها ويسعى اليها ، وهو مشكور لهذه الهواية المستحبة ، ولاندفاعه في التزود من المعرفة ، على أن زاد الاستاذ الفاضل متعدد الجوانب ، فقد كتب في القصة منذ سنين ، ثم استهواه (الخيام) تأثرا فثار ثورته ، ثم هو من كتاب المقالة القصيرة تبحث في مختلف شؤون العصر ، وما أدري فلعله نظم الشعر ، وربما كان جبه للمعرفة هو الذي دفعه الى أن يسلك سبيل البحث في اللغة على طريقة المقارنة •

غير أن سلوك هذا السبيل مضمّن شاق ، فصاحبه ملزم أن يكون له من الوسائل ما يسهل عليه هذه المهمة الشاقة العسيرة ، والاسلوب الذي درج عليه الكاتب الفاضل يقتضيه أن يكون على علم بالاصوات واللهجات وتاريخ علوم اللغة عامة •

(١) راجع مقال «عربي ، آرامي ، عبري» • لعبدالحق فاضل (سومر

(١٩٥٨) [ص ١٨٠ - ١٨٨ •

وقد بدا لي حين قرأت مقالة السيد الفاضل أن أكتب شيئا في الموضوع ، تحقيقا للغرض العلمي الذي تسعى من أجله ، وإيمانا مني أن البحث العلمي جهود متظافرة لحشد كبير من الناس للوصول الى الحقيقة . ولا أريد أن أعقب على قول الاستاذ الفاضل عن علاقة اللغة الآرامية بالآراميين وصلتهم بآرام أحد أبناء سام بن نوح ، لان ذلك غير مجد ، ولسنا نستطيع أن نقول فيه شيئا كثيرا . ولكنني سأعرض للموضوع جملة وتفصيلا ، فقد جاء في مقالة السيد الفاضل : « وأود هنا أن أعرض « رأيا لي » في العلاقة بين اسم العربية والآرامية والعبرية لا يسنده نص قديم ولا حديث ، وإنما هو « نظرية » خطرت لي منذ أعوام وما زلت أتحدث فيها كلما دعت مناسبة ، فلم أجد حتى الآن عند أحد ما ينقضها ولا ما يبرمها » .

ثم يشير صاحب المقالة الى القرابة اللغوية بين هذه اللغات الثلاث وذلك انها انحدرت من لغة واحدة كانت أما لهن ، ثم انه قد خرج عن هذا الاصل اللغوي لهجات عدة استحالت الى لغات بمرور العصور الطويلة . على انه يخلص من هذا الى « رأيه » وهو ان كلمتي « عربي وأرمي » كلمة واحدة ، ولم يختصر « آرامي » لان هذه الاخيرة تفسد عليه كثيرا من رأيه كما سنرى ، وانهما كانتا (رتقا ففتقها تطور الحدثان) . وأنا أقول ان الكلمتين لم تكونا « رتقا » حتى « ففتقا » في مقالة الاستاذ الفاضل ، ذلك ان كلمة « آرامي » و « آرامية » ولا بأس أن نستخدم « أرمي » على نحو ما يريد كاتب المقالة ، و « أرمية » ، من الكلمات التي تشير الى لغة معينة ذات اصول معروفة ، وتاريخ معين ، ووطن معين معروف^(٢) ، وان هذه متميزة عن العربية

(٢) كان للآراميين دويلات ومن هذه آرام النهرين « آرام نهرايم » والمقصود بالنهرين الفرات والخابور ، وموطن هذه الدويلة في الرقعة السكّنة بين هذين النهرين بامتداد سوريا . انظر ،

Roger, T. O. Callaghan, Aram Nahraim (Rome, 1948), 143.

ومن هذه المواطن ، دويلة حران وقد اطلق عليها (فدان آرام) انظر سفر التكوين ٢٥ : ٢٠ : ٢٨ : ٢ - ٤٦٧ : ١٥ . وقد استوطن الآراميون في دمشق في حدود القرن الثاني عشر ق م ، انظر طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ٢٧١/٢ .

بوضوح وجلاء ، وينبغي على هذا أن « عربى » و « أرمى » ليس واحدا .
ولا بد أن نأتى الى تفصيلات لقول فيها ما يفسد على كاتب المقالة
« رأيه » أو « نظريته » . لقد ظن الاستاذ الفاضل ان موضوع « الابدال »
فى اللغة يوصله الى ما يريد ، وهكذا افترض أن العين فى « عربى »
و « عربية » وجميع صور الكلمة صارت همزة ، واستدل على ذلك بأن أمما
كثيرة لا تستطيع نطق العين ، ومن هؤلاء « الفرس » فهم يكتبون العين
وينطقونها همزة كما مثل بقولهم « اتهادية آراب » ويريدون بها « اتحادية
أعراب » وتعنى عندهم « الجامعة العربية » .

ولقد فات كاتب المقال أن الامم السامية تنطق بصوت العين وهو من
أجل ذلك ظاهر فى لغاتهم جميعا ، وأكبر الظن أن الصوت قد وجد فى
الاكديّة ولكنهم رسموا له الرسم الذى اتخذوه للهمزة وذلك لقرب الصوتين
فى المخرج ، وعلى هذا فلم تكن « العين » كما أراد الكاتب سيئة الحظ .
وقد أبدلت العين من الهمزة كثيرا فى العربية ولم يحدث العكس فى العربية
مطلقا . وهذا ما اصطلحوا عليه بالنعنة^(٣) وقد خصوا هذا النطق بتميم
وقيس من قبائل العرب ، وعلى هذا جاء قول الشاعر ذو الرمة :

أعن توسمت من خرّقاء منزلة ماء الصباية من عينيك مسجوم^(٤)
على أن اللغات الآرامية قد خلت من هذا الابدال ما عدا لغة الرها ففى هذه
اللهجة تبدل العين همزة ، وليس الابدال مطلقا ، وانما قيد بكون العين قد
اتبع بالهاء^(٥) ، وفى هذا ضرورة صوتية وذلك لتعذر اجتماع العين
والهاء عندهم .

وأراد كاتب المقال أن يستفيد من موضوع الابدال مستدلا على قوله
بعسر نطق العين ، فذكر ان العرب يدلون من العين نونا كما فى قولهم
« ينظي » . وأود أن أقول ان هذا لم يكن ابدالا ، وقد توهم الاقدمون

(٣) ابن الحاجب ، شرح الشافعية ٢٠٣/٣ .

(٤) انظر ديوان ذو الرمة نشر مكارتنى جاء فى البيت : أعن . . .

والمراد أن .

(٥) القس بولس الكفرنيسى ، غرامطيق اللغة السريانية ١٦ .

وحسبوه لهجة وقيدت هذه اللهجة بـ «كبر وقيس»^(٦) وعرفت بالاستثناء وعليها قرىء (انا انطيناك الكوثر)^(٧) ، ومنه حديث رسول الله (ص) : « وانطو التبعة »^(٨) . وملاك الامر في هذه « النون » انها لم تكن مقابلة للمعين في « أعطى » وانما جاءت من أن الفعل كان « أتى » بمعنى « أعطى » ثم ضعف الفعل فصار « أتى » بتشديد التاء ، ومعلوم ان فك الادغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية ، يقتضى ابدال النون بأحد الحرفين المتجاسين كما نقول في العربية « جندل » وهى من (جدل) بتشديد الدال وهذا كثير معروف ، وربما ابدل الراء بأحد الحرفين المتجاسين كما فى السريانية كما فى (ترين) و (ترئين) بمعنى (اثنين) و (اثنتين) وقد حدث مثل هذا فى العربية كما فى « فرقع » وهى من « فقّع » بتشديد القاف ، وكما فى « قرضب » وهى من « قضب » بتشديد الضاء ، وعلى هذا « أتى » بتشديد التاء تصبح « أتى » بفك الادغام ثم يحصل ابدال الطاء من التاء وهذا شائع فى العربية كما فى « نقطة » و « نكته » . و « أتى » بمعنى « أعطى » وارد فى العربية كما فى قوله تعالى : « وآتى المال على حبه ذوى القربى »^(٩) ، وكفوله تعالى : « وآت كل واحدة منهن سكينا »^(١٠) .

ويستدل كاتب المقال بنطق العين همزة فى السريانية العراقية ، وفاته أن لهجة هؤلاء قد تأثرت بأهم أخرى فالأقليم الذى يتحدث فيه النصارى بالسريانية فى العراق متاخم لكردستان ولعل جوارهم لهذه البيئة ذات اللغة الغربية عنهم هو الذى ولد عندهم هذا النطق ، والدليل على هذا ان السريانية الغربية كما فى لبنان وسائر بلاد الشام قد احتفظت بنطق العين . ولعل مثل هذا قد حصل فى العربية ، فاليهودى الشرقى محتفظ بنطق العين لا يتعداه الى الهمزة ، أما اليهودى الغربى فهو يتعدى العين الى الهمزة وذلك لانه نشأ

-
- (٦) انظر مادة « عطو » فى تاج العروس ، ولسان العرب .
 (٧) الزمخشري - الكشاف ٨٠٦/٤ سورة الكوثر ا .
 (٨) المصدر السابق .
 (٩) سورة البقرة ١٧٧ .
 (١٠) سورة يوسف ٣١ .

ففي بيئة لا وجود لهذا الصوت في لغاتها •
ولم يكتف صاحب المقالة بالابدال بين الهمزة والعين في «عربي»
و «أرمي» وإنما استفاد من مسألة الابدال بين الميم والباء قائلا : «ومخرج
الباب قريب جدا من مخرج الميم في الفم» ولم يقل انهما من الشفة ، ثم
قال : «فلو سددت شفتيك وقلت «ماما» لخرجت «بابا» • وكان عا
أن يقول ان الفارق بينهما أن الميم صوت يدخل فيه الانف (Nazal)
على لغة أهل الاصطلاح • ولكن ابدال الباء من الميم أو العكس لم يكن
مطلقا ، وإنما هو مقيد بالسماح فقد سمع في العربية (أربي) و (أرمي)
بمعنى واحد وربما كان ذلك مختص بجهة معينة من جهات العربية ، وعلى
هذا ان الذي قال «بكّة» لا يقول «مكة» كما في الآية : «ان أول بيت
وضع للناس للذي ببكة»^(١١) وان كان المفسرون لا يشيرون الى من يقول
«بكّة» ولا يقولها بالميم^(١٢) •

وليس من الطبيعي أن يحصل الابدال في موضعين من الكلمة
الواحدة ، لانه لو جاز ذلك ، لجاز ايضا أن يحصل في الكلمة ابدال واحد
فتكون «عربي» و «عرمي» • ولا أدري ماذا يريد صاحب المقال بقوله :
«واللغة الاكدية هي أم الآرامية أو اختها و... واحتكت اللغتان وتفاعلتا
تفاعلا شديدا حتى ذابت الاكدية بالتدرّج واضمحلت قبل الميلاد ، ولكن
بعد أن تركت آثارها العميقة في الآرامية» • ولقد غير الاستاذ الفاضل طريقته
في الاستفادة من الابدال حين وجد لفظ «الارمين» فيما أثير عن
«سترابون» في كلامه عن بلاد العرب وقال بالحلقة المفقودة بين «عربي»
و «أرمي» •

وقد عالج كاتب المقال موضوع «عربي» و «عرمي» وخلص الى
القول الى أن الاول من الثاني بعد عرض طويل لصور الكلمة مستفيدا من
باب «القلب المكاني» في علوم اللغة • ولا أظن أن الابدال وان القلب

(١١) سورة آل عمران ٩٦ •
(١٢) الزمخشري ، الكشاف ٣٨٦/١ •

المكائى يغنيان الباحث اللغوى للقطع بشىء ذلك أن الإبدال وأن القلب
مميزات اقليمية ضيقة قد توجد فى بقعة ولا توجد فى بقعة أخرى ، ودليلنا على
هذا ما نراه فى لهجاتنا الدارجة فى عصرنا هذا وذلك أن الذى يقول مثلاً
« يساوى » لا يقول « يواسى » ومعنى هذا ان جهة من الجهات تقول
« يساوى » على الوجه الصحيح وان جهة أخرى تستفيد من القلب المكائى
فتقول « يواسى » للمعنى نفسه .

وختاماً أقول : أن « عربى » و « أرمى » و « عبرى » كلمات ذوات
دلالات مختلفة فكل منها تدل على لغة معينة وان كانت تؤلف مع غيرها من
لغات أسرة لغوية خاصة هى الاسرة السامية .

الاعلام

بحث تاريخي في اللغة واللهجات

لا أريد أن أعرض في هذا البحث لموضوع الاعلام العربية وتطورها في خلال العصور التاريخية ، ولا أريد أن أعرض ايضا للموضوع نفسه معتمدا على المقارنة والموازنة بين العربية واخواتها الساميات ، علماً منى ان ما نشره المستشرق الالماني أنوليتمان^(١) مفيد وكاف في الموضوع . ولكنى أريد أن أعرض للاعلام الحديثة في العراق ودلالاتها ومكانة هذه في السلسلة التاريخية ، وقيمة هذه الاعلام من الناحية اللغوية .

ودراسة الاعلام في العربية على هذه الصورة غير معروفة للدارسين والباحثين المشارقة ذلك ان هذا الموضوع لم تعرض له الا كتب النحو والصرف في موضوع (العلم) وهذا الموضوع ، عندهم يدخل في (باب المعارف) . غير ان المستشرقين قد عنوا بهذه الناحية تطبيقاً لمذاهب البحث اللغوي الحديث ، فاللغات كافة في العالم الغربي قد حظيت بهذه الدراسات ، وموضوع الاعلام فيها من الدراسات اللغوية التاريخية التي تخضع للتطور عبر العصور .

وقد أشرت ان لهذه الدراسة قيمة من الناحية اللغوية ، ذلك ان فكرة اقتباس العلم تتعلق بالذهنية اللغوية من حيث اختيار اللفظ ذي الدلالة والمربط بالظروف المحيطة . وربما كان لذلك اللفظ فائدة تاريخية مقيمة بالزمان والمكان . كما أن للاعلام قيمة اجتماعية غير خافية فهي تعكس لونا

(١) أنوليتمان ، مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الاول) الجزء الثاني ١٩٤٨ ، والجزء الاول ١٩٤٩ .

من ألوان التفكير الانساني ، ثم انها تظهر شيئا من معالم حضارة الامة ، ومن أجل هذا فقد اهتم بها علماء الاجتماع والباحثون في الحضارات الانسانية •

ولما آلت العربية الفصيحة الى لهجات عامية دارجة ، تتعد بنسب مختلفة عن الفصح المعروف ، ظهر أثر ذلك في الاعلام الحديثة في كل جهة من دنيا العرب • ومن هنا كان لدراسة الاعلام الحديثة في كل قطر من أقطار العربية فائدة لغوية قيمة ، وذلك لانها تكون جانباً لغوياً لا بد من الاضطلاع به والتبصر فيه ليكون ذلك معينا على فهم العربية الفصيحة ، وليكون حلقة من حلقات التاريخ اللغوي •

وستبين ان دراسة الاعلام تؤلف حلقة من حلقات اللهجات السائرة ، وان في الاعلام لصورة من صور الالسنه الدارجة في عصرنا هذا الذي ابتعد أهله عن فصيح العربية ، وفي العصور التي خلت والتي كان فيها شيء من الكلام الدارج الى جانب الفصح المعروف • واريد أن أقول : ان الاعلام مصدر من مصادر اللغة ، ولون يظهر المؤلف والدارج من أساليهما •

ولقد هدانا الاستقراء الى تقرير هذا كما سنبينه في هذه المقالة • ومعرفة اللهجات والاهتداء اليها من الامور العسيرة ذلك ان المادة اللغوية الضخمة التي بين أيدينا لا تعين على هذا • فالمعلوم أن الاسلام قد جاء بحضارة جديدة وبمجتمع جديد ، ثم انه كان العامل الأكبر في توحيد اللغة ، والحدث القرآني وما كان من جمع القرآن وقراءاته ثم اطمئنان المسلمين الى المصحف العثماني ، كل ذلك قد عمل على توحيد لهجات هذه اللغة في شكل قويم درج عليه العرب ، وجرت به ألسنتهم ، فساد في لون جديد للعربية • ولا أريد أن أطيل في هذا الموضوع ذلك انني لم أقصد اليه ، ولكني أريد أن اخلص أن العربية وان استقرت في لغة التزليل على النمط الذي انتهت اليه ، فانها احتفظت بالشئ الكثير من عناصر اللهجات المحلية ، ففي القراءات التي أجمع عليها الفقهاء والتي لم يجمعوا عليها ،

مواد مهمة تدخل في هذا الباب^(٢) .

والمعلومات عن هذا الموضوع قليلة ولا تريد أن نعرض لاسباب ذلك ،
وحسبك أن تعرف ان الاصمعي من علماء اللغة ومن رواة الاخبار والادب
قال : « والعرب لا تروى شعر أبي دؤاد الايادي ، وعدى بن زيد ، وذلك
لان الفاظهما ليست بنجدية »^(٣) .

ولعل حرصهم على أن يسود الفصح المشهور ، هو الذي حملهم على
أن يتعوا الشنشة والكشكشة والكسكة والطمطمانية والعججة وما الى
ذلك من ألوان اللهجات باللغات المذمومة^(٤) .

وفى كتب الادب ومعجمات اللغة ، اشارات للمألوف من الكلام الدارج
جرى على ألسنة الناس في مختلف الأزمنة .
وسنعرض فيما يلي لموضوع الاعلام ، لتبين الى أى حد نستطيع أن
نفيد الفوائد اللغوية التي نروم الوصول اليها .

لا بد لنا أن نصنف الاعلام الحديثة في صنفين أساسيين ، وهما :
الاعلام الحضرية ، والاعلام غير الحضرية ، ويدخل في الصنف الثاني
الاعلام القروية والبدوية ، وجميع الاعلام التي يستعملها غير المتعلمين
من الناس .

الاعلام الحضرية

ويشتمل هذا الصنف الاول على الاعلام العربية المعروفة في سائر
عصور العربية ، فهي بذلك اعلام تقليدية . ونستطيع أن نصنف هذه
فيما يأتي :

(٢) حسبك ان تعرف ان احدهم قرأ : (ولا تقربا هذه الشيرة)
بكسر الشين وبالياء حكاة أبو زيد ، انظر : مختصر في شواذ القرآن من
كتاب البديع (شواذ البقرة) . ويحمل الجاحظ قراءتين للحسن على الخطأ ،
احدهما : « وما تنزلت به الشياطين » سورة الشعراء ٢١٠٢ انظر
البيان ٤/٢ .

(٣) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١٢١ ، المرزباني ، الموشح ٧٣ .

(٤) ابن فارس ، الصحاحي ٢٤ .

(١) الاعلام الدينية

ويدخل في هذه الاعلام (أحمد) و (محمد) وقد سمي بهذين العلمين المسلمون^(٥) في سائر العصور ، وما زال العراقيون يسمون بهما تيمنا بالنبي محمد (ص) .

ومن هذه الاعلام (عبدالله) وهو من الاعلام المركبة تركيبا اضافيا ، وذلك باضافة (عبد) الى (الله) . ومثل هذا (عطاء الله) و (نصر الله) و (خير الله) و (سعد الله) و (جارا الله) و (حسب الله) ، وكل هذا ما زال سائرا مستعملا .

أما (عبدالله) فهو قديم جدا وقد كان معروفا في الجاهلية الاولى ، وحسبك أن تعرف ان ابا النبي محمد (ص) هو (عبدالله) ، وربما كان مستعملا في تلك الحقبة السحيقة الى جانب (عبداللات) وليس عبدالله من ابتداعات الاسلام كما يظن بعضهم . وان (عبدالله) من الاعلام التي يسمي بها المسلمون في العراق الآن عربا كانوا أم غير عرب ، وهو كذلك من الاعلام الشائعة بين اليهود والنصارى والصائبة وسائر الطوائف الاخرى . ومثل (عبدالله) (عبدالاله) ولكنه أقل شيوعا منه .

ومن الاعلام المصدرة بـ (عبد) (عبدالنبي)^(٦) وهو شائع بين

(٥) انصرف هذان العلمان للمسلمين دون غيرهم من الطوائف ، ولسكنك ربما وجدت بين نصارى لبنان من سمي (محمد) و (أحمد) وتفسير ذلك انه ربما التجأت الام التي لا ترزق اولادا ان تسمى ابنها بأسماء المسلمين رجاء ان يعيش لها ولدها . والاسم (أحمد) من الاعلام التي سمي بها الصائبة في جنوبي العراق (العمارة) ابناهم .

(٦) بكسر النون . ربما كانت الاعلام المصدرة بـ (عبد) عند غير المسلمين نتيجة تقليد هؤلاء للمسلمين في عادات التسمية ، وربما كان (عبدالاحد) بتشديد الحاء عند النصارى في أيامنا هذه نتيجة هذا الاتصال والتأثر بذلك . وذلك لعدم شيوع هذا العلم بين النصارى في الاقطار العربية الاخرى ، أو قل بين النصارى في العصور القديمة . ومثل هذا استعمال النصارى في جميع الاقطار (عبدالنور) و (عبدالاحد) عندهم يريدون به (عبدالمسيح) وهو شائع أيضا .

المسلمين ولا سيما الشيعة منهم كما انه معروف عند الصابئة واليهود في أيامنا هذه .

ولا تضاف (عبد) الى لفظة الجلالة وحدها ، بل تضاف كذلك الى أسماء الله الأخرى أو صفاته مثل (عبد العظيم) و (عبد القادر)^(٧) و (عبد الغفور) و (عبد المجيد) و (عبد الملك) و (عبد الجبار) و (عبد الرحمن)^(٨) و (عبد الرحيم) و (عبد الصمد) و (عبد الحميد) و (عبد السمیع) و (عبد الحكيم) و (عبد الجليل) و (عبد الأزل) و (عبد الكريم) و (عبد الودود) و (عبد الكافي) . وهذه الاعلام وغيرها على شاكلتها شائعة في العراق من شماله الى جنوبه ، وربما انفردت جهة من الجهات بأعلام على هذه الشاكلة دون غيرها كشيوع (عبد النافع) و (عبد الباسط) في الموصل وما جاورها دون سائر الجهات العراقية .

ثم ان هذه الاعلام المركبة باضافة العبد الى اسماء الله شائعة في الاقطار العربية وربما انفرد قطر بطائفة منها دون غيره مثل (عبد الجواد) و (عبد المعطي) و (عبد المولى) و (عبد الصبور) فهذه الاعلام معروفة وشائعة في مصر دون سائر الاقطار العربية وربما تجد شيئا منها في سوريا . وقد شاع في المغرب العربي تسميتهم بـ (عبد المؤمن) و (عبد البر) وطبعي ان العبد غير مضاف الى اسم من أسماء الله .

والتسمية بالعبد مضافا الى هذه الاسماء أو قل هذه الصفات مما جاء به

(٧) من الاعلام المعروفة في العراق اليوم وهو قديم أيضا ومعروف في سائر أقطار العربية وأكثر الذين يسمون به هم السنة من مسلمي العراق ، وربما كان ذلك لانه اسم الصوفي المعروف (بالجيلاني) أو (الجيلي) . وقد شاع هذا العلم شيوعا عجيبا في المغرب الافريقي بهيئته التركيبية وبهيئته المصغرة (قدور) و (قدوري) تيمنا وتبركا . كما انهم ليسمون (جيلاني) للسبب نفسه .

(٨) من الاعلام المعروفة عند المسلمين عامة غير ان الشيعة منهم يتحاشونه لانه يذكرهم بعبد الرحمن بن ملجم قاتل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .

الاسلام فقد شاعت فى صدر دولة بنى امية ثم جرى عليها العرب المسلمون
ثم شاعت بين غير العرب من المسلمين .

ولكن اضافة كلمة (العبد) لم تقتصر على لفظة الجلالة أو على أسماء
الله وانما تعدت ذلك الى أسماء الائمة والاولياء الصالحين^(٩) أو الى ألقابهم
وما اشتهروا به نحو (عبدالامير)^(١٠) و (عبدعلي) و (عبدالحسن)
و (عبدالحسين) و (عبدالباس) و (عبدالحمزة) و (عبدالكاظم)
و (عبدالرضى) و (عبدالصاحب)^(١١) و (عبدالزهرة) و (عبدالائمة)^(١٢) .

ولعلك تعجب اذا عرفت أن النصارى فى العراق يسمون بأعلام
انصرفت الى المسلمين فى سائر العصور التاريخية ، مثل عبدالعزيز ،
وعبدالحكيم ، وعبدالفتاح ، وعبدالرحيم ، ولعل عجبك يزيد اذا عرفت انهم
يحشرون هذه الاعلام الى جوار أعلام مسيحية ، وربما كانت أعلاما اوربية
كأن تجد ان أحد الاطباء فى مدينة البصرة يدعى (جلبرت فرج عبدالرحيم)
وليس من شك أن (جلبرت) هذا من الاعلام الاوربية . وكأن تجد بينهم
(صبيح جورج) مثلا .

ولا بد أن نعرض للون آخر من الاسماء المركبة تركيبا اضافيا ، وهى
تلك التى تضاف الى (الدين) مثل : عز الدين ، ونجم الدين ، وصدر الدين ،

(٩) شاعت عادة التسمية باضافة (عبد) الى أسماء الائمة أو الى
ما اشتهروا به كما مثلنا ، بين الشيعة من المسلمين فى العراق وايران ،
على انهم يسمون بالاعلام المركبة الاخرى والتى ذكرنا طائفة منها نحو
(عبدالجبار وعبدالله وعبدالحميد) وما الى ذلك .

(١٠) والمقصود بـ (الامير) هو الامام على (ر) . كما شاع بينهم
أيضاً أسماء الائمة مثل (جعفر) و (عمار) و (ياسر) وغير ذلك ، ولا
تعدم ان تجد هذه الاسماء الاخرة مستعملة عند السنة أيضاً .

(١١) والمقصود بـ (الصاحب) هو صاحب الزمان الامام المنتظر
الذى يخرج عند قيام الساعة ، وهى العقيدة المعروفة عند الشيعة ، وهو
المهدى المنتظر .

(١٢) والاستقراء يهدينا الى أن الاعلام آخذة فى الزوال ، بين الاسر
المتحضرة والتى أخذت من الثقافة بنصيب ، فقد اقلعت هذه الاسر عن هذه
العادة فى التسمية .

وشمس الدين وغير ذلك • ولم تكن هذه المركبات الاضافية أعلاما فى العصور التى سبقت عصرنا هذا ، ذلك انها كانت مركبات تصدر بها الاعلام الحقيقية على شاكلة الالقاب شأنها فى ذلك شأن الالقاب التى الصقت بخلفاء بنى العباس فغلبت عليهم ، مثل المتوكل على الله ، والمسترشد بالله ، والمهتدى بالله ، وغير ذلك ، وشأنها فى ذلك ايضا شأن ركن الدولة ، وعضد الدولة ، ونظام الملك وغير ذلك • فأبو البركات ابن الانبارى هو كمال الدين عبدالرحمن بن محمد ، والمؤرخ المعروف بابن الدينى هو جمال الدين محمد بن سعيد الواسطى • غير ان هذه المركبات جرت أعلاما فى أيامنا ، وربما استغنى عن المضاف اليه وهو (الدين) تخففا واختصارا فى المؤلف الدارج من الاستعمال ، ف قيل (شمسى) بالياء^(١٣) فى (شمس الدين) ، وقيل (عزى) بالياء فى (عز الدين) ، وقيل (نجم) فى (نجم الدين) • كما حدث شئ من هذا عند الفرس فى الالقاب المركبة مثل (نظام الملك) و (علاء الملك) و (مشير الملك) ثم حذف المضاف اليه فصارت (نظامى) و (علائى) و (مشيرى) ثم غلبت هذه الالقاب فصارت كأنها أعلام ، كما غلب (سعدى) وهو لقب على اسم الشاعر المعروف •

(١٣) واطافة الياء فى هذه الاعلام مأخوذ من الطريقة التركيبية فى اعلامهم المستعارة من العربية وهى فى الكثير الغالب مصادر ختمت بالياء ، مثل (صلحى) و (زهدى) و (حقى) و (فهمى) وغير ذلك • على ان هذه الياء ليست من ياء النسبة فى شئ • وهذه الاعلام قد استعملها العرب فى العهود التركية المتأخرة وما زالت مستعملة حتى يومنا هذا • كما استعار الاتراك ألفاظا عربية أخرى وأجروها مجرى الاعلام ولكنهم اتبعوا فيها طريقة أخرى ، ولذلك انهم ختموها بـياء معجمة محققة وهى (رفعت) و (بهجت) و (شوكت) وهذه من غير شك من الرفعة والبهجة ، والشوكة ، والهداية ، غير ان وجه الخلاف يكون فى التاء فليست الكلمة العربية وهى مختومة بالتاء كالكلمة فى استعمالها الاعجمى وهى مختومة بالتاء ، ذلك أن التاء فى الطريقة التركية لازمة أبدا ، ولا يوقف عليها بالهاء كما فى العربية ، ومن أجل ذلك كانوا على حق فى رسمها بالتاء الطويلة • وقد سمي العراقيون بهذه الالفاظ تقليدا لهؤلاء الاعاجم • ولكنهم أثروا رسم التاء بالمربوطة لمحا لأصلها العربى • وقد استعمل الفرس هذا النوع من الاعلام فسموا بـ (هدايت) و (حكمت) و (نشأت) •

(٢) الاعلام التاريخية

ويدخل فى هذا الصنف من الاعلام ما كان مستعملا فى العصور التاريخية السالفة وقد ظل مستعملا الى يومنا هذا ، ومن أمثلة هذا النوع من الاعلام ، أحمد ومحمد وعلي وهذه الاعلام ما زالت جارية عند المسلمين كافة ، أما أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة^(١٤) فهى من الاعلام التى شاع استعمالها عند السنة منهم ، وبخاصة عند الاكراد والأتراك المسلمين .

ومن هذه الاسماء الاعلام المنقولة وهى التى نقلت من النعوت والمصادر الى العلمية مثل الحسن ، والحسين ، والفضل ، والعباس وغير هذا ، وما زالت هذه الاعلام معروفة مستعملة ولكنها مجردة عن هذه الالف واللام^(١٥) .

(١٤) قل ان تجد بين الشيعة من سمي بهذه الاعلام ، وهى ان وجدت بينهم فلقائده ، وتلك عادة جرى عليها النساء اللواتي لم يرزقن فأنهن يتشبهن بهذه الاسماء التى يعافها الكثير رجاء ان يكتب مولودهن الحياة والبقاء . ومثل هذه العادة معروف عند القرويين أيضا ، فالمرأة التى لا ترزق تشبث بالاسماء الثقافية والالفاظ الحفيرة رجاء ان يعيش لها مولودها ، كأن تسمى ابنها (زبالة) أو (زبانة) أو (خريبط) أو ما شابه هذا من الالفاظ الثقافية . وقد حصل مثل هذا للمسلمين فى الموصل المجاورين للنصارى ، فقد تعدد الام الى تسمية طفلها باسم نصراني للفرص نفسه ، فتسمية جرجيس والياس وغير ذلك من أسماء النصارى . ولابد من الاشارة الى ان (جرجيس) هو عند النصارى (گورگيس) .

(١٥) لزم الالف واللام هذه الاعلام ، ولكنها جردت منها فى الاستعمال الحديث ، تخففا واختصارا ، ونستطيع ان نقول : ان جميع الاعلام التى لزمها الالف واللام فى الاستعمال القديم ، سقطت عنها هذه الزيادة اللازمة فى الاستعمال الحديث . ومعلوم ان هذه الاداة زائدة اذ لا تفيد تعريفا وتخصيصا ، وقد عبر عنها الاقدمون بانها تزداد لمحا للاصل . ولا بد ان نسجل الى ان المخاربة فى أيامنا هذه يزدنون هذه الاداة فى الاعلام ومعنى ذلك انهم ما زالوا يستعملون الاعلام على صورتها القديمة مثل الحسن والحسين والعباس والحمة ، غير انهم بالفرا فى هذه الطريقة فزادوا هذه الاداة فى الاعلام التى لم تكن لها هذه الاداة فى العصور القديمة فمن اعلامهم (البشير) وقد اشتهر مجردا عن هذه الاداة فى العصور التاريخية ومثله الحبيب ، والطيب ، والهادى ، والصافى ، والعربى ، والمدنى ، والتهمى ، والمكى ، والمهدى ، ولعل هذه الزيادة فى هذه الاعلام آتية من ان هذه الالفاظ كانت ألقابا ثم استعملت استعمال العلم ، والعربى ،

التي كانت لازمة لها في العصور التي سبقت عصرنا هذا ، فالشائع اليوم هو (حسن) و (حسين) بالامالة و (عباس) • وقد استعمل غير العرب من المسلمين كالأتراك والفرس هذه الاعلام مجردة عن هذه الزيادة في عصرنا هذا •

(٣) الاعلام المستحدثة

واريد أن ادخل في هذا الصنف نوعين من الاعلام :

(أ) الاعلام المستحدثة - ولقد كانت هذه الالفاظ مصادر فاستعيرت أعلاما مذكورة أو مؤنثة وشيوع اللفظ المستعار للمذكر أو المؤنث هو الذي يقيد به الجنس مذكرا أو مؤنثا • وربما حدث تردد في الصاق اللفظ بالمذكر أو المؤنث ، كأن تجد ان شابا من شبان هذا الزمان اسمه (ابتسام) وشابة مساوية له في العمر اسمها (ابتسام) ايضا ، وليس ذلك راجعا الى المحلية أو الاقليمية فقد يكون الشاب أو الشابة من جهة واحدة • ومثل هذا نقول (رجاء) علما للمذكر أو مؤنث ، ومثله (نجاة) •

ولابد أن نعرض لاصل هذا الاستحداث في الاعلام فنقول ان الناس قد سُموا الاعلام السائرة والتي درج عليها الناس منذ أزمنة طويلة ، فراحوا يتصيدون هذه الاعلام • وربما كان استعمال لفظ (التصيد) مصيبا في هذا الموضوع ، ذلك انهم يتوسمون أن يكون الاسم غريبا مما لم يجر على السنة الناس ، وأن يكون حلوا رقيقا في أصواته ومجاسة هذه الاصوات بعضها لبعض ، ومن أجل هذا سمو (بان) علما لاثني ، والبان شجر معروف في شبه الجزيرة ، دون أن يعرفوا حقيقة (البان) ، وربما كان في أشجارهم الحضيرية الأنيقة ما يفوق هذا البان جمالا وبهاء ، ولكنهم لزموا البان لغرابته ولسهولته في اللفظ ولجرسه وإيقاعه •

والتهامي ، والجيلاني ، ومثل هذه ، غلبة اللقب عند الفرس على العلم في باب المنسوب مجردا من اداة التعريف نحو كربلائي (حسين) ومشهدي (جعفر) لمن زار مقام الحسين في كربلاء ، ومن زار مشهد الامام الرضا ، ومثل هذا قد حدث عند القرويين في جنوب العراق فقد غلبت كلمة (زاير) وهي لقب على العلم الاصيل فيقال (زاير) ، ويقرن (الزاير) بالعلم ، فيقال (زاير ارحيمة) ، ويشير الزاير الى زائر احد المراقد الشريفة للائمة الاطهار •

وربما كان وقع الكلمة في الاذن ومجانسة أصواتها ، هو السبب في اختيارها دون غيرها ، ويتبين هذا مما نعرضه من الأمثلة الآتية ، فقد اختاروا لفظ (هيام)^(١٦) علما لاثني لما لهذا اللفظ من وقع حسن دون النظر في معناه ، وذلك انهم لو اهتموا الى المعنى لعرفوا عن هذا الاختيار ، فمن معاني الهيام انه داء يصيب الابل فيكسبها العطش^(١٧) ، والى هذا أشار الشاعر :

بيّ الحب أو داء الهيام أصابني فإياك عني لا يكن بك ما بيا

ومثل هذا اختيارهم لفظ (سهام) بضم السين علما لاثني ، فضوت اللفظ هو الذي حملهم على هذا الاختيار دون النظر في المعنى^(١٨) ، لان معنى السهام داء يصيب الابل .

ولعل من ذلك ايضا اختيارهم (سهاد) علما لاثني ، والسهاد الارق ، ولم يسموا (بالسُهد) مما هو في معناه .

ومن ذلك ايضا اختيارهم (عنان) علما لاثني ، والعنان هو اللجام ،

(١٦) واختيار هذه الالفاظ الرقيقة اعلاما ولاسيما للانات مثل (هيام) و (نهاد) و (عنان) و (ناهدة) و (نهلة) و (رواء) وما اشبه ذلك ، يشبه الى حد كبير ما حدث في الاعلام التي غلبت على الجوارى والقيان في العصر العباسي نحو (ناعم) و (عريب) و (ماجن) و (مشتاق) و (تباريح الكوفية) و (بنان) بضم الباء ، و (نشوان) و (شادن) و (زين) و (عارم) و (لاهي) و (شمسة الطنبورية) و (هاتف) و (خاضع) و (شمائل) و (عنان) ، انظر كتاب الموشى لابي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء ٢١٦ - ٢٢٩ ، ومن هذا (وحيد) للمغنية التي شبيب بها ابن الرومي الشاعر :

يا خليلي تيمنتني وحيد فنؤادى بها معنى عبيد

والذي نلاحظه ان أغلب هذه الاسماء مجردة من علامة التأنيث ، وربما كان ذلك تشبيها للجوارى والمغنيات بالفلمان ولاسيما في هذا العصر الذي جد فيه هذا النوع من الهوى ، وقد نجد بين أسماء المغنيات والفنانات ما يشبه هذا في أيامنا هذه مثل (فاتن) و (ملك) و (زهور) و (الهام) و (راقية) وغير هذا .

(١٧) انظر لسان العرب مادة (هيم) .

(١٨) انظر اللسان مادة (سهم) .

وهو السير الذي تمسك به الدابة والجمع أعنة ، ولعل صوت الكلمة دون معناها هو الذي هداهم الى (العنان) دون (اللجام) مما هو فى معناه . ولا أرى أن أحدا من الناس يرضى هذه الالفاظ أعلاما اذا اهتدى الى معانيها .

وقد اختاروا (رند) علما لاثنى وليس الرند بالشجر البهى الجميل وعندهم من الاشجار ما يفوق هذا النبات البدوى .

(ب) الاعلام المستحدثة الاصيله - وهى تلك التى كانت شائعة فى العلمية ثم هجرت ثم عاد اليها الناس فى أيامنا هذه احياء لاسماء الاولين الذاهبين من السلف ، وربما كان فى هذا الاحياء استجابة للنزعة القومية العربية . ومن ذلك انهم بدأوا يسمون بـ (خالد) و (طارق) و (عدنان) و (قصي) و (لؤى) و (دريد)^(١٩) و (مازن) و (رائد) و (ليث) و (عاصم) وغير هذا مما يدخل فى هذا الباب .

ومن أعلام الاناث (عائشة) وان كانت مستعملة بلفظ عيشة بدلا من (عائشة)^(٢٠) . وقد حمل الخفاجى لفظ (عيشة) على الخطأ^(٢١) .

ومن هذه الاعلام (دعد) و (هند) و (أميمة) و (سلمى) و (ليلي) على أن اللفظ الدارج فى (سلمى) و (ليلي) (سلمة) و (ليلة) وكأن الالف المقصورة للتأنيث مما لا يألفه الاستعمال الدارج الحديث وبخاصة فى العراق .

(١٩) ودريد من الاعلام العربية القديمة وقد جدت التسمية به فى أيامنا ، ولابد أن اذكر نكتة لطيفة فى الموضوع ، وذلك أن امرأة وضعت ولدا . فأريد له أن يسمى باسم من هذه الاسماء الجديدة وهكذا اقترحت احدها (دريد) فردت عليها الاخرى وهى امرأة جاهلة مالنا ولهذا (الدرد) ! ومعنى ذلك أن دريد وهو اسم عربى يذكر هذه المرأة الجاهلة (بالدرد) و (الدرد) كلمة دخيلة فارسية وتعنى الهم والانم وهى كثيرة الاستعمال فى العامية العراقية واستعمالها قديم فى هذه العامية ، وقد جاءت كثيرا فى شعر الحسين بن الحجاج الشاعر البغدادي .

(٢٠) الذهبى ، التذكرة ٢٨٣/١ ؛ ميزان الاعتدال ٣/٢٧٠ .

(٢١) الخفاجى ، شفاء الغليل ١٣٤ .

الاعلام غير الحضرية

ويدخل فى هذا الباب الاعلام القروية والبسوية • ولا بد أن تقدم لهذا الباب شىء لنتين طبيعة الاعلام واصولها وكيفية اطلاقها •
واطلاق الاعلام على الذوات دليل على تقدم المجتمع الانسانى بصورة عامة ، ذلك ان اطلاق الاعلام يؤلف مرحلة حضارية فى التاريخ الانسانى العام ، ثم ان الاعلام تعطى صورة للمستوى الحضارى الذى يمر به المجتمع •
ومن أجل ذلك فالاعلام عند الحضريين ذات دلالة عالية تدل على المستوى العقلى الخاص ، فى حين ان الاعلام عند غير الحضريين تدل على مستوى خاص آخر •

والذى نعرفه ان سكان القرى فى جنوبى العراق غير متحضرين ، وانهم متأخرون اذا ما قيسوا بسكان المدن أو بسكان القرى الواقعة فى الوسط والشمال • والناظر فى اعلامهم نظر الباحث اللغوى الاجتماعى يلمح تأخرهم الاجتماعى ، فأتت تحسن انهم يتشبثون بألفه الالفاظ ليتخذونها اعلاما لهم ، كأن تجد فى أسمائهم (كشافية) وهى عود الفس الدقيق ، أو تجدهم يسمون بـ (خريط) و (مطشر) وما أشبه ذلك ، وقد استوفينا ما أمكننا استيفاؤه فيما بلى هذا المكان • وربما اتخذوا من ألفاظ لا تدل على معنى معروف اعلاما لهم ، ولعلمهم أحسوا أو قل تخيلوا أن يكون فى هذه الالفاظ معان ، وكأن هذه الالفاظ موحية بشىء عندهم غير أن ذلك المعنى الضئيل غير معروف ولم يتم الاتفاق عليه ، ولم يجربه الاستعمال ، ومن أمثلة ذلك تسميتهم لاحد من الناس بـ (مرادو) بكسر الميم ، وآخر بـ (شليم) ، ومثل هذا كثير عندهم •

ومما يدل على هذا انهم لا يعلقون أهمية على الاعلام ، فقد يسمون الصغير بعلم من الاعلام حتى اذا كبر اطلق عليه شىء آخر • ولا بد أن نشير الى أن منهم من لا يعرف جده وقد حدث شىء من هذا عند تسجيل النفوس فى احصاء عام ١٩٤٧ فقد حدث ان القائم بالتسجيل يسألهم عن اسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء أجدادهم ، غير أن نفرا منهم لم يعرف جده وهو يقول

للمسجل ببساطة تدل على بدائية أصيلة فيه : سجل ما شئت من أسماء ، وليكن (جليب) وهو تصغير الكلب • على ان من أعلامهم (بلاسم) وليس هذا العلم جمعا (لبسم) كما يتخيل الحصريون البعيدون عن البيئة الريفية المقروية ، فهو يعنى (من دون اسم) أى ان صاحب هذا العلم لم يجدوا له اسما فسموه (بلا اسم) وقد تم على طريقة نطقهم تركيب الكلمتين واستحالتا كلمة واحدة •

وهذا العلم ذو فائدة ودلالة للباحثين فى الاحوال الاجتماعية لهذا المجتمع الريفى المتأخر •

وهم يتخذون من كل مناسبة اجتماعية أو تاريخية أو دينية وسيلة لاطلاق الاعلام فمجيء حاكم للاقليم لابد أن يكون سببا فى شيوع اسمه بينهم ، ولو كان ذلك الاسم أجنيا غير عربى ، ومن أمثلة ذلك شيوع اسم (دكسن) علما لانى وهذا العلم اسم لحاكم انكليزى كان فى المنطقة الجنوبية فى أيام الاحتلال البريطانى • ومثل هذا شيوع اسم (عصلى) بتشديد اللام وهو يضى (عثمانى) وشيوع (انگریزى) و (انگریزى) وشيوع (قمندار) ويعنى Commandant وهى كلمة اوربية استخدمها الاتراك فى ألقابهم العسكرية وهى استعارة فرنسية •

وانهم يتخذون من حادثة تاريخية وسيلة لاطلاق العلمية كأن يكون فى أعلامهم (حربى) وهو يشير الى اعلان حرب أو (فتنة) علما لانى وهو يشير الى حدوث فتنة بينهم وبين قبيلة اخرى •

كما انهم يتخذون من المناسبة الدينية وسيلة اخرى ولذلك نجد من أسمائهم (زيارة) علما للذكر وهو يشير الى حدوث موسم زيارة المشاهد المقدسة كمشهد الامام علي بن أبى طالب (ر) والامام الحسين بن علي وسائر الائمة الاطهار ، ومن أجل ذلك تشيع فيهم الاعلام المصدرة بـ (عبد) أى أن المولود عبد لهؤلاء الائمة الكرام مثل (عبد علي) و (عبد الزهرة) و (عبد الحسين) و (عبد العباس) والى آخره ، ولكنهم ينطقون بهذه الاعلام بتصغير المضاف فتكون (عبيد علي) و (عبيد الزهرة) توكيدا للمعنى المراد

من هذه التسمية وذلك أنهم يتوسمون أن يكون هذا المولود عبدا للامام ومحتسبا له • ومن الطريف أن نذكر أنهم يمشون في هذا السبيل الى أكثر من هذا فأنت تجد من أعلامهم (جليب على) والكلمة (جليب) مصغر (كلب) أى أن الطفل الذى اطلق عليه هذا العلم محسوب كلبا للامام علي (ر) • وربما كان ذلك تشويها للعلم (كربلائي على) الذى أشرنا اليه •

ولايد أن نلاحظ أن هذه البدائية عند هؤلاء ربما تشير الى الطوطمية القديمة للمجتمعات البدائية الاولى • غير اننا لا نلاحظ فى أعلامهم ما يشير الى التسمية بأسماء الكواكب كما يحدث عند الشعوب البدائية الاخرى ولعل سبب ذلك راجع الى أن هؤلاء لم يكونوا من الذين يدينون بتعدد الآلهة (Polythéisme) فهم مسلمون فى عقيدتهم • أما شيوخ اسم (گمر) فى أعلامهم أى القمر فذلك راجع الى أن القمر عند هؤلاء مهم وهو ذو فائدة لا تنكر عند القرويين والبدو ، فالليلة القمرية جميلة بضوئها الذى يشيع المتعة عندهم ، ومن أجل ذلك ظهر ذلك فى غنائهم وأدبهم •

ونستطيع أن نصنف فى هذه الاعلام أصنافا عدة وهى كما يأتى :

(١) أعلام بأسماء النبات :

ومنها (نخيلان) و (حرفش) و (تمر) و (هوير) و (خنظل) من أعلام الرجال و (تالة) و (وردة) و (شمامة) و (تفاحة) و (خيارة) و (رمانة) و (سعدة) و (شيجة) و (گيصومة) من أعلام الاناث •

(٢) أعلام بأسماء الامكنة :

ومنها (غدير) و (وادى) و (نهر) و (جبل) و (بحر) و (شاطيء) من أسماء الرجال ، و (ثنية) بكسر التاء و (شمرة) و (مظلمة) من أعلام الاناث •

(٣) أعلام بأسماء الحيوان :

ومنها (فهد) و (أسد) و (جرو) و (غزال) و (كليب) و (ذيب) و (ذيبان) و (بزون) و (عصفور) و (برهام) و (صكر) و (شبوط) من أعلام الرجال •

ومن أعلام الأناث (مهرة) و (كطاية) و (حمامة) و (طويرة)
و (بنية) •

(٤) أعلام تدل على نماذج طبيعية :

ومنها (صلبوخ) و (صخريج) و (صخر) •

(٥) أعلام تدل على أدوات مستعملة :

ومنها (منجل) و (معجول) وهو الناعور اذا كان ذا صفيين •
الجرار في جهات الحديشة وعنة وراوة • و (دلة) و (سيف) و (خنجر) ،
(٦) الاعلام المقرونة بدخول قائد أو جيش أو معركة وما دار فيها
من السلاح :

ومنها (انكريزية) و (كوكس) وهو اسم المندوب السامي الانكليزي
في العراق (وليم كوكس) و (برنو) نوع من السلاح و (قبيلة) تصغير
في القبيلة •

(٧) أعلام تدل على الصفات :

ومنها (ثجيل) وسببه أن اللام كانت تشعر بثقله طوال مدة الحمل ،
ومنه (متعب) بكسر الميم وسببه أن الام كان قد تعبت عند وضعه ، وربما
كان (ثجيل) تفاؤلا وتوقعا أن يكون صاحبه ذا أخلاق مرضية
هاديء الطبع :

ومنها (مظلوم) أو (امظليم) أو (مظلومة) ومعناه أن ولادة الطفل
اتفقت مع موت أحد أبويه ، ومثله (العيبى) اشارة الى أبى الطفل الذى لم
يحسن معاشرته زوجه • وقد سمعت ممن اشترك فى تسجيل النفوس سنة
١٩٤٧ ان امرأة اسمها (غدا الشر) بكسر الغين ، ومعناه ان امها وضعتها
بعد جهد ونصب حتى اذا وضعت ذهب عنها الشر •

ولهم فى الاعلام أساطير لا بأس أن نعرض لشيء منها ، وذلك ان
أحدهم فى ريف من أرياف العمارة فى مناطق الاهوار اسمه (صريوط)
وهو (سيد) وللسيد عند هؤلاء الناس قدسية معروفة يبنى عليها قيامه
بالخوارق من الاعمال ، كأن رصاص البنادق لا يؤثر فيه ، وصاحبنا (صريوط)

من هؤلاء أصحاب السرار قد وضعته أمه واضطرت الى صرطه وبلعه فعاد ثانية مولودا جديدا ومن أجل هذا سموه (صربوط) والصاد ابدال من السين . ويدخل في هذا الباب التي تدل على الكفاية والتفضيل ، ومنها (بسعاد) و (وسنة) و (كافي) و (كفاية) و (تسواهن) و (علاهن) .

(٧) الاعلام الدالة على الزمان :

وفى هذه الاعلام يشترك أهل الحواضر مع غيرهم من سكان البوادي والارياف كالسمية بالايام فالطفل الذي تضعه أمه فى يوم الجمعة يسمى (جمعة) وهكذا قل فى (سبتى) لمن يولد فى أيام السبت ، و (خميس) لمن يولد فى أيام الخميس .

ومن هذه الاعلام (صفر) و (رجب) و (رمضان) و (شعبان) و (عيادة) لمن ولد فى العيد .

على اننا نستطيع أن نتبين أن هؤلاء القرويين يقلدون فى التسمية أحيانا دون معرفة معاني الاسماء التي يطلقونها فى تقليدهم ، ومن ذلك ما حصل للقرويين الذين هجروا الارياف ، واستوطنوا فى المدن وعاشوا الى جوار المتحضرين ، فقد رأيت أن طفلا من أطفال هؤلاء اسمه (احسان) وذلك تقليدا لاسم حضرى وهو اسم صاحب البيت المجاور لهم ، ولو سألت والد هذا الطفل عن معنى الاسم الجديد لما وجدت عنده جوابا ، واستقراء أعلام النشء بين هؤلاء يدل على تقليد هؤلاء للحضرين فى التسمية ، ومن ذلك أن أحدهم حلا له أن يسمى وليدة له ب (هيام) تقليدا لغيره وانسا بالكلمة ، ولكنه أفلح عن هذه التسمية بعد أن عرف مدلوها الشائع .

التصغير فى الاعلام

التصغير معروف فى العربية وأوزانه معروفة فى كتب الصرف ، وكتب الصرف تكفى بالاوزان المعروفة ، وهى تصغير الثلاثي ، والرباعي ، والخماسي .

ولكن الاستقراء فى العربية فصيحها ولهجاتها الدارجة يدلنا على صيغ كثيرة فى التصغير ، وقد أولع العرب بالتصغير منذ أقدم العصور ، وقد جاءت

صيغة التصغير في القرآن عدة مرات في لفظ (قريش) و (شعيب)
و (عزيز) و (حنين) و (سليمان) وتصغير الابن علي (بني) قد جاء في
ست آيات على لسان شيخ من شيوخ بني اسرائيل ، أو على لسان نبي * وقد
جاءت هذه الكلمة المصغرة في ثلاثة فصول من أمثال سليمان في التوراة ،
ولا شك ان استخدام هذه الصيغة المصغرة يؤدي غرضا معنويا *

والفائدة من التصغير معروفة فتد يفيد التحبيب ، وقد يفيد التحقير
والتقليل ولعل هذا المعنى الأخير هو الذي جعل غير الحضريين من سكان
القرى والبادي يميلون الى التصغير في أعلامهم وفي الألفاظ الأخرى *
ذلك ان حياتهم قاسية وبسّتهم فقيرة مجذبة فهم في فاقة وعوز وحاجة ابدا ،
وليس لديهم الا التافه الحقير مما يأكلون ومما يستعملون ، ومن أجل ذلك
يلصقون بهذا التافه ألفاظا مصغرة ، فلا يزهى القروي بثوبه كما يزهى
الحضري المترف ، ولذا فالثوب عنده (ثوب) بالتصغير *

وللتصغير طرق غير الطرق المعروفة ، ومن ذلك أن يختم الاسم بالواو
والتون ، كما في (سعدون) ، و (خلدون) ، وهذه الطريقة في الأعلام
شائعة في المغرب العربي فمن أعلامهم (حمدون) و (وهبون) و (سخون)
و (جلون) و (فرحون) وغير هذا *

وهذه الطريقة في التصغير معروفة في العامية العراقية ، فتصغير
(درب) (دربونة) والتاء تفيد المبالغة في التصغير ، ومثل هذا لزوم التاء
في المصغر المؤنث اللفظي في فصيح العربية ، فتصغير (ساق) (سويقة)
وتصغير (عين) (عينية) وتصغير (أذن) (أذينة) والتاء في هذه الكلمات
مؤكدّة للتصغير ، كما هي مشيرة للتأنيث * ومنه في الدارج العامي قولهم
(بيتونة) مصغر (بيت) ، و (شيء) يصغر على (شويونة) بتشديد الياء ،
و (حبة) تصغر على (حبونة) *

وزيادة الواو والتون للتصغير تتفق مع ما هو معروف في السريانية
عن التصغير فكلمة (كتابا) تصغر على (كتابونا) ، وتتفق كذلك مع ما هو
معروف في العربية عن التصغير ، فكلمة (ايشون) هو تصغير لكلمة

(ايش) (٢٢) ومعناها (انسان) ، وربما كانت كلمة (ايسان) العربية قريبة من الكلمة العبرية . وربما استطعنا حمل (عبدوس) (*) على التصغير ، فالواو والسين أداة سريانية أخرى تذيل بها الكلمة لتصغر ، ولعل (حمديس) من هذا الباب أيضا . ويكون التصغير بتذيل الاسم بالالف والنون كما في (بنيان) و (ثنيان) بتشديد الياء في كل منهما .

ولعل كلمة (حيزوم) لصدر السفينة ، صورة مصغرة أخرى ، فالحيز هو المكان ، فإذا ختم بهذه الاداة دل على مكان بعينه ، ونستطيع أن نحمل على ذلك (باعوم) و (حلقوم) و (زردوم) . والمتبع لفرائد اللغة يجد أن طريقة التصغير تختلف بين جهة وأخرى ، فالاعلام (رشيد) و (حسن) و (علي) تصغر على (رشو) و (حسو) و (علو) بالتشديد في جهات معينة من العراق . وهناك من يصغر (خديجة) على (خجة) بادغام الدال بالجيم ، ومنهم يصغرها على (خدوج) ، ومنهم من يصغرها على (خديوج) ، ومنهم من يصغرها على (خديجة) باسكان الياء .

أما (فاطمة) فتصغر على فطوم) و (فطيم) و (فطومة) وهو شائع معروف ، وقد تصغر على (فطم) بفتحين للتجيب ، وقد صغرت في مصر على (فطمطم) (٢٣) كما صغرت في الموصل على (فطوش) وهذا التصغير في (فاطمة) معروف في التركية الحديثة .

أما (زينب) فقد صغرت على (زنوبة) وعلى (زمو) بتشديد الميم وقد صغرت على (زماوي) . وأما (عائشة) فقد صغرت على (عيشة) و (عواشة) بتشديد الواو و (عويشة) . وقد جاءت أعلام مصغرة وهي مخنومة بالواو والسين لافادة التصغير

(٢٢) Gesenius' Hebrew Grammar, P. 240.

(*) قد تكون هذه الزيادة من تأثير اللاتينية .

(٢٣) انظر انوليتمان ، مجلة كلية الآداب ١٩٤٨ الجزء الاول .

كما في (دعدوش) و (حمروش) و (بوكروش)^(٢٤) وهذا شأن
في المغرب .

ولعل أداة التصغير الحقيقية هي الواو الأخيرة في الكلمة كما في
(قدور) من عبد القادر و (عصفور)^(٢٥) من (صفر) و (شعور) مصغر
(شاعر) و (جرور) في ذكر الجباري ، و (عزوز) بالتشديد
مصغر (عزيز) .

كلمة أخيرة

ونستطيع أن نبين أن للعبد والممالك أسماء خاصة ما زالت مستعملة
حتى يومنا ، تدل عموماً على تكريم هؤلاء باطلاقها عليهم مثل (ياقوت)
و (مرجان) و (ماس) و (جوهر) ، وقديماً كانت أعلام الممالك على
هذه الشاكلة . فالفقيه الشافعي المتوفى سنة ١١٧ هـ اسمه (مكحول)^(٢٦) ،
لأنه كان من الأسرى الذين جيء بهم من كابل . واسم كافور الاخشيدى
من الممالك على هذه الشاكلة ومثله جوهر الصقلي القائد المعروف .

(٢٤) والعلم (بوكروش) هو من الكنى في الاصل وقد اقيمت
الكنى في المغرب مقام الاسماء كما في (بو القاسم) و (بومدين) .
(٢٥) سمي (العصفور) من صوت الطائر وهو (صفر) ويدلنا على
ذلك ما في العبرية فالاسم فيها هو (صفور) بتشديد الفاء .
(٢٦) ابن خلكان ٥٨٥/٢ .

تعاير اوروبية في العربية الحديثة

بدأ الغرب يقترب من الشرق العربى فى مطلع هذا القرن ، وكان الناس قبل ذلك فى معزل عن هذه الحضارة الوافدة وفى مأمن من هذا الغزو الذى جر عليهم الوبال • غير أن الغزو لم يقتصر على الميدان السياسى حسب ، بل تعدى ذلك الى غيره من الميادين ، فقد أخذ هذا الشرق العربى رضى أم كره بهذه الحضارة التى تعتمد فى جوانب عدة منها على الخير ، فهى ليست شرا يتعافاه الناس ابدا •

وكان من نتيجة هذه الحضارة أن تأثر العربى وهو فى بيئته بها ، تأثر فى أفكاره ، وتأثر فى طريقة عيشه ، وتأثر فى جوانب كثيرة من جوانب حياته اليومية ، وصار العربى يقرأ ثمرات الفكر الاوربى فى اللغات التى كتبت بها • وكان من جراء ذلك أن اللغة العربية الحديثة استفادت شيئا جديدا أو قل أشياء جديدة ، أقول استفادت بمعناها الواسع الشامل ، فقد جدت فيها أساليب كثيرة لم تكن الا وليدة الترجمة • هذه الاساليب عربية عن العربية فهى بنت ظروف وأحوال اجتماعية لم توجد فى هذا الشرق العربى • غير أن العربية وهى السمحة السهلة ، اللينة ، الطيبة ، لم تتكر لهذه الاساليب فقد قبلها الاستعمال وراضها حتى توهم القارئ وهو يقرأ صحيفته اليومية ان الذى يقرأه عربى لم يعثوره الدخيل ، ولم يقتصر الامر على القارئ الذى لا يعنيه أمر العربية وأطوارها ، وموضوع اللغات وأسرارها ، بل خفى ذلك على القارئ الفطن المختص ، فقد تجاوزت هذه الاساليب لغة الصحف السائرة الى المقالة الادبية الحديثة •

ولتوضيح ما ذهبنا اليه سنستوفى ما أمكن استيفاؤه من هذه الاساليب ليقف عليها القارئ ويرى ويحكم على العربية وقدرتها على النماء والتوسع وعلى قدر ما تأثرت به سلبا وإيجابا ، أقول سلبا وإيجابا ، لان طائفة من هذه الاساليب لم تستفد منها العربية غنى وثروة لغوية ، فقد ترجمت وحشرت

فى العربىة ، وكان سبب ذلك كله جهل من تصدى للترجمة باصول العربىة وفنون القول فيها فلم يتيسر لهم نقل الافكار الغربىة بأسلوب عربى • ولو عرف هؤلاء بلاغة العرب ، وعرفوا أسرارها لما اندست فى العربىة أساليب غربىة عنها بحيث لا تمد من طائفة المصطلح الفنى "Terme Technique" الذى نجتهد فى أن يتوافر لدينا •

ولا ضير على العربىة من دخول طائفة من هذه الأساليب ، بل ربما افادت منها وأثرت ونمت ، وقد علمنا أن لفتنا قلبت من الدخيل الغربى شيئا كثيرا على مر العصور ، ومن صفات اللغة الحية أن تقبل من غيرها فتردها وتنمو • وإذا علمنا أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، فقد قبلنا أنها متطورة متجددة يؤثر فيها الزمان والمكان ، وقد خضعت العربىة لسنة التطور ، فتنوعت أساليبها ، فماتت فيها ألفاظ وجدت أخرى • ودونك الكثير من ألفاظ الشعر الجاهلى التى أصبحت « متحجرات لفوية » ان جاز هذا التعبير ، والتى لا نجد لها فى لغة القرآن والحديث ولغة الادب فى صدر الاسلام •

وقد حدثنى بعضهم فى أن العربىة اعتمدت على المجاز والاستعارة والكناية ، وكانت هذه وسائل لزيادة ثروة اللغة ، فلم نجد طائفة كبيرة من الأساليب الحديثة التى دخلت فى لغة الصحف اليومية ولغة الكتابة السائرة مترجمة دخيلة ؟ وأقول ردا على هذا الاستفهام : ان المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التى أمدت العربىة بأساليب كثيرة وأفادت منها فائدة عظيمة • بحيث لم نستطع الآن أن نحصى هذه الأساليب أو أن نتيبها ، ذلك بأن جزءا كبيرا من هذه المجازات مثلا صار ملتبسا بالحقيقة أو كأنه استعمال حقيقى لشيوعه وذبوعه ، ولان الاستعمال الحقيقى بالاصالة صار منسيا ، فامحى أثره ولم يعد مستعملا ابدا •

على ان هذه الوسائل وهى المجاز والاستعارة والكناية لم تكن • مقتصرة على العربىة فهى فى كل اللغات ، واللغات مختلفة فيها ، فقد نجد استعمالا مجازيا فى لغة مؤيدا معنى من المعانى ، يختلف عن مجاز آخر فى لغة أخرى مؤد للمعنى نفسه • وعلى هذا فالمجازات التى ذكرناها فى هذه المقالة

واعتبرناها من الدخيل الطارئ في العربية هي من هذا الباب ، أى مما لم تألفه العربية في أساليبها فهى مترجمات من لغة أخرى • وعمر هذه الأساليب ربما لم يتجاوز نصف القرن الماضى •

وسواء رضينا أم لم نرض فقد اندس هذا الدخيل الوافد فتعرب • ولا بأس من ذلك كما أسلفنا ، ذلك أن طائفة كبيرة منها مما تدعو اليه الضرورة ، وإن ألفاظها عربية فصيحة ، وإن باب التوسع والمجاز بعد كل ذلك مفتوح • ودونك شيئا من مقررات المجمع اللغوى المصرى فى هذا الموضوع : (فالباب مفتوح للأساليب الاعجمية تدخله بسلام ، إذ ليس فى هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمى ، وإنما هى كلمات عربية محضة ، ركبت تركيا خالصا ، لكنها تفيد معنى لم يسبق لاهل اللسان أن أفاده بتلك الكلمات)^(١) • وعلى هذا فلا ينبغي أن يفهم القارئ انى فى معرض تخطئة الكتاب ، أو انى من أولئك الذين يفتنون الحفاظ على العتيق البالى ، ولكنى استجّل هذه الأساليب أخذًا بالمنهج العلمى وخدمة للعربية وإظهارا للإطوار التى تجازها الكلمة عبر العصور وما يجد ويستحدث فيها •

وأنا أعرض الآن من هذه الأساليب ما انتهى استقرائى لنصوص العربية الحديثة كما هى مثبتة فى الصحف والمجلات والكتب الحديثة :

استعمال الفعل (عاد) فى تركيب لم يعرف فى العربية ، وإنما حدث ذلك عن طريق الترجمة كأن نقول : (لم يعد فلان قادرا) وهذا ترجمة لاستعمال أوربى كما فى الفرنسية : Il n'est pas capable.

ونقول : يبكى فلان بكاء مرا • وهو من "Il pleure amèrement." وما دما بصدد البكاء فلا بد أن نشير الى الجملة الآتية التى ترد فى الصحف والكتابات الحديثة وهى : هو يبكى بدموع التماسيح^(٢) • ومعناها

(١) مجلة المجمع اللغوى المصرى ج ١ ص ٣٣٢ •

(٢) من المفيد أن نشير الى أن شيئا من هذا التعبير قد جاء فى ارجوزة ابن المعتز فى البيت الذى ثبتته ، غير أننا لا بد أن نوّكد ان التعبير الشائم لم يكن عربى الاصل كما استعمل عند ابن المعتز ، وإنما جاء عن طريق الترجمة من اللغات الاوربية •

البيت : ثم بكوا من بعده وناحوا كذبًا كذاك يفعل التماسيح

معروف ، وهى من التعبير الفرنسى : Il pleure aux Larmes de crocodile.

وفى الانكليزية : To shed crocodilés tear.

ونقول : ابتسامة هادئة ، وهذا من الفرنسية : "Sourire Calme".

وفى الانكليزية : "Calm smile".

ونقول : هو يمثل رأى العام^(٣) ، وهو من قولهم فى الفرنسية :
"Il represente L'opinion publique."

وفى الانكليزية : "He represents public opinion".

ونقول : هو يسهر على المصلحة العامة ، وهذا من
Il veille sur le bien commun.

ونقول : هذه القضية مطروحة على بساط البحث ، وهذا كما فى

العبارة الفرنسية • Cette cause est mise sur le tapis.

ونقول : ذر الرماد فى العيون ، وهو فى الفرنسية :
Il jette de la poudre aux yeux.

وفى الانكليزية : To throw dust in the eye.

ونقول : لقتل الوقت ، وهو فى الفرنسية : pour tuer le temps.

وفى الانكليزية : To kill the time.

ونقول : هو يلعب دوره ، وهو فى الفرنسية : Il joue son rôle.

وفى الانكليزية : He plays his part.

ونقول : بدوره ، وهو فى الفرنسية : à son tour.

وفى الانكليزية : In his turn.

ونقول : أعطى وعدا ، وهو فى الفرنسية :
Il a donné rendez - vous.

وفى الانكليزية : To give a promise.

(٣) تحميل كلمة (الرأى العام) هذا المعنى هو من الباب الذى نسجله
فى هذه الصفحات ، وكذلك استعمال الفعل (مثل) هذا الاستعمال ،
داخل فى هذا الباب أيضا .

ونقول : هو أعطى صوته ، وهو فى الفرنسية :
Il a donné sa voix.

وفى الانكليزية :
To give one's vote to.

ونقول : هو يكسب بعرق جبينه ، وهو فى الفرنسية :
Il gagne à la sueur de son front.

ونقول : هو مع رفيقه على قدم المساواة ، وهو فى الفرنسية :
Il est sur pied d'égalité avec son ami:

وفى الانكليزية :
He is on equal footing with his freind.

ونقول : حجر عثرة ، وهو فى الفرنسية :
Pierre d'achoppement.

وفى الانكليزية :
a stumbing block.

ونقول : لعب ورقته الاخيرة ، وهو فى الفرنسية :
Il a joué sa dernière carte.

وفى الانكليزية :
He played his last card.

ونقول : أعطاه ورقة بيضاء ، وهو فى الفرنسية :
Il lui a donné une carte blanche.

وفى الانكليزية :
To give a blank cheque.

ونقول : هو يلعب بالنار ، وهو فى الفرنسية :
Il joue avec le feu.

وفى الانكليزية :
To play with fire.

ونقول : هو يصطاد فى الماء العكر ، وهو فى الفرنسية :
Il pêche en eau trouble.

وفى الانكليزية :
To fish in troubled water.

ونقول : على شرف فلان ، وهو فى الفرنسية :
En son honneur.

وفى الانكليزية :
on his honour.

ونقول : توترت العلاقات ، وهو فى الفرنسية :
Les rapports sont tendus.

Strained relations وفي الانكليزية :
ونقول : ضحكة صفراء ، أو ابتسامة صفراء ، وهو في الفرنسية :
Rire jaune.

ونقول : كرس^(٤) حياته ، وهو في الفرنسية :
Il a consacré sa vie.

To sacrifice one's life. وفي الانكليزية :
ونقول : المصائب محك الصداقة ، وهو في الفرنسية :
Les malheurs sont la pierre de touche de l'amitié.

ونقول : نزولا عند رغبته ، وهو في الفرنسية :
Cedant à son desir.

At his own request. وفي الانكليزية :
ونقول : الضرورة الملحة ، وهو في الفرنسية :
Necessité insistante.

insisting needs. وفي الانكليزية :
ونقول : بكل معنى الكلمة ، وهو في الفرنسية :
Dans tout le sens du mot.

In the full sens of the word. وفي الانكليزية :
ونقول : وضع النقاط على الحروف ، وهو في الفرنسية :
Il a mis les points sur les ii

ونقول : أجاب بالحرف الواحد ، وهو في الفرنسية :
Il a répondu à la lettre.

ونقول : الاوساط^(٥) المطلعة ، وهو في الفرنسية :
Les milieux les bien informés.

(٤) الفعل كرس من الالفاظ المسيحية الكنيسية وهو من أصل سرياني آرامي على ان التركيب كله دخيل في العربية وهو مترجم عن العبارة الفرنسية .

(٥) ان من يترجم العبارة الاجنبية باستعمال (المحافل المطلعة) يكون الصق بالعربية وفصاحتها ، لان الاوساط جمع وسط ، ولم يعرف عن الوسط في العربية هذا الانتقال المجازي .

Well - informed quarters. وفي الانكليزية :

ونقول : الاوساط الجديرة بالثقة ، وهو في الفرنسية :
Les milieux dignes de foi.

trust worthy circles. وفي الانكليزية :

ونقول : الدوائر العليا ، وهو في الفرنسية :
Les hauts cercles.

The higher circles. وفي الانكليزية :

ونقول : دفع الثمن غالبا (بالاستعمال المجازي بمعنى لقي الصعاب من
جاء أمر من الامور ، أو عمل من غير تفكير) ، وهو في الفرنسية :
Il a payé cher.

He paid dear. وفي الانكليزية :

ونقول : ركز^(٦) البحث على نقاط معينة ، وهو في الفرنسية :
Il a concentré sa recherche sur certains points.

He concentrated on certain points. وفي الانكليزية :

ونقول : أكد على^(٧) نقاط معينة ، وهو في الفرنسية :
Il a insisté sur certains points.

He emphasized certain points وفي الانكليزية :

ونقول : أثر عليه^(٨) ، وهو في الفرنسية :
Influer sur lui.

ونقول : يبلور الفكرة ، وهو في الفرنسية :
Il cristallisé son idée.

ونقول : يسمم الرأي العام ، وهو في الفرنسية :

Il empoisonne l'opinion publique.

To poison the public opinion. وفي الانكليزية :

(٦) التركيز بهذا المعنى دخیل استعمله المشتغلون بالكيمياء .
(٧) تعديده الفعل (اكد) يعلى بسبب التركيب الاجنبى فالفعل
الاجنبى فى هذا المعنى يتعدى بهذا الحرف ، والصواب ان الفعل العربى
يتعدى بنفسه .
(٨) وتعديده الفعل (اثر) يعلى بسبب نظيره الفعل الاجنبى الذى
يتعدى يعلى ، اما الفعل العربى فالفصيح ان يتعدى بحرف الجر (فى) .

ونقول : خنق الحريات ، وهو فى الفرنسية :
Etranglement de libertés.

وفى الانكليزية :
To strangle the liberties.

ونقول : الضمير العالمى ، وهو فى الفرنسية :
La conscience mondiale.

وفى الانكليزية :
The world conscience.

ونقول : مؤتمر المائدة المستديرة ، وهو فى الفرنسية :
Congrès de table ronde.

وفى الانكليزية :
Rond table conference.

ونقول : طبقه على مقياس واسع ، وهو فى الفرنسية :
Il l'a pratiqué en large mesure.

وفى الانكليزية :
He applied it on a wider scale.

ونقول : هو يعمل فى اطار ضيق ، وهو فى الفرنسية :
Il travaille dans un cadre très restreint.

وفى الانكليزية :
He works in a narrow circle.

ونقول : اطرار الجيش^(٩) ، وهو فى الفرنسية :
Les cadres de l'armée.

ونقول : العين المجردة ، وهو فى الفرنسية :
Un oeil nu.

وفى الانكليزية :
Naked eye.

ونقول : ان لم تخني الذاكرة ، وهو فى الفرنسية :
Si La memoire ne m'a pas trahi.

(٩) دلالة الاطار فى العربية معروفة ، ولم يستعمل هذا الاستعمال المجازى ، واستعماله هذا على طريقة المجاز نقل للاستعمال الفرنسى الذى اشرنا اليه . ومن أجل كثر هذا الاستعمال فى الصحف العربية فى الشمالى الافريقى بصورة خاصة ، اما اهل الشرق العربى فيستعملون فى هذا المقام ألفاظا عربية مثل (الملاك ، والتنظيمات وما اشبه ذلك) وربما وجدنا لفظ (الكوادر) مستعملة على صورة الجمع للكلمة الاجنبية ، كما يحدث فى الصحف اللبنانية والمصرية .

ونقول : حرق البخور^(١٠) ، وهو فى الفرنسية :
Il a brûlé de l'encens pour son maître.

وفى الانكليزية :
The burnt the incense for his sir.
ونقول : الاكثرية الساحقة^(١١) ، وهو فى الفرنسية :
La majorité écrasante.

وفى الانكليزية :
Over whelming majority
ونقول : على هامش السياسة^(١٢) ، وهو فى الفرنسية :
En marge de la politique.

وفى الانكليزية :
On the margin of the policy.
ونقول : التراب الوطنى^(١٣) ، وهو فى الفرنسية :
Le territoire national.

وفى الانكليزية :
National territory, dominion.
ونقول : جرح شعوره ، وهو فى الفرنسية :
Il a blessé son amour.

وفى الانكليزية :
He wounded his Feeling.
ونقول : أخذ بنظر الاعتبار ، وهو فى الفرنسية :
Il a pris en considération.

وفى الانكليزية :
He took in consideration.
ونقول : أخذ مكانه بين رفاقه ، وهو فى الفرنسية :
Il a pris sa place parmi ses camarades.

وفى الانكليزية :
He took his seat between his comrades.
ونقول : التيارات الادبية ، وهو فى الفرنسية :
Les courants littéraire.

-
- (١٠) تعبير ذو أصل دينى مسيحى متصل بالبخور الذى يحرق فى الكنائس .
(١١) تعبير متصل بالتقاليد (البرلمانية) .
(١٢) الهامش كلمة دخيلة قديمة ولكنها لم تستعمل هذا الاستعمال للجازى .
(١٣) تعبير شائع فى العربية فى الشمالى افريقى .

وفي الانكليزية : The literary currents.

وتقول : مع الاسف ، وهو في الفرنسية : Avec mes regrets.

وفي الانكليزية : With regrets.

وتقول : مع تمنياتي ، وهو في الفرنسية :

Avec mes souhaits.

وفي الانكليزية : With my best wishes.

وتقول : النجاحات^(١٤) جمعا لنجاح ، ونشاطات جمعا لنشاط وهذه

شائعة في الفرنسية : Succès, activités.

وفي الانكليزية : Successes, activities.

وتقول : اتبعوا سياسة القاء القفاز^(١٥) ، وهو في الفرنسية :

Ils ont pratiqué la politique de mettre les gants.

وفي الانكليزية :

They practised the policy of throwing down the gauntlet.

وتقول : اتبعوا سياسة القاء القفاز^(١٥) ، وهو في الفرنسية :

Sur le compte de l'opinion publique.

وفي الانكليزية : At the expense of public opinion.

وتقول : الحياة الادبية^(١٦) ، وهو في الفرنسية :

La vie littéraire.

وفي الانكليزية : The literary life.

وتقول : يشل الاعمال ، وهو في الفرنسية :

Il paralyse les affaire.

وتقول : ضرب الرقم القياسي أو كسره ، وهو في الفرنسية :

Il a battu le record.

(١٤) اجاز الاقدمون جمع المصدر اذا افاد النوعية المختلفة ، واذا انتقل من الحدث الى الاسمية . كما نجده في مقررات المجمع اللغوى فى القاهرة ، وهو منشور فى مجلة المجمع العلمى بدمشق الجزء الخاص بمؤتمر المجمع العلمية اللغوية لسنة ١٩٥٧ .

(١٥) تعبير يتصل بالبيئة التى استخدم فيها وهى البيئة الرياضية .

(١٦) تعبير شائع فى الصحف والمجلات فى عصرنا الحاضر حتى خيل

للمهتمين بمسائل اللغة أنه تعبير عربى فى الاصل ، وليس الامر كذلك .

وفي الانكليزية : he beats the record.

ونقول : أعمال الكاتب الكاملة^(١٧) ، وهو في الفرنسية :
Les oeuvres complètes de l'écrivain.

وفي الانكليزية : The complete works of the writer.

ونقول : لا يرقى اليه الشك ، وهو في الفرنسية :
Le doute ne remonte à lui.

ونقول : تحت تأثير ، وهو في الفرنسية :
Il est sous l'influence.

وفي الانكليزية : It is under the influence.

ونقول : البرج العاجي^(١٨) ، وهو في الفرنسية :
La tour d'ivoire.

وفي الانكليزية : Ivory tower.

ونقول : يلقي ضوءاً على هذه المسألة ، وهو في الفرنسية :
Il jette une lumière.

وفي الانكليزية : To throw light on.

ونقول : على ضوء الاحداث ، وهو في الفرنسية :
A la lumière des événements.

وفي الانكليزية : At the light of the events.

ونقول : يلقي نظرة ، وهو في الفرنسية :
Il jette un coup d'œil.

ونقول : يمر بتجربة قاسية^(١٩) ، وهو في الفرنسية :

Il passe une épreuve dure.

وفي الانكليزية : He goes through difficulties

(١٧) لم يعرف في العربية هذا الاسلوب وانما يقال مؤلفاته أو كتبه
أو آثاره أو مصنفاته .
(١٨) والفصيح أن يقال : البرج العاج .
(١٩) تحميل التجربة معنى الحادثة أو المحنة دخيل أجنبى ، وهو من
باب التضمن في اللغة .

- ونقول : عاش التجربة ، وهو فى الفرنسية :
Il a vécu l'épreuve.
- ونقول : ولتقلب صفحة^(٢٠) ، وهو فى الفرنسية :
Qu'on tourne la page.
- وفى الانكليزية :
Turne new page.
- ونقول : المعطيات^(٢١) ، وهو ترجمة للكلمة :
Les données.
- ونقول : هو خارج امكانياتي ، وهو فى الفرنسية :
Il est en dehors de mes possibilités.
- ونقول : الشخصية^(٢٢) ونريد بها صاحب الشخصية رجلا أو امرأة ،
وهو فى الفرنسية :
personnalité.
- ونقول : الشخصية البارزة ، وهو فى الفرنسية :
Personalité marquante.
- وفى الانكليزية :
a marked personality.
- ونقول : يعلق أهمية خاصة ، وهو فى الفرنسية :
Il attache Une certaine importance.
- وفى الانكليزية :
To attach importance.
- ونقول : يعلق أملا كبيرا ، وهو فى الفرنسية :
Il attache une grande sepoire.
- وفى الانكليزية :
To attach great hope.
- ونقول : أجاب فى شيء من الدهشة ، وهو فى الفرنسية :
Il a répondu avec un peu d'éttonnement.
- ونقول : وهو يجذب الانتباه ، وهو فى الفرنسية :
Il tire l'attention.

(٢٠) الاسلوب أجنبى ، ولعل ما يقابله فى الاساليب العربية قولهم :
ولتضرب صفحا .

(٢١) يراد بالكلمة الفرنسية الافكار والمعانى ، اما (المعطيات)
فهى من ابتداعات السوريين واللبنانيين .

(٢٢) تدل الشخصية على الحالة أو الهيئة التى يكون فيها الشخص ،
وهى من اصطلاحات علم النفس ، ولها مدلول فلسفى ، والمصدر الصناعى
مفيد فى باب المصطلحات العلمية .

وفي الانكليزية : It attracts attention.

ونقول : هو يعكس الحالة الاجتماعية ، وهو في الفرنسية :
Il reflète la situation sociale.

وفي الانكليزية : It reflectes the social back-ground.

ونقول : الجنس اللطيف ، وهو في الفرنسية :
La belle sexe.

وفي الانكليزية : The fair sex.

ونقول : وجهات النظر (٢٣) ، وهو في الفرنسية :
Les points de vue.

وفي الانكليزية : The points of view.

ونقول : أعزني أذنك ، وهو في الفرنسية :
Prêtez - moi les oreils.

وفي الانكليزية : Lend me your ear.

ونقول : غطاء النفقات ، وهو في الفرنسية :
La couverture de frais.

وفي الانكليزية : To cover the expenses.

ونقول : الجهاز الحكومي ، وهو في الفرنسية :
L'organ gouvernemental.

وفي الانكليزية : The official organ.

ونقول : الماكينة الحكومية ، وهو في الفرنسية :
La machine gouvernementale.

ونقول : يحمل على الاعتقاد ، وهو في الفرنسية :
Il porte à croire.

ونقول : هو ينظر من زاوية ، وهو في الفرنسية :
Il voit d'un coin.

وفي الانكليزية : He looks from one ongle.

(٢٢) دلالة (وجهات النظر) على الرأي والفكرة والنظر العقلي
غير عربية اصيلة وانما دخلت العربية عن طريق الترجمة كما بينا .

ونقول : حـجـر الزاوية ، وهو فى الفرنسية :
La pierre angulaire.

وفى الانكليزية :
Corner stone.

ونقول : يحتضن الفكرة ، وهو فى الفرنسية :
Il courve l'idée.

ونقول : يتبنى الفكرة ، وهو فى الفرنسية :
Il adopte l'idée.
وفى الانكليزية :
He adopts the idea.

ونقول : اعتنق الفكرة^(٢٤) ، وهو فى الفرنسية :
Il a embracé l'idée.

وفى الانكليزية :
He embraced the idea.

ونكرر الطرف الشرطى (كلما) فى استعمالنا فنقول : كلما عمل
كلما ربح^(٢٥) ، وهو فى الفرنسية :
Plus il travaille, plus il gagne.

وفى الانكليزية :
The more he works, the more he earns.

ونقول : تناول الكلمة ، وهو فى الفرنسية :
Il a pris la parole.

ونقول : اعطى الكلمة ، وهو فى الفرنسية :
Il a donné la parole.

وفى الانكليزية :
He gave a speech.

ونقول : عنده حق ، وهو فى الفرنسية :
Il a raison.

وفى الانكليزية :
He has the right.

ونقول : سابقة خطرة ، وهو فى الفرنسية :
Precedent dangereux.

وفى الانكليزية :
a dangerous precedent.

(٢٤) وفى العربية شئ ربما أشبه هذا ، فقد ذكر الزمخشري فى
أساس البلاغة ما نصه : واعتنق الامر لزمه . انظر مادة (ع ن ق) .
(٢٥) نبه اللغويون على هذا الخطأ فقل وروده ، على أنه ما زال
موجودا فى لغة الجرائد .

ونقول : أزمة نفسية ، وهو فى الفرنسية :
Crise psychologique.

وفى الانكليزية :
Psychological crisis.

ونقول : بوصفه أو بصفته ، وهو فى الفرنسية :
En sa qualité

وفى الانكليزية :
In his capacity.

ونقول : هو جاهل لغاية أن يكون بدائيا ، وهو فى الفرنسية :
Il est ignorant à tel point qu'il soit primitif.

ونقول : حمامة السلام ، وهو فى الفرنسية :
La colombe de paix.

ونقول : واذا ارتقينا (أو صعدنا أو ارتفعنا) الى القرن الخامس قبل
الميلاد ، وهو فى الفرنسية :
Si nous remontons au cinquième siècle avant J. C.

ونقول : يهضم الافكار ، وهو فى الفرنسية :
Il digère les idées.

وفى الانكليزية :
To digest ideas.

ونقول هو مرن (٢٦) ، وهو فى الفرنسية :
Il est souple ou flexible.

وفى الانكليزية :
He is flexible.

ونقول : هو موضوع على طاولة البحث (٢٧) ، وهو فى الفرنسية :
Il est mis sur la table de travail.

ونقول : الانواع الادبية (٢٨) ، وهو فى الفرنسية :
Les genres littéraires.

ونقول : عاصفة من التصفيق ، وهو فى الفرنسية :
Une tempête d' applaudissement.

(٢٦) لم يعرف هذا الاستعمال المجازى فى العربية ، وانما يعبر عن ذلك بعبارات أخرى كأن يقال : هو لين أو طيع أو ما فى هذا المعنى .
(٢٧) الطاولة دخيلة وهى تعريب
(٢٨) تعبير جديد مترجم ، وربما قيل فى العربية : الفنون الادبية .

وفي الانكليزية : A storne of applause.

ونقول : نقطة انطلاق ، وهو في الفرنسية :

Le point de depart.

وفي الانكليزية : Point of departure.

ونقول : طلب يدها : وهو في الفرنسية :

Il a demandé sa main.

وفي الانكليزية : To ask the hand of.

ونقول : اصلاح جذرى ، وهو في الفرنسية :

Reforme radicale.

وفي الانكليزية : Radical reform.

ونقول : تمتد جذور المسألة ، وهو في الفرنسية :

Les racines de la question étendent.

وفي الانكليزية : The root of the problem go deep.

ونقول : وموقفه أمام^(٢٩) هذه القضية ، وهو في الفرنسية :

Sa situation devant cette question.

ونقول : وهذه القضية من طرف^(٣٠) السلطات الحاكمة ، وهو

في الفرنسية : Cette problème est de la part de gouvenement ...

ونقول : تبادل الشتائم^(٣١) ، وهو في الفرنسية :

Il ont échangé Les injnres.

ونقول : تبادل التحيات ، وهو في الفرنسية :

Il ont échangé Les salutations.

وفي الانكليزية : They exchanged greeting.

ونقول : تحت الدرس ، وهو في الفرنسية :

Il est sous l'étude.

وفي الانكليزية : It is under study.

(٢٩) يقال في الاسلوب الفصيح : ازاء بدلاً من امام ، لان الامام ما كان في المقدمة ومنه سمي الامام أى الذى يأتى الناس به .

(٣٠) هذا التعبير شائع في بلدان الشمالى الافريقى .

(٣١) يقال مثل هذا في الاسلوب الفصيح : تكايلا الشتائم .

ونقول : يسهر على المصلحة العامة ، وهو فى الفرنسية :
Il veille sur le bien commun.

ونقول : لا جديد تحت الشمس ، وهو فى الفرنسية :
Rien de nouveau sous le soleil.

وفى الانكليزية :
Nothing new under the sun.

ونقول : هو رجل الساعة ، وهو فى الفرنسية :
Il set l'homme de l'heure.

وفى الانكليزية :
The man of hour.

ونقول : كلمه بطرف شففيه (٣٢) ، وهو فى الفرنسية :
Il lui a parlé de bout de levers.

ونقول : الى الملتقى ، وهو فى الفرنسية :
Au revoir.

ونقول : الى الغد ، وهو فى الفرنسية :
A demain.

ونقول : شرب على صحته ، وهو فى الفرنسية :
Il a bu à sa santé

وفى الانكليزية :
He drank his health.

ونقول : مسألة بسيطة (٣٣) ، وهو فى الفرنسية :
Une question superficielle.

وفى الانكليزية :
a simple question.

ونقول : مسألة سطحية (٣٤) ، وهو فى الفرنسية :
Une kuestion superficielle.

ونقول : تصفية القضية الفلسطينية ، وهو فى الفرنسية :
La liquidation de la queition palastinienne.

وفى الانكليزية :
The liquidation of the Palastine question.

-
- (٣٢) كناية عن الزايرة به .
(٣٣) شاع الوصف بالبساطة فى العربية ، وهو أسلوب مترجم .
(٣٤) والوصف بـ (سطحية) أسلوب مترجم أيضا للدلالة على ان
المسألة ليست متعمقة .

ونقول : تحت رعاية ، وهو فى الفرنسية :
Sous l'égide ou le haut patronage.

وفى الانكليزية :
Under the patronage of.

ونقول : هو متأثر الى درجة أنه فاقد أعصابه (٣٥) ، وهو فى الفرنسية :
Il était ému jusqu'à ce qu'il aie perdu ses nerfs.

وفى الانكليزية :
He was so excited that he lost his self - control.

ونقول : الجيل الصاعد ، وهو فى الفرنسية :
La génération montante.

وفى الانكليزية :
The rising generation.

ونقول : يضحك على الذقون ، وهو فى الفرنسية :
Il rit dans sa barbe.

ونقول : ألوان صارخة ، وهو فى الفرنسية :
Des couleurs criardes.

ونقول : نقد مر ، وهو فى الفرنسية :
Critique amère.
وفى الانكليزية :
Bitter criticism.

(٣٥) التعبير (الى درجة) ، وكذلك التعبير (فقدان الاعصاب)
كلاهما مترجم كما بينا .

مراجع الكتاب

المراجع العربية

المجلات

مجلة كلية الآداب العلوم ١٩٥٨

مجلة كلية الآداب ١٩٦٠

مجلة سומר ١٩٥٩

مجلة مجمع فؤاد الاول ١٩٤٨-١٩٤٩

مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٩

مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٥٣ الجزء السابع

مجلة الابحاث (الجامعة الاميركية بيروت) آذار ١٩٥٨

مجلة المجمع العلمي في دمشق ١٩٥٧ (العدد الخاص بمؤتمر المجمع اللغوية)

مجلة المشرق ١٩١٢

مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ١٩٤٨

مجلة الفكر التونسية ١٩٦٠ العدد الخامس

مجلة المجلة اللبنانية آذار ١٩٥٨

مجلة شعر أيلول ١٩٥٧

مجلة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ١٩٥٨

صحيفة المجاهد (لسان حال جبهة التحرير الجزائرية) ١٩٦٠ العدد ٦٥

الكتب

الاتباع والمزاوجة (ل احمد بن فارس) نشره المستشرق رودلف برو

بمدينة غيسن سنة ١٩٠٦م

الاتقان في علوم القرآن (للسيوطي) • مطبعة حجازي بالقاهرة

١٩٤١/١٣٦٠م

الآثار الباقية عن القرون الخالية (للبيروني) نشره سخاو في ليزج

سنة ١٨٧٨م

- احياء النحو (ل ابراهيم مصطفى) القاهرة ١٩٣٧
أدب الكاتب (لابن قتيبة) القاهرة ١٣٥٥
أدب الكتاب (للصولي) القاهرة ١٣٤١
ارشاد الارب ، انظر معجم الادباء
أساس البلاغة (للزمخشري) القاهرة طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤١هـ
الاشباه والنظائر (للسيوطي) حيدر آباد
الاشتقاق (لابن دريد) طبعة وستفالد ١٨٥٤م
الاشتقاق (لعبدالله أمين) القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م

- الاصابة (لابن حجر) القاهرة سنة ١٣٥٨هـ طبع مصطفى محمد
الاغاني (لابي الفرج) القاهرة دار الكتب المصرية
الافعال (لابن القطاع) حيدر آباد سنة ١٣٦٠هـ
الافعال (لابن القوطية) القاهرة سنة ١٩٥٢م
الاقتضاب (لابن السيد البطليوسي) بيروت سنة ١٩٠١م
الالفاظ الفارسية المعربة (لأدى شير) بيروت سنة ١٩٠٨م
الامالي (لابي علي القالي) دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦م
الامالي (للزجاجي) القاهرة سنة ١٩٣٥م
ابناء الرواة على أبناء النحاة (للقفطي) تحقيق أبو الفضل ابراهيم القاهرة
سنة ١٩٥٠-١٩٥٥م

- الانصاف في مسائل الخلاف (لابي البركات ابن الانباري) القاهرة مطبعة
الاستقامة سنة ١٣٦٤هـ

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (لليضوي) طبعة فليشر ليزرك ١٨٤٦م
الايام والليالي (ليخبي بن زياد الفراء) القاهرة بتحقيق ابراهيم الاياري
البعلاء (للمحافظ) تحقيق الحاجري القاهرة سنة ١٩٤٨
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (للسيوطي) القاهرة سنة ١٣٢٦هـ

بلاغة أرسطو بين العرب واليونان (لابراهيم سلامة) القاهرة
 البيان والتبيين (للجاحظ) القاهرة ١٩٤٨-١٩٥٠
 تاج العروس فى شرح القاموس (للزبيدي) مصر سنة ١٣٠٧هـ
 تاريخ الادب السريانى (لمراد كامل والبكرى) القاهرة ١٩٤٩م
 تاريخ العرب قبل الاسلام (لجواد علي) بغداد مطبوعات المجمع
 العلمى العراقى
 تاريخ العرب فى سوريا (لدوسو) القاهرة سنة ١٩٥٩ ترجمة الدواخلى
 ومصطفى زيادة
 تاريخ عنون اللغة العربية (لطله الراوى) بغداد ١٩٤٩م
 تاريخ الفلسفة فى الاسلام (دى بور) القاهرة ترجمة أبو ريذة
 تاريخ اللغات السامية (لاسرائيل ولفنسون) القاهرة ١٩٢٩م
 تأويل مشكل القرآن (لابن قتيبة) القاهرة ١٣٧٣هـ
 تذكرة الحفاظ (للذهبي) حيدر آباد سنة ١٣٣٣-١٣٣٤م
 التطور النحوى (لبرجستراسر) القاهرة
 تفسير الطبرى (جامع البيان) القاهرة سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م
 التيسير (لابی عمرو الدانى) نشره وحققه المستشرق برتزل Pretzel
 فى الاستانة سنة ١٩٣٠م
 الجمانة فى ازالة الرطانة بتحقيق حسن حسنى عبدالوهاب سنة ١٩٥٣م
 من مطبوعات المجمع اللغوى فى دمشق
 الجهمرة (لابن دريد) حيدر آباد سنة ١٣٤٤-١٣٥١هـ
 حاشية الصبان على الاشمونى مصر
 حكاية ابى القاسم البغدادى (لابی المطهر الازدى) نشر (مر)
 الحيوان (للجاحظ) تحقيق عبدالسلام هارون
 خزنة الادب (لعبدالقادر البغدادى) بولاق سنة ١٢٩٩هـ
 الخصائص (لابن جنى) طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧١هـ / ١٩٥٦م
 ديوان ابن الرومى نشر كامل الكيلانى القاهرة ١٩٢٥م

- ديوان ابن المعتز بيروت ١٣٣١هـ
- ديوان جرير (الشرح) نشر الصاوى القاهرة ١٩٣٥م
- ديوان ذو الرمة تحقيق مكارتنى كمبردج ١٩١٩م
- ديوان الفرزدق نشر الصاوى ١٩٣٦م
- ديوان الهذليين القاهرة طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ
- الرد على النحاة (لابن مضاء القرطبي) القاهرة ١٩٤٧م
- الزينة فى الالفاظ الاسلامية (لابي حاتم الرازى) القاهرة ١٩٥٧-١٩٥٩م
- سر صناعة الاعراب (لابن جنى) القاهرة سنة ١٩٥٦م
- شرح الاشمونى على ألفية ابن مالك القاهرة ١٩٤٧م
- شرح ديوان المتنبي (للواحدى) برلين ١٨٦١م
- شرح الرضى على كافية ابن الحاجب (طبعة الاستانة) ١٣١٠هـ
- شرح الرضى على شافية ابن الحاجب القاهرة بتحقيق محمد محيى الدين
عبدالحميد وآخرين
- شرح الشواهد الكبرى (للعينى) على هامش خزانة البغدادى بولاق ١٢٩٩م
- شرح المفصل (لابن يعيش) ، (الطبعة الاوربية والطبعة المصرية)
- الشعر والشعراء (لابن قتيبة) ليدن ١٩٠٢م
- شعراء الصعاليك (ليوسف خليف) القاهرة ١٩٥٩م
- شفاء الغليل (للخفاجى) القاهرة ١٣٢٥هـ
- الصاحبى (ل احمد بن فارس) القاهرة ١٩١٠م
- صبح الاعشى فى صناعة الاشيا (للقلقشندي) القاهرة ١٩١٣-١٩١٩م
- الضحاح (للجوهري) القاهرة
- الصناعتين (لابي هلال العسكري) الاستانة ١٣٢٠هـ
- ضحى الاسلام (ل احمد أمين) القاهرة ١٩٣٨م
- غراميطق اللغة الآرامية السريانية (للقس بولس الكفرينسى) بيروت ١٩٢٩م
- العربية (ليوهان فك) ترجمة عبدالحليم النجار القاهرة ١٩٥١م

العمدة (لابن رشيق القيرواني) القاهرة بتحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد ١٣٥٤هـ

العين (للخليل بن احمد) بغداد ١٩١٤ • ما نشره الاب استانس الكرملي
من الكتاب

عيون الاخبار (لابن قتيبة) القاهرة طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥-١٩٣٠م
فتح الباري (لابن حجر) بولاق ١٣٠١هـ

فقه اللغة (للثعالبي) مطبعة الاستقامة القاهرة

فقه اللغة (لعلي عبدالواحد وافي) القاهرة ١٩٥٠م

القاموس المحيط (للفيزوز آبادي) القاهرة المطبعة الحسينية ١٣٣٢هـ

الكامل (للمبرد) طبعة رايت لينك ١٨٧٣-١٨٩٢م وطبعة زكي مبارك
ومحمود شاكر القاهرة ١٩٣٧م

الكتاب (لسيويه) بولاق ١٣١٦هـ

الكشاف (للزمخشري) القاهرة ١٩٤٦م

اللسان (لابن منظور) بيروت ١٩٥٥-١٩٥٦م

اللباب (للقرطبي) معجم سرياني عربي بيروت ١٨٨٧م

اللمعة الشهية (للمطران يوسف داود) الموصل ١٨٩٦م

ما يلحن فيه العوام (لعلي بن حمزة الكسائي) القاهرة ١٣٤٤هـ

المباحث اللغوية في العراق (للدكتور مصطفى جواد) القاهرة معهد
الدراسات العليا ١٩٥٥م

المثل السائر (لابن الاثير) القاهرة ١٩٤٨م

مجاز القرآن (لابي عبيدة) تحقيق قواد سركين (الجزء الاول)
القاهرة ١٩٥٥م

محاضرات (پول كراوس) في كلية الآداب بالقاهرة ١٩٤٩-١٩٥٠م

مختصر في شواذ القراءات (لابن خالويه) القاهرة ١٩٣٤م نشره برجستراسر
المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية (لانغناطوس كويدي) القاهرة ١٩٣٠م

المختصص (لابن سيده) بولاق ١٣١٦هـ

مدرسة الكوفة (للدكتور مهدي المخزومي) بغداد ١٩٥٥م
 الزهر (للسيوطي) القاهرة مطبعة السعادة
 المصباح المنير (للفيومي) المطبعة الاميرية في القاهرة ١٩٢٥م
 المغرب (للجوالقي) القاهرة دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ
 المفصل (للزمخشري) الطبعة الاوربية
 المستطرف في كل فن مستظرف (الابشهي) بولاق ١٢٧٦هـ
 معجم الادباء (لياقوت) القاهرة نشرة دار المأمون ، وارشاد الارب نشرة
 مرجوليوث القاهرة ١٩٠٧/١٩٢٥م
 معجم البلدان (لياقوت) طبع اوربا
 معنى اللبيب (لابن هشام) القاهرة ١٣١٧هـ
 مقدمة ابن خلدون القاهرة ١٩٣٠م
 مقدمة لدرس لغة العرب (للعلائي) القاهرة (المطبعة العصرية)
 من أسرار اللغة (لابراهيم أنيس) القاهرة (مكتبة الانجلو)
 الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (للمزرباني) القاهرة ١٣٤٣هـ
 الموشى (للوشاء) ليدن ١٨٨٦م
 ميزان الاعتدال (للذهبي) لكنو ١٣٠١هـ
 نزهة الالباء (لابن الانباري) القاهرة ١٢٩٤هـ ونشرة الدكتور ابراهيم
 السامرائي بغداد ١٩٥٩م
 النشر في القراءات العشر (لابن الجزري) دمشق ١٣٤٥هـ
 نقوش خربة معين (ليحيى نامي) القاهرة ١٩٥٣م
 النوادر (لابي زيد) بيروت ١٨٩٤م
 همع الهوامع (للسيوطي) القاهرة ١٣٢٧هـ
 وفيات الاعيان (لابن خلكان) بولاق ١٢٧٥هـ

المراجع الأجنبية

- The. Nöldke, Die Semitischen Sprachen, Leipzig 1890.
- E. Littman, Inscriptions, Leiden 1914.
- M. Cohen, Les Langues du Monde Paris 1952.
- Bar Bahlül Lexicon, Paris.
- C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen I. 1908, II. 1913.
- W. Wright, Lecture on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, London 1890.
- Otto, Jespersen, Language, its nature, development and origin London 1947.
- M.G. Demombyne et Blachère, Grammaire de L'Arabe Classique, Paris 1952.
- The. Nöldke, Zur Grammatik des Classischen Arabisch, Wien 1896.
- Gesenius, Hebrew grammar (Oxford 1910).
- Wensick, Gender in the Semitic Languages, Amstrdam 1927.
- C. Brockelmann, Précis de Linguistique Sémitique Paris, 1910.
- E. Renan, Histoire générale et Système Comparé des Langues Sémitiques Paris 1863.
- G. Dilman, Grammatik Der äthiopischen Sprache Leipzig 1903.
- Wright, Arabic Grammar, London 1863.
- O. Block et W.V. Wartburg, Dictionnaire étymologique de la Langue Française Paris 1950.
- S. Gruyard, Nouvel Essai sur la Formation du Pluriel Arabe Paris 1870.
- H. Derenbourg, Essai sur les Pluriels Arabes, Paris 1867.
- J. Vendryes, Language, Paris 1923.
- Marouzeau, Lexique de la terminologie Technique Paris 1951.
- M.F. Guyard, La Littérature Comparée Paris 1957.
- The. Nöldke, Neue Beiträge zur Semitischen Sprachwissenschaft Strassburg 1910.

فهرست الموضوعات

- (١) تمهيد ص ٣
- (٢) مقدمة الكتاب ص ٤-٨
- (٣) في تاريخ المشكلة اللغوية (١) ص ٩-٢٣
- (٤) في تاريخ المشكلة اللغوية (٢) ص ٢٤-٤١
- (٥) الفعل والنظام الفعل في العربية ص ٤٢-٥٠
- (٦) التركيب والبناء في العربية ص ٥١-٦٠
- (٧) بحث مقارن في التنية ص ٦١-٧٥
- (٨) الجمع في العربية (بحث ومقارنة) ص ٧٦-٩٥
- (٩) الاعراب في اللغة ودلالاته (بحث مقارن في اللغات السامية) ص ٩٦-١٠٢
- (١٠) النون والميم في اللغة العربية ص ١٠٣-١١٣
- (١١) نظرة في التتوين ص ١١٤-١٢٥
- (١٢) بحوث في اللغة ص ١٢٦-١٣٩
- «١» ضلة العربية بين المولد الجديد والمصطلح الفني ص ١٢٦-١٣٠
- «٢» مكانة الجديد في اللغة ص ١٣٠-١٣٥
- «٣» هجرة الالفاظ ص ١٣٥-١٣٩
- (١٣) العربية بين الجمود والتطور والتوليد ص ١٤٠-١٥٢
- (١٤) المقارنات في الادب واللغة والنحو ص ١٥٣-١٦٨
- (١٥) حقيقة التضمين في علوم العربية ص ١٦٩-١٨٤
- (١٦) الثقافة العربية والاقليمية ص ١٨٥-١٩١
- (١٧) الثقافة العامة في التاريخ ص ١٩٢-٢٠١
- (١٨) الدخيل في الثقافة العربية الاسلامية ص ٢٠٢-٢٠٦
- (١٩) في الثقافة السريانية ص ٢٠٧-٢١٣
- (٢٠) تعليق على مقال « عربي ، آرامي ، عبري » ص ٢١٤-٢١٩
- (٢١) الاعلام (بحث تاريخي في اللغة واللهجات) ص ٢٢٠-٢٣٨
- (٢٢) تعابير اوربية في العربية الحديثة ص ٢٣٩-٢٥٦

